الأمانة العامة
العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الدينية
شعبة البحوث والدراسات

البحث الجلي

في عصمة آل النبي صلى الله عليه وآله

مركز الرصد العقائدي
alrasd.net
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

الشيخ باسم الحلي

الجَلِيُّ في عِصْمَةِ آلِ النَبِيِّ صلى الله عليه وآله

باسم الحلّي

اسم الكتاب: الجليّ في عصمة آل النبيّ.

المؤلف: الشيخ باسم الحلي.

عدد النسخ: ١٠٠٠

المطبعة: دار الوارث للطباعة والنشر.

سنة الطبع: ٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ.

الإخراج الفني: الشيخ باسم العلي / الشيخ علي جبار.

من إصدارات شعبة البحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

لطالما أشكل أهل السنّة هداهم الله قالوا: كلّ العقائد الكبرى وأصول الدين العظمى قد ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، إلاّ عصمة من ليس بنبي، وإمامة من ليس برسول، فلا وجود لها في القرآن!!!

إذ كيف يمكن لمن ليس بنيٍّ ولا رسول، أن يكون معصوماً كالنبي والرسول، كما يقول الشيعة؟!!!.

فهل في القرآن الكريم ما يدلّ على عصمة من ليس بنبي من الأوصياء، أين هذا الدليل؟!!!!.

إذ هل في القرآن الكريم ما يعلن عن أنّ الوصي كالنبيّ، تكلّمه الملائكة أو يُوحى إليه؟!

وهل فيه أنّ الوصيّ كالنبيّ؛ يدور على أثافيّ العصمة الثلاث: العلم اللدنيّ، والمعجزة، والولاية الملكوتيّة (=التدبيريّة) [1]؟!!!

وإذن، فغاية مقصود هذه الوريقات المتواضعة إثبات عصمة من ليس بنبيّ من أوصياء الأنبياء عليهم السلام السابقين، إثباتاً قرآنيّاً..؛ حسبما أفصح القرآن ونطق الفرقان، ردّاً على كبرى أهل السنّة المانعة من عصمة غير الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) ويطلق عليها الولاية التكوينيّة، سيأتي بيان المراد منها، وهي بإيجاز: تدبير موجودات العالم الأشرف، لموجودات العالم الأدنى بإذن الله تعالى ؛ ومن ذلك: ولاية عزرائيل عليه السلام التكوينيّة في قبض الأرواح بإذنه تعالى، وولاية ملائكة المطر في إنزاله تكويناً على ما قضى الله تعالى وهكذا.

والكتاب في أربعة فصول كالآتي:

الفصل الأوّل: خصائص العصمة

تناولنا في هذا الفصل بيان مقوّمات العصمة الداخلة في حقيقتها .

الفصل الثاني : عصمة الأوصياء السابقين.

نهض هذا الفصل –على ما نطق القرآن في أكثر من مورد – بأعباء إثبات عصمة الخضر، وطالوت، وذي القرنين، وآصف، ومريم عليهم السلام، بل حتّى أمّ موسى صلوات الله عليها على الأظهر الأرجح، وهؤلاء ليسوا بأنبياء فيما سيتّضح..

أقول: فإثبات عصمة هؤلاء عليهم السلام، أو واحد منهم لا أقل، كفيلٌ بإماثة كبرى أهل السنّة، المانعة من عصمة غير الأنبياء عليهم السلام، في ماء الدليل، ورحيق الحجّة، وسلسبيل البرهان..

هذا هو الغرض الأساس من هذا الكتاب؛ إذ الوقوع أكبر أدلةّ الإمكان في عالم الحجّة والبرهان.

الفصل الثالث : عصمة أهل البيت عليهم السلام

وقد تكفّلَ –بنحو التذكرة العاجلة– إثبات عصمة الأوصياء من أهل البيت ، وهم صلوات الله عليهم –إلى يوم القيامة– اثنا عشر وصياً إماماً معصوماً مطهّراً..؛ أوّلهم: أمير المؤمنين عليّ، وآخرهم: مولانا المهدي المنتظر، ابن إمامنا الحسن العسكري صلوات الله عليهم جميعاً، فقط لا غير.

بيد أنّ الخوض في هذا، عقلاً ونقلاً، لا ينوء به المجلد والمجلّدان والثلاث؛ لذلك سنغضّ الطرف عن جلّ التفاصيل؛ إذ جلّ غرضنا هيهنا التبصرة بسرد أهم الأدلّة القرآنيّة أولاً، والتذكرة ببيان ما يجب بيانه من الأصول العقليّة والنقليّة ثانياً.

فكما قلنا فالغرض الأساس من هذا الكتاب، هو: نقض كبرى أهل السنّة النافية لعصمة غير الأنبياء، بالنصوص القرآنيّة القطعيّة، الظاهرة في العصمة؛ فهذا الفصل كالاستطراد للفصل الأوّل وإن أخذ منحىً استقلالياً..

الفصل الرابع : الأوصياء السابقين في أخبار أهل البيت عليهم السلام .

غرضنا الأساس من هذا الفصل بيان، أنّ لجلّ ما ادعيناه في الفصلين الأوّل والثاني، أصلٌ ثابتٌ في أخبار أهل البيت الصحيحة، المحتفّة بالقرائن القطعيّة ؛ كالإجماع ونحوه ؛ لبيان بعض مقوّمات العصمة الربانيّة والإمامة الإلهيّة.

فإنّ البحثَ في الفصلين الأوّل والثاني، وإنْ أخذ منهج إلزام الخصوم، رداً على إشكاليّة: لا عصمة لغير النبيّ صلى الله عليه وآله، إلاّ أنّ سرد بعض أخبار أهل البيت عليهم السلام في بيان أهمّ أحوال الأوصياء السابقين، نور وهداية؛ فأكثر الموالين، سدّد الله خطاهم، وأنار برهانهم، ذاهلون عن كثير من التفاصيل المطلوبة شرعاً.

مع التنبيه أنّ النبي محمد صلى الله عليه وآله، مستثنى من هذا المبحث كلّه، تخصّصاً وتخصيصاً؛ إذ لا نزاع بين المسلمين في كونه سيد المخلوقات أجمعين، إمام الأنبياء والمرسلين، قائد الأوصياء والصديقين، من قال فيه أحسن الخالقين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]، صاحب الحوض، والمقام المحمود، والشفاعة الكبرى، من كان من ربّه قاب قوسين أو أدنى..

باسم الحلّي

العتبة الحسينيّة ، كربلاء المقدّسة

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

الفصل الأوّل
خصائص العصمة

خصائص العصمة ، عقلاً ونقلاً ، كالآتي :

أولاً: الوحي وتكليم الملائكة.

ثانياً: المعجزة.

ثالثاً: العلم اللدنّي.

رابعاً: السكينة.

خامساً: ولاية التدبير والتكوين والتمكين .

فبعض هذه الأمور، مقومات تكوينيّة للعصمة؛ كالعلم اللدنيّ، والسكينة وولاية التكوين والتدبير ، وبعضها لوازم ذاتيّة للعصمة، تدلّ عليها، لا تنفك عنها؛ كالوحي، والمعجزة، وولاية التشريع..

وربما يتداخل بعضها بالبعض الآخر ، كالمعجزة وولاية التكوين ، أو أنّ بعضها في طول الآخر ، أو علّة للآخر ؛ كعليّة العلم اللدني لانكشاف ما ارتضاه الله تعالى من علم الغيب لأصفيائه بإذنه ...، ولا يسعنا التفصيل في هذا الآن ..

ما يهمُّنا هو الوقوف على حدود هذه المفاهيم الخمسة ، وهي الوحي ، والمعجزة ، والعلم اللدنّي ، والسكينة ، وولاية التدبير ، وقد ذكرها كبار أئمّة أهل السنّة ؛ كونها مقوّمات لمفهوم العصمة..

لكن أظهر هذه الأمور لإثبات صدق المعصوم ، نبياً كان كعيسى ، أم معصوماً كمولاتنا مريم ، المعجزة ؛ فالعلم اللدنّي مثلاً لا يكون دليلاً على صدق المعصوم خارجاً ، إلاّ إذا أعجز به من دونه من الخلائق بإذن الله تعالى ، فلا تغفل عن هذا الأصل .

نصّ الإمام الجرجاني (٨١٦هـ)

قال الإمام الحنفي، أبو الحسن عليّ بن محمد ، الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) :

ذهب الحكماء إلى أنّ النبيّ عليه السلام من كان مختصّاً **بخواص ثلاث** :

الأولى : أنْ يكون مطّلعاً على الغيب ؛ لصفاء جوهر نفسه ، وشدّ اتّصاله بالمبادىء العالية ، من غير سابقة كسب وتعليم وتعلّم .

الثانية : كونه بحيث يطيعه الهيولي العنصريّة ، القابلة للصور المفارقة [١].

الثالثة : أن يشاهد الملائكة على صور متخيّلة[٢] ، ويسمع كلام الله سبحانه وتعالى بالوحي.

قلت : وربما اعترض على آحادها ، أمّا على مجموعها -بما هي مجموع- فلقد قال الشريف الجرجاني عقيب ذلك : فلا اعتراض[٣] .اهـ.

لكن نتسائل : ماذا لو ثبتت هذه الخواص الثلاث ، ثبوتاً تكوينياً لدنيّاً ؛ أفاضها الله تعالى على من اصطفاهم من غير الأنبياء عليهم السلام ؟!!

قلنا : تعيّن القول أنّهم كالأنبياء عليهم السلام في العصمة والسيادة والتكوين ، دون النبوّة والرسالة .

---

(١) الصور المفارقة هي العقول المحضة ، وهي منزهة عن الأجسام والأبعاد والمواد ؛ لذلك سميت مفارقة .
ومقصود الجرجاني من هذا هو ولاية التكوين في الأشياء العنصريّة ؛ كحنين الجذع واخضرار الأرض الجرداء بمجرّد أن يطأها الخضر صلوات الله عليه وغير ذلك .

(٢) ليس المقصود من التخيّل هيهنا : التوهّم وما لا واقع له ، وإنّما ما يحصل بعد تجرّد النفس لتكون علويّة قدسيّة مفارِقة، متصّلة بعالم الغيب ؛ فيرى ما لا يُرى كالملائكة والجنّة، ويسمع ما لا يُسمع كتسبيحهم، ويعلم ما لا يُعلم.

(٣) مطالع الأنظار شرح طوالع الأنوار : ١٩٩. دار الكتب .

نصّ الإمام الغزالي (٥٠٥هـ)

قال في الإحياء : النبوة عبارة : عمّا يختص به النبي ، ويفارق به غيره ، وهو يختص بأنواع من الخواص :

أحدها : أن يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله ، وصفاته ، والملائكة ، والدار الآخرة ، لا كما يعلمه غيره ، بل مخالفاً له بكثرة المعلومات ، وبزيادة اليقين ، والتحقيق ، والكشف.

والثاني : أنّ له -في نفسه- صفة بها تتم له الأفعال الخارقة للعادات ، كما أنّ لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بإرادتنا وباختيارنا ، وهي القدرة ، وإنْ كانت القدرة والمقدور جميعاً من فعل الله تعالى.

والثالث : أنّ له صفة ، بها يبصر الملائكة عليهم السلام ، ويشاهدهم ، كما أنّ للبصر صفة بها يفارق الأعمى حتى يدرك بها المبصرات.

والرابع : أنّ له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب[1].

ننبّه أنّ هذه الخواص -في جملتها- لا نعتقدها ، كما يعتقدها جماعةٌ مجرّدةً عن أمر الله تعالى ، وإنّما نعتقدها كونها إفاضات لدنّية عن الله تعالى ، يريد بها إثبات صدق النبوّات والرسالات ، وعصمة الصدّيقين من غيرهم ، كطالوت والخضر ومريم عليهم السلام ، يعجز عنها بقيّة البشر .

---

(١) إحياء علوم الدين ٤: ١٩٤. دار المعرفة ، بيروت .

كلمة جامعة لابن تيمية (٧٢٨هـ)

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى : المعجزة ، يعمّ كلّ خارق للعادة ، لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي ، وجماعهما الأمر الخارق للعادة .

فنقول: صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة : **العلم والقدرة والغنى**...، وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلاّ لله وحده.

وإنما ينال (=النبيّ أيّ نبيّ) من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى ؛ فيعلم منه ما علّمه إيّاه ، ويقدر منه على ما أقدره الله عليه ، ويستغني عمّا أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة ، أو لعادة غالب الناس.

فما كان من الخوارق **من باب العلم** ، بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره ، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره، يقظةً ومناماً، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره ، وحياً وإلهاماً، أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادقة، ويسمّى كشفاً ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات ؛ فالسماع مخاطبات ، والرؤية مشاهدات ، والعلم مكاشفة، ويسمّى ذلك كلّه: كشفا و: مكاشفة ، أي كُشف له عنه.

وما كان **من باب القدرة** ، فهو التأثير ، وقد يكون همةً ، وصدقاً ، ودعوةً مجابةً، وقد يكون من فعل الله الذي لا تأثير له فيه بحال، مثل هلاك عدوّه بغير أثر منه، ومثل: تذليل النفوس له، ومحبتها إيّاه ونحو ذلك...، فمعجزات الأنبياء وأعلامهم ودلائل نبوتهم تدخل في ذلك .

وقد جمع الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم جميع أنواع المعجزات والخوارق ؛ أما العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية...، **فإخباره عن الأمور الغائبة** ماضيها

وحاضرها هو من **باب العلم الخارق** ، وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة مثل مملكة أمته وزوال مملكة فارس والروم وقتال الترك وألوف مؤلفة من الأخبار التي أخبر بها مذكور بعضها في كتب دلائل النبوة... .

وأمّا **القدرة والتأثير** (=**ولاية التكوين**)[1] ؛ فإمّا أنْ يكون في العالم العلوي ، أو ما دونه ، وما دونه إمّا بسيط أو مركب ، والبسيط إمّا الجوّ وإمّا الأرض، والمركب إمّا حيوان وإمّا نبات وإمّا معدن، والحيوان إمّا ناطق وإمّا بهيم..؛ فالعلوي كانشقاق القمر ، ورد الشمس ليوشع بن نون ، وكذلك ردّها لما فاتت علياً الصلاة ، والنبي صلى الله عليه وسلم نائم في حجره -إنْ صح الحديث- فمن النّاس من صححه كالطحاوي والقاضي عياض. ومنهم من جعله موقوفا كأبي الفرج بن الجوزي وهذا أصح. وكذلك معراجه إلى السماوات . وأمّا الجو فاستسقاؤه واستصحاؤه غير مرة؛ كحديث الأعرابي الذي في الصحيحين وغيرهما، وكذلك كثرة الرّمي بالنجوم عند ظهوره، وكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. وأمّا الأرض والماء؛ فكاهتزاز الجبل تحته ، وتكثير الماء في عين تبوك ، وعين الحديبية ، ونبع الماء من بين أصابعه غير مرة ، ومزادة المرأة. وأمّا المركبات ؛ فتكثيره للطعام غير مرة في قصة الخندق، من حديث جابر ، وحديث أبي طلحة ، وفي أسفاره ، وجراب أبي هريرة ، ونخل جابر بن عبد الله ، وحديث جابر وابن الزبير في انقلاع النخل له وعوده إلى مكانه ، وسقياه لغير واحد من الأرض ، كعين أبي قتادة. وهذا باب واسع لم يكن الغرض هنا ذكر أنواع معجزاته بخصوصه ، وإنّما الغرض التمثيل.

(١) ما بين القوسين منّا للتوضيح ؛ إذ لا نعني بولاية التكوين غير ما ذكره ابن تيمية .

وكذلك **من باب القدرة** عصا موسى صلى الله عليه وسلم ، وفلق البحر والقمل ، والضفادع ، والدم ، وناقة صالح ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى لعيسى ، كما أنّ **من باب العلم** إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم .

اقرار ابن تيمية بمعجزات غير الأنبياء

قال : وأمّا المعجزات التي لغير الأنبياء ، **من باب الكشف والعلم** ، فمثل...[1]، قصة صاحب موسى (=الخضر) في علمه بحال الغلام. **ومن باب القدرة** ، مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب (=آصف عليه السلام) ، وقصة أهل الكهف ، وقصة مريم عليها السلام...، وأشياء يطول شرحها ؛ فإنّ تعداد هذا مثل المطر، وإنّما الغرض التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس. وأمّا القدرة التي لم تتعلق بفعله ؛ فمثل : نصر الله لمن ينصره ، وإهلاكه لمن يشتمه[2].

قلت : كلامه في الجملة لا بأس به ، وإنّما أوردناه كلّه إلزاماً لمن يتنطّع من أتباعه، ممّن يجادل الضروريّات ويجحد القطعيّات بغير علم، من قبيل علم الخضر للغيب، وولاية آصف التكوينيّة وغير ذلك .

الزبدة: مردّ كلّ خواص العصمة الآنفة إلى المعجزة ، كما ذكر ابن تيمية آنفاً؛ فبالعلم اللدني يطلّع المعصوم على الغيب بإذن الله تعالى ، وهذا معجزة، وبالسكينة يتحقق الظفر وينزل النصر، وهذا معجزة ، وهكذا...؛ فالمعجزة هي المثبتة لصدق المصطفى من قبل الله تعالى، وأنّه معصوم .

---

(١) ذكر ابن تيمية أموراً عن الصحابة ، من هذا الباب ، دعاوى ليست ثابتة ، فتركناها .

(٢) مجموع الفتاوى (ت: عبد الرحمن قاسم) ١١: ٣١١. مجمع الملك فهد للطباعة ، المدينة ، السعوديّة.

المفهوم الأوّل :

الوحي

الوحي هو –واللفظ لي– : ما يُعلم به أمر الله الغيبي، لا بواسطة بشر .

وهو على نحوين :

الأوّل : بواسطة الملائكة .

الثاني : بالعلم اللدنيّ .

والأوّل معروف ، وهو أن يأتي الملك جبرائيل أو إسرافيل أو غيرهما عليهما السلام ، فيخبران المعصوم بأمر الله تعالى وما أذن به تعالى من غيبه المقدّس .

والثاني : الإفاضة المباشرة من الله تعالى دون واسطة ، من قبيل قوله تعالى : ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾[١] . وقوله تعالى : ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[٢] . وقوله تعالى : ﴿**قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا**﴾[٣] والقائل هو الله تعالى لا أعلم في ذلك خلافاً .

قلت : وقد ذكر جماعة من العلماء أنّ العلمَ الحاصل بالنحو الثاني ، حضوريٌّ دفعيٌّ ، أي دفعة واحدة ، ليس حصولياً عن طريق النظر ، ولا كسبياً بإعمال الفكر ، وسيأتي البيان .

---

(١) سورة النجم : ٩-١١ .

(٢) سورة النساء : ١٦٤ .

(٣) سورة الكهف : ٨٦ .

دعوى أنّ الوحيّ خاصّ بالنبوّة فقط!!

ذكر غير واحد من أهل السنّة أنّ العلم الحاصل لشخص من طريق الوحي ، لا يكون إلاّ لنبيّ ..

وعلى سبيل المثال : قال الإمام السنّي ابن عطيّة الأندلسي (٥٤٢هـ) في سيّدنا الخضر عليه السلام : والآية : ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ تشهد بنبوته؛ لأنّ بواطن أفعاله، هل كانت إلاّ بوحي الله تعالى؟! [١].

وقال الإمام السنّي ابن جزي الكلبي (٧٤١هـ): ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هو الخضر ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ يعني النبوة على قول من قال: إنّ الخضر نبي. وقيل: إنّه ليس بنبي، ولكنّه وليّ..؛ وتظهر نبوته من هذه القصة، أنّه فعل أشياء لا يعملها إلاّ بوحي[٢].

قلت: وهو استدلال، من لم يحط خبراً بالقرآن؛ فالله تعالى من فوق سبع سماوات قال في سورة القصص:

﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٣].

وقال عزّ اسمه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّكَ مَا يُوحى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي﴾[٤].

---

(١) تفسير ابن عطيّة= المحرر الوجيز (ت: عبد السلام) ٣: ٥٢٨. دار الكتب العلميّة، بيروت.

(٢) تفسير ابن جزي الكلبي (ت: عبد الله الخالدي) ١: ٤٧٠. دار الأرقم بن أبي الأرقم. بيروت.

(٣) سورة القصص: ٧.

(٤) سورة طه: ٣٨-٣٩.

قال مقاتل في تفسيره: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى﴾ واسمها يوكابد، من ولد لاوي بن يعقوب أَنْ أَرْضِعِيهِ، فأمرها جبريل عليه السلام بذلك [1].

قلت: سيأتي أنّ العلماء اختلفوا في وحي أمّ موسى عليها السلام، أهو إلهام، أم مشافهة ملك كجبرائيل عليه السلام!!

والصحيح أنّه ملك كريم؛ لما في الوحي النازل عليها من علوم الغيب التي لا تصلح لغير معصوم ؛ كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فهذا محال بمجرّد الإلهام؛ أي من دون سماع مَلَك كجبرائيل ومشافهته.

يشهد لوحي أمّ موسى قطعاً، وأنّه ليس بإلهام، قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ...﴾ فهو وحي بالملائكة ، وإنباء بالغيب عنهم ، ليس بإلهام، إجماعاً وضرورة.

ومعنى الوحي هيهنا: مخاطبة الملائكة وسماعهم فيما جاؤوا به من غيب الله سبحانه وتعالى. وسيأتي عنّا في العنوان الآتي أنّ الوحي على قسمين؛ فوحي الأنبياء والشرائع غير وحي الأوصياء وبقيّة المعصومين؛ فالأول تأسيسي والثاني تأييدي، هاك البيان والتبيان والبرهان، ولا أقل من القرآن؛ كالآتي:

(١) تفسير مقاتل ٣: ٣٣٦. إحياء التراث، بيروت. ت: عبد الله شحاتة.

الوحي على قسمين!!

القسم الأوّل: وحي الأنبياء عليهم السلام.

وهو بهذا الوصف، لا ينزل إلاّ على خصوص الأنبياء والرسل، سواء أكان الوحي جبرائيل، أو روح القدس، أو إسرافيل أو عزرائيل أو أياً كان منهم عليهم الصلاة والسلام.

وأكثر من أنيطت إليه هذه المهمّة بأمر الباري تعالى ، هو سيّدنا جبرائيل ، كما نطقت النصوص المتضافرة المتواترة؛ وأصل وظيفة وحي النبوّة: تأسيس شريعة جديدة، ولا ينزل إلاّ على الرجال؛ إذ لا نبوّة لأنثى إجماعاً وضرورة.

ولقد منع الشيعة عن بكرة أبيهم -كأهل السنّة عن بكرة أبيهم - أن ينزل وحي النبوة على غير الرسل والأنبياء عليهم السلام ، وهذا معلوم ضرورة، لكنّهم أنار الله برهانهم قالوا أيضاً: لا نمنع، نزول وحي التأييد والتسديد ، جبرائيل أو غيره من المقربّين عليهم السلام ، على الأوصياء ومطلق المعصومين، والغرض منه الائتمان على الشريعة ائتماناً معصوماً؛ وبعض مستندهم في ذلك: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى﴾ و: ﴿قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ وما جاء في الأسباط عليهم السلام وغيره.

القسم الثاني: وحي الأوصياء والمعصومين.

وهو بهذا الوصف ينزل على الأوصياء ومطلق المعصومين، رجالاً ونساءً. وأصل وظيفة وحي العصمة: التسديد والتأييد لما أسسه وحي النبوة، ولو من باب البشارات؛ كما في بشارة يوسف بموسى، وموسى بعيسى....

فنزول جبرائيل على مريم صلوات الله عليها، وهي من المعصومين عليهم السلام ؛ إنّما هو تسديد وتأييد لما بشّر به موسى وأسّسه، أو لكونه تكليفاً خاصّاً ، أو كلاهما .

والوحي هنا هو عين جبرائيل، أو روح القدس، أو...، سوى أنّ الوظيفة تبدّلت من التأسيس إلى التسديد.

ومن هذا القبيل نزول جبرائيل على أم موسى يوكابد عليها السلام؛ فموسى بشارة يوسف ويعقوب عليهما السلام، كما سيتضح قريباً..

قال الآلوسي: والظاهر أنّ الإيحاء إليها كان بإرسال ملك، ولا ينافي ذلك الإجماع على عدم نبوتها، لما أنّ **الملائكة عليهم السلام قد ترسل إلى غير الأنبياء وتكلّمهم**[1].

وقال الإمام النسفي (٧١٠هـ): ﴿وَأَوْحَيْنَا إلى أُمّ موسى﴾ بالإلهام، أو بالرؤيا، أو بإخبار ملك كما كان لمريم، **وليس هذا وحي رسالة**[2].

وقال قتادة (١١٧هـ): ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى﴾ وحياً جاءها من الله، فقذف في قلبها، **وليس بوحي نبوة**[3].

قلت : ويناسب ما نحن فيه ..

(١) تفسير الآلوسي (عليّ عطيّة) ١٠ : ٢٥٢. دارالكتب العلميّة ، بيروت .

(٢) تفسير النسفي (ت: محيي ديب) ٢: ٦٢٨. دار الكلم الطيب، بيروت.

(٣) حكاه عنه الطبري في تفسيره (ت: عبد الله التركي) ١٨: ١٥٥.دار هجر للطباعة

لجبرائيل عليه السلام ثلاثة أنحاء من الوجود

ولا بدّ من التنبيه أنّ جبرائيل صلوات الله عليه ، أو إسرافيل ، أو عزرائيل صلوات الله عليهم أو أياً من المقرّبين...، له ثلاثة أنحاء من الوجود..

النحول الأوّل : بما هو وحي نبوّة .

النحو الثاني : بما هو ملك ينطق بالغيب وعلوم اللدنّ.

النحو الثالث : التمثّل البشري .

فجبرائيل بالنحو الأوّل ، لا يراه أو يسمعه غير النبي ﷺ ، وأمّا بقيّة المعصومين فكلاّ إجماعاً محقّقاً ، على ما قضى الله سبحانه وتعالى ، والعلّة في ذلك ، حصول اللبس بشبهة تعدد الشرائع .

وأمّا بالنحو الثاني فيراه ، ويسمع الغيب النازل به ، كلّ معصوم ليس بنبيّ ؛ لقوله تعالى : ﴿**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ**﴾[1] .

والمورد لا يخصّص الوارد ؛ فمولاتنا فاطمة من جنس مريم أو أفضل منها صلوات الله عليهما ؛ كونها –فيما هو معلوم ضرورة– : سيدة نساء أهل الجنّة .

وثمّة نحو آخر ، وهو أن يتمثّل مولانا جبرائيل أرواحنا له الفداء تمثلاً بشريّاً ، فيراه بقيّة النّاس ، وهذا ممكن ، بل واقع ؛ فمنه تمثله بالصحابي دحية الكلبي ، لكنّه في هذا الفرض لا ينطق غيباً ، علاوة على أنّه لا يقول شريعة ، فاحفظ .

---

(١) مريم : ٢٠.

الوحي الخاص والوحي العام !!

ثمّ الوحي، بقسميه، وحي الأنبياء ووحي الأوصياء، على قسمين أيضاً باعتبار عموم التكليف وخصوصه..

القسم الأول: التكليف العام.

لتعلق التكليف الموحى به للمعصوم بعموم الناس ، بما فيهم المعصوم؛ كالصوم والصلاة والحج.

القسم الثاني: الوحي الخاص.

لتعلّق التكليف الموحى به بمعصوم خاص، كما في الخضر ، ومريم ، وأم موسى عليهم السلام ، فقد أوحى الله تعالى إليهم تكليفاً خاصّاً بهم فقط، لا يتعلق بغيرهم، ومن ذلك جواز الزواج بتسعة نسوة في نبيّنا محمّد ﷺ.

ومن ذلك أيضاً أمر الله تعالى له بالإسراء إلى المسجد الأقصى ، ومن ثـمّ المعراج إلى الملكوت الأعلى حتى قاب قوسين أو أدنى ..

ومن ذلك أيضاً نزول جبرائيل على مولاتنا فاطمة بعد وفاة سيد الخلق يؤانسها بالأخبار الغيبيّة المتعلّقة بذراريها المعصومين عليهم السلام .

المفهوم الثاني

العلم اللدنّي

العلم اللدنّي : هو العلم الحاضر ، الموجِد لحقيقة العصمة ، المفاض عليها دون واسطة ، المؤثّر تكويناً بإذن الله تعالى بما دونه من الموجودات.

قال محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١١هـ) : ومن أَقسام العلم العلم اللَّدُنيّ، وهو : ما يحصل للعبد بغير واسطة، بل إلهام من الله تعالى، كما حصل للخضر- بغير واسطة موسى، قال تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾[١].

قولنا : دون واسطة ؛ أي من دون وحي ، أو كسب ، أو رياضة ، أو نظر ؛ لقوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

قال الإمام الشافعي الإيجي ، محمد بن عبد الرحمن (٩٠٥هـ) في تفسيره : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بمزيد العلم اللدني[٢].

وقال الإمام السنّي أبو حيّان الأندلسي (٧٤٥هـ) في المحيط : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾أي من عندنا ، أي ممّا يختص بنا من العلم ، وهو الإخبار عن الغيوب [٣].

قال الطنطاوي في تفسيره : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ من عندنا ، لا من عند غيرنا، علماً خاصاً ، لا يتيسَّر ، إلاّ لمن نريد تيسيره ومنحه له[٤].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ت: محمد النجار) ٤ : ٩٣ . إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة .

(٢) تفسير الآيجي ٢: ٣٩٦ . دار الكتب العلميّة ، بيروت .

(٣) المحيط (ت: محمد صدقي جميل) ٧: ٢٠٤ . دار الفكر ، بيروت .

(٤) تفسير الطنطاوي ٨: ٥٥١ . دار نهضة مصر ، القاهرة .

ولك أن تقول -هو بإذن الله تعالى- : قوّة نورانيّة قدسيّة خلاّقة ، منكشفة بنفسها كاشفة لغيرها ، مؤثّرة في الأشياء تكويناً .

وقال الإمام السنّي النيسابوري (٨٥٠هـ) في نبيّنا ﷺ : ﴿وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[١] هو العلم اللدنّي [٢].

قال الإمام الواحدي (٤٦٨هـ) : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ﴾ بالنبوّة والعصمة ﴿عَظِيماً﴾[٣].

قلت : بالعلم اللدنّي كان فضل الله على نبيّنا وعلى بقيّة المعصومين عظيماً ؛ إذ لا نبوّة أو عصمة إلاّ بهذا العلم ، فهما متوقّفان عليه توقّف المعلول على علّته التامّة، على ما قضى الله تعالى .

ممّا يشهد لكونه ظاهراً مظهراً ، قول الإمام السنّي النسفي (٧١٠هـ) في تفسيره: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ يعني الإخبار بالغيوب [٤].

---

(١) سورة النساء: ١٦٤.

(٢) تفسير النيسابوري(ت: زكريا عميرات) ٢: ٤١٥. دار الكتب العلميّة ، بيروت .

(٣) الوسيط للواحدي (ت: عادل الموجود) ٢: ١١٤ . دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان .

(٤) تفسير النسفي (ت: محيي الدين مستو) ٢: ٣١٠. دار الكلم الطيّب، بيروت.

العلم اللدني هو علم الغيب

مرّ قول الإمام السنّي النسفي (٧١٠هـ) في تفسيره : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ يعني الإخبار بالغيوب [١].

وكذا قول الإمام السنّي أبو حيّان الأندلسي (٧٤٥هـ) في المحيط : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ أي من عندنا ، أي ممّا يختص بنا من العلم ، وهو الإخبار عن الغيوب [٢].

قلت : فالعلم اللدنّي من خواص العصمة التكوينيّة ، كونه يدور على معجزة الإخبار بالغيب ، وننبّه إلى أنّ العلم اللدنّي ليس هو الإخبار بالغيب ، وإنّما هو سببٌ تكويني لانكشاف الغيب وأسراره بإذن الله تعالى ، وهذا ضروريّ .

كما أنّه سببٌ لرؤية ملكوت الله تعالى..؛ فقوله سبحانه : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٣] ممّا يقرّب المطلب للأذهان ؛ فإبراهيم عليه السلام إنّما رأى الملكوت بما عنده من علم لدنّي .

وعلم الغيب دليل الصدق والعصمة .

قال الطبري (٣١٠هـ) : قوله تعالى ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ هذا خبرٌ من يوسف عليه السلام للقوم عمّا لم يكن في رؤيا ملكهم، ولكنّه من علم الغيب الذي آتاه الله ؛ دلالةً على نبوته ، وحجةً على صدقة[٤] .

الزبدة : علم الغيب برهان العصمة ، ودليل الصدق .

---

(١) تفسير النسفي (ت: محيي الدين مستو) ٢: ٣١٠. دار الكلم الطيّب، بيروت.

(٢) المحيط (ت: محمد صدقي جميل) ٧: ٢٠٤ . دار الفكر ، بيروت .

(٣) الأنعام : ٧٥.

(٤) تفسير الطبري (ت: أحمد شاكر) ١٦: ١٢٨. مؤسسة الرسالة ، بيروت .

تفسير : ﴿بما أراك الله﴾

قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾[١].

قلت : ذكر غير واحد أنّ المقصود : ﴿بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ القرآن وهو خطأ ، وإلاّ لقال أنزلنا إليك الكتاب لتحكم به .

والصحيح هو العلم اللدنّي الذي به يرى الغيب ، وما استتر على بقيّة الخلائق ، يشهد له قول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾[٢] .

وهو نصٌّ فصيح أنّ رؤية الملكوت -وهو من الغيب- متوقّفة على هذا العلم ، توقّف المعلول على علّته التامّة .

قال الإمام السنّي السمرقندي (٣٧٣هـ) : ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللهُ﴾ أي بما أعلمك الله ، وألهمك، وبما أوحي إليك [٣].

وقال الإمام السنّي القشيري (٤٦٥هـ) : ﴿بِما أَراكَ اللهُ﴾ بما كاشفك به من أنوار البصيرة[٤].

وقال الواحدي (٤٦٨هـ) في الوجيز : بما علّمك الله[٥] .

---

(١) النساء : ١٠٥.

(٢) النجم : ٣٣-٣٦.

(٣) تفسير السمرقندي ١ : ٣٣٥.

(٤) تفسير القشيري (ت: إبراهيم البسيوني) : ٣٥٩. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، مصر .

(٥) الوجيز (ت: صفوان داوودي) : ٢٨٧. دار القلم ، دمشق .

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) في تفسيره : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[١] **أراه ملك السماوات والأرض**، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما، **وجلَّى له بواطنَ الأمور وظواهرَها**[٢].

وقال الإمام البغوي (٥١٠هـ) : ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ **كشف له** عن ملكوت السموات والأرض ، حتى العرش ، وأسفل الأرضين ، ونظر إلى مكانه في الجنة[٣].

ونشير إلى أنّ كثيراً من البسطاء يسأل : ألم يكن إبراهيم من الموقنين ؟!!

قلنا : اليقين القلبي التعبّدي ؛ كاليقين بملكوت الجنّة والنار والملائكة، كما هو حال أكثر الموحدّين شيء ، واليقين الحسّي- بالملكوت ؛ بمشاهدة أسراره وبواطنه وغيبه وتدبيره وتجلّياته ، شيءٌ آخر أشرف منه ، وإبراهيم صلوات الله عليه في قوله : ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[٤] نشد الثاني ؛ فالأوّل حاظر بالضرورة .

الزبدة :

الإرائة هي : العلم اللدنّي الذي به ينكشف الملكوت ، وعلم الغيب ، وأسرار الخلقة ، وتجلّيات التدبير والتأثير ، على ما ارتضاه الله تعالى وأذن به .

فالملكوت هو: عالم السر والغيب والباطن والتجلّي والانكشاف، ما شئت فعبّر.

وأخيراً فعلم الله اللدنيّ لا يكون لغير المعصوم ، ويلزم التنبيه على أمر..

---

(١) سورة الأنعام : ٧٥ .

(٢) تفسير الطبري (ت: أحمد شاكر) ١١: ٤٧٥ . مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٣) تفسير البغوي (ت: عبد الرزاق مهدي) ٢: ١٣٦ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٤) البقرة : ٤٤ .

دعوى بعض الصوفيّة في العلم اللدنيّ

ذكر بعض الصوفيّة جزافاً أنّ هذا العلم ممّا يمكن الوصول إليه بالريّاضات والأوراد والمجاهدات ، أو كذا ذكروا ..؛ بل قد أفرط هذا البعض فذكر أنّ منهم من ألمّ ببعض علوم الغيب الإلهيّة !!.

قلنا : والجزاف في هذا واضح ظاهر ؛ فمن خصائص العلم اللدنيّ وميزاته:

أولاً : أن يكون إفاضة دفعيّة من الله تعالى مباشرة ، دون سببٍ من مجاهدة أو تعليم أو ريّاضة ، ولا يثبت هذا إلاّ بمعجزة أو نصّ قطعي .

ثانياً : العلم اللدني ، يعني -فيما يعني- علم الغيب الإلهي الذي ارتضاه الله تعالى لبعض عباده ، وهو خاص بأهل العصمة ، ولا يثبت إلاّ بمعجزة أو نصّ قطعي ، وكلّ من ادّعاه غيرهم فهو دجّال .

ثالثاً : العلم اللدني ، يعني -فيما يعني- ولاية التكوين والتدبير في الموجودات الأدنى ، كقول النبيّ ﷺ لجبل أحد لما اضطرب : «**اسكن أحد**» [1].

الزبدة : العلم اللدنّي معجزة العصمة ، وبرهان الصدق ، ودليل النبوات والرسالات ، فمن ادعاه غيرهم فهو لا محالة دجّال .

بلى قد يصل بعض الصالحين إلى مرتبة ما من الإنكشاف ، ولكنّه لا يدور على معجزة كما دار مع الأنبياء كداود ، ومع الأوصياء كالخضر وطالوت ، ومع بقيّة المعصومين كمريم عليهم السلام ؛ فاحفظ الفرق ولا تنزلق .

---

(١) صحيح البخاري(ت: زهير الناصر) ٥: ١٥، رقم: ٣٦٩٩. دار طوق النجاة ، بيروت .

العلم اللدنّي هو روح القدس

لك أن تقول : إنّ العلم اللدنّي هو : روح القدس . والقدس هو الله تعالى ، أو : عالم الطهارة والوجود والنور ، ليس فيه ظلمات ولا فقدانٌ ولا شرور ، والروح أضيفت إليه .

يدلّ عليه في القرآن قوله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي** ﴾ .

وهو ظاهر أنّ قدرة المعصوم على أن يكلّم الناس في المهد ، معلولة لروح القدس المتّحدة مع نفسه الإنسانيّة الناطقة اتحاداً ماهويّاً .

فالروح القدس نوعٌ له أفراد ، كما أنّ الإنسانيّة نوع لها أفراد ؛ لذلك فلا مانع من تفسير الروح القدس بجبرائيل أو غيره من الملائكة ، في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ [1] ؛ فجبرائيل مصداقٌ ، أو فردٌ لروح القدس كما أنّ إسرافيل كذلك ، وكذا فذات نبيّنا محمد فردٌ ثالث ، والكلام هو الكلام في عيسى وبقيّة الانبياء وأهل العصمة ، كلّ واحد منهم فرد له ؛ فالاقتصار في تفسير الروح القدس بجبرائيل فقط خطأ ؛ ولا بأس به من باب التفسير بالفرد والمصداق ، فاحفظ هذا .

ولك أن تقول : العلم اللدنّي ، هو اسم الله الأعظم ، الذي إذا دُعِيَ به الله تعالى أجاب على الفور ؛ إذ الاسم الأعظم من علوم الغيب اللدنيّة ؛ فافهم.

---

(١) سورة النحل : ١٠٢ .

تفسير آية عويصة

اعتاص على جلّ علماء الفريقين ، سيما أهل السنّة ، تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1] .

ولقد زعم بعض حشويّة الخوارج من أتباع بني أميّة قالوا : ظاهر الآية أنّ النبيّ محمد ﷺ كان جاهلاً حتّى بعثه الله تعالى نبيّاً في سنّ الأربعين ، بل قد تطاول طائفةٌ منهم أركسهم الله في جهنّم ، فقالوا بكفر النبيّ ﷺ قبل البعثة ، كبرت كلمةً تخرج من أفواههم ، ولعنوا بما قالوا .

قلنا : نمنع الظهور ؛ فالله تعالى هيهنا خاصّة قال : ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا ﴾ ولم يقل أوحينا إليك شريعةً أو قرآناً أو سنّة ، حتى يرد إشكال الجهالة قبل البعثة .

وهذه الروح هي روح القدس ، وهي مقوّمة لذاته منذ أن أوجده الله تعالى ، وهي غير القرآن والشريعة التي نزلت عليه بعد سنّ الأربعين ..

يشهد له قول الله تعالى : ﴿قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[2] .

وهو نصٌّ أنّ التأييد بروح القدس شيء ، به كلّم النّاس في المهد صبيّاً وكهلاً ، أمّا تعليم التوراة والإنجيل والكتاب فشيءٌ آخر غير ذاك .

---

(١) سورة الشورى : ٥٢ .

(٢) سورة المائدة : ١١٠ .

إذ قوله تعالى : ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ نصٌّ ظاهرٌ أنّه إنّما كان قادراً أن يكلّم الناس في المهد ؛ لكونه كان مؤيّداً بروح القدس ، فالثاني متوقّف على الأوّل توقّف المعلول على علّته التامّة على ما قضى الله تعالى .

وهذا الروح ، هو عين العلم اللدنيّ والنورالقدسي ؛ لقوله تعالى في نبيّنا ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[1] ، وقد مرّ قول الإمام السنّي النيسابوري أنّ هذا العلم هو العلم اللدنّي [2].

فقارن بين قوله تعالى : ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ وبين قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ لن تجد غير العلم اللدنّي أو روح القدس ، ما شئت فعبّر ، فهما لفظان لحقيقة واحدة ، وهما مقوّمان داخلان في حقيقة العصمة منذ أن أوجدها الله تعالى .

الزبدة : روح القدس علّة لتحقّق أمرين في الوجود ، على ما قضى الله تعالى :

الأولى : التثبيت والهداية التكوينية .

الثانية : الهداية التشريعيّة .

وهما مجموعان في قوله تعالى : ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [3] .

---

(١) سورة النساء: ١٦٤.

(٢) تفسير النيسابوري(ت: زكريا عميرات) ٢: ٤١٥. دار الكتب العلميّة ، بيروت .

(٣) سورة النحل : ١٠٢ .

روح القدس مقوّمٌ لذات المعصوم

نعتقد نحن الشيعة أنّ روح القدس متّحد بذات المعصوم منذ أن أوجده الله تعالى حتّى ما بعد مماته ، داخلٌ في حقيقته ، كدخول الفصل في النوع ، كما يجب أن يعلم أنّ ولاية التكوين وطائفة من المعاجز الصادرة عن المعصوم ، معلولة لروح القدس ، أو العلم اللدنيّ ما شئت فعبّر..

الزبدة : فالنبيّ محمد ﷺ ، وكذا بقيّة الأنبياء وقاطبة أهل العصمة ، عالمون بالله وبالإيمان من أوّل وجودهم المقدّس ، كلّهم حسب درجته .

وربما يسأل بعض الشيعة عن مستند دعوى الاتّحاد في أخبار أهل العصمة عليهم السلام الثابتة؟!!

قلنا : يدلّ على الاتحاد في أخبارنا القطعيّة ، ما أخرجه الصفار في بصائر الدرجات قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن ابن بكير، عن زرارة ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[1].

قال أبو جعفر عليه السلام: «منذُ أنزل اللهُ ذلك الروح على نبيه ما صعد إلى السماء **وإنّه لفينا** »[2].

قلت: إسناده صحيح دون أدنى كلام . وهو ظاهرٌ فيما ادعيناه ، ولنا في هذا بسط في بعض كتبنا القادمة ، نسأل الله تعالى العون على إنجازها .

---

(١) الاسراء: ٨٥ .

(٢) بصائر الدرجات : ٤٧٧ . باب الروح . مطبعة الأحمدي، طهران .

المفهوم الثالث

الولاية التكوينيّة = التدبيريّة

الولاية التدبيريّة -ولك أن تقول التكوينيّة -: هي تصرّف موجودات العالم الأشرف، بموجودات العالم الأدنى، تصرّفاً تكوينياً، بإذن الله تعالى ، وأصلها في القرآن قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[1] ونحوها من الآيات.

قال الطبري (٣١٠هـ): ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة المدبّرة ما أُمرت به من أمر الله، وكذلك قال أهل التأويل[2].

قلت: وعلى هذا إجماع أهل القبلة، وأفضل مثال يوضّح أبعادها، ولاية عزرائيل صلوات الله عليه في قبض أرواح الموجودات الأدنى، وولاية جبرائيل في إنزال الأمر، وولاية إسرافيل وميكائيل في إنزال الرزق والخير والنصر والظفر..

ومن ذلك ولاية الخضر عليه السلام في اخضرار ما يجلس عليه، ومن ذلك أيضاً أنّ من اصطفاهم الله تعالى من بني إسرائيل...؛ موسى وهارون، ومَنْ بعدهما يوشع وطالوت عليهم السلام، لا يضعون التابوت في حرب إلاّ والنصر حليفهم، وسيأتي بعض البسط في الفصل الثاني.

ويجب التنبيه إلى أمرٍ؛ فلكلّ أهل العصمة، الأنبياء والأوصياء، ولاية تدبيريّة فيما دونهم من الموجودات - حسب درجاتهم - دون استثناء؛ ففي كلّهم عليهم السلام الأهليّة التامّة لإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإتيان بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف، وأن لا يحترق بنار إبراهيم ، وأن لا تأكل الأرض بدنه المقدّس إذا

---

(١) سورة النازعات: ٥.

(٢) تاريخ الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ٢٤: ١٨٥. مؤسسة الرسالة، بيروت.

مات، وكلّهم - كلٌ حسب درجته - يرى الملكوت كإبراهيم عليه السلام، وكلّهم قادرٌ أن يكلّم النّاس في المهد، قد أوتي الحكم صبيّاً....

غاية الأمر؛ قضت حكمة الله تعالى أنْ لا يقع هذا إلاّ بإذنه سبحانه، فعزرائيل قادر تكويناً على أن يقبض الأرواح ، منذ أنْ أوجده الله تعالى، غاية الأمر قضى سبحانه أن لا يكون هذا حين القبض إلاّ بإذنه سبحانه ؛ إذ الحاكم في الوجود قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1]..

وعلى هذا يحمل مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[2].

فعيسى قادر أن يدبّر كلّ ذلك، منذ أن أوجده الله تعالى، لكن لا يقع من عيسى تدبير إلاّ بإذنه وتقديره سبحانه ؛ إذ المدبّر الحقيقي لكلّ شيء، بنحو العلّة التامّة، هو الله تعالى لا غير، وسيأتي البسط في هذا في كتابنا القضاء والقدر إذا أذن الله تعالى.

الزبدة :

لكلّ معصوم ولاية تأثير تدبيريّة (=تكوينيّة) ، بعض الغرض الإلهي منها أنّها معجزةٌ تثبت عصمته ، وصدقه إذا أخبر عن الغيب القدسي ، سواء كان نبيّاً كموسى ، أو وصياً كالخضر ، أو معصوماً كمريم ؛ فكلّهم أخبر عن غيب الله الذي لا يعلمه إلاّ هو سبحانه ، وولاية مريم التكوينيّة معلومة ضرورة ؛ فإنّها صلوات الله عليها هزّت النخلة اليابسة فتساقط عليها رطباً جنيّاً ، وقد مرّ اقرار ابن تيمية بهذا .

---

(١) سورة الرعد: ٣٩.

(٢) سورة آل عمران: ٤٩.

ولاية التدبير والمعجزة

ننبّه أنّ لكلّ إنسان يؤمن بالله تعالى ورسوله وكتابه ، ولاية تأثير تكوينيّة ما ، تناسب رتبته في عالم الارتباط بالقدس الإلهي ؛ إذ ما من مسلم إلاّ وله إرتباط ما..

فمن ذلك ما أخرجه البخاري قال : حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة، حُطّت خطاياه، وإنْ كانت مثل زبد البحر**» [١].

قلت : إسناده صحيح ، تلقته الأمّة بالقبول . وهو نصٌ في المطلوب .

وأيضاً فكلّ مسلم ، هو مرتبط بعالم الملكوت ارتباطاً تكوينياً ما ، بحيث له القدرة على أن يتصرّف فيه ، حسب ما آتاه الله تعالى وأذن به سبحانه ..

يدلّ عليه ما أخرجه الترمذي قال : حدثنا محمد بن رافع، قال: حدثنا المؤمل، عن حماد بن سلمة، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة**» حديث حسن [٢].

وكذا ما تواتر من ردّ القضاء بالدعاء ، وإطالة الأعمار بالصدقة ، وصلة الرحم، واستجابة الله تعالى دعاء الأم ، وغير ذلك ، وهذا معلوم ضرورة .

بيد أنّ فيما نحن فيه أمرٌ آخر ، فولاية التدبير ما يساوق المعجزة المثبتة للنبوات وعصمة الصدّيقين ، من قبيل ولاية موسى على العصى لمّا قلبها ثعباناً على الحقيقة بإذن الله تعالى ، وكولاية مريم على النخلة اليابسة و...، فاحفظ الفرق .

---

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٨: ٨٦، رقم: ٦٤٠٥. دار طوق النجاة ، بيروت .

(٢) سنن الترمذي(ت: بشار عوّاد) ٥: ٣٨٨، رقم: ٣٤٦٥. دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

المفهوم الرابع

المعجزة

معنى المعجزة ، ودلالتها على العصمة !!

عرّف العلماء المعجزة –واللفظ لي للتوضيح– بأنّها : ما خرق العادة ، ممّا يتعذّر على البشر إيجاده ، لإثبات صدق النبوّات .

قال الإمام السنّي أبو المظفّر الأسفراييني (٤٧١هـ) على سبيل المثال : الدَّلِيل على صدق المُدَّعِي للنبوة هُوَ المعجزة ، والمعجزة : **فعل يظْهر على يَدي مدعي النُّبُوَّة بِخِلَاف الْعَادة ، فِي زمَان التَّكْلِيف ، مُوَافقا لدعواه ، وَهُوَ يَدْعُو الْخلق إِلَى معارضته ، ويتحدّاهم أَن يَأْتُوا بِمثلِهِ ، فيعجزوا عَنهُ ، فيبين به صدق من يظْهر على يَده** ، وَمَا من رَسُول من رسل الله تَعَالَى إِلَّا وَقد كَانَ مؤيداً بمعجزة ، أَو معجزات كَثِيرَة ، تدل على صدقه ، وَقد أخبر الله تَعَالَى عَن كثير مِنْهَا ، فَذكر فِي قصَّة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام فلق الْبَحْر ، وقلب الْعَصَا حَيَّة ، وَالْيَد الْبَيْضَاء ، وَفِي قصَّة دَاوُد وَسليمَان تليين الْحَدِيد ، وتسخير الرّيح وَالشَّيَاطِين والطيور وَجَمِيع دَوَاب الأَرْض فِي الْبر وَالْبَحْر ، وَفِي قصَّة عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام إحْيَاء الْمَوْتَى وإبراء الأكمه والأبرص ، وَذكر فِي صفة الْمُصْطَفى صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه يَدْعُو مخالفيه إِلَى مُعَارضَة مَا أتى بِهِ من الْقُرْآن أَو سُورَة مِنْهُ فَقَالَ تَعَالَى ﴿**فَأتوا بِسُورَة من مثله**﴾ فَكَانَ الْقُرْآن معْجزَة لَهُ قاهرة لأعدائه، إِلَى معجزات كَثِيرَة سواهَا ، ظَهرت على يَده بِخِلَاف الْعَادة ، مثل تكليم الذِّرَاع، وتسبيح الْحَصَى فِي يَده ، ونبوع المَاء من بَين أَصَابِعه ، وحنين الْجذع عِنْد مُفَارقَته، وأجابة الشَّجَرَة عِنْد دَعوته ، وإنشقاق الْقَمَر فِي وقته ، كل ذَلِك قريب من مِائَتي معْجزَة ذكرنَا أَكْثَرهَا فِي الْأَوْسَط ، كلّ ذَلِك مَشْهُور فِي كتب الْأَخْبَار

والتواريخ مَذْكُور اتّفق أهل النَّقْل على وجودهَا ونقولها بطرق يجب الْقطع على مَعْنَاهَا [١].

قال الإمام الحنفي ابن نجيم المصري (٩٧٠هـ) : سميت المعجزة آية ؛ لدلالتها على النبوة ، وصدق من ظهرت على يده [٢] .

وقال الجرجاني (٨١٦هـ) في شرح المواقف : فنحن نجزم بصدق من ظهرت المعجزة على يده [٣] .

وقال ابن تيمية : والدليل على نبوة الأنبياء ، المعجزات[٤].

قلت : وافقنا أهل السنّة على هذا دون كلام ؛ فلقد وافقناهم على أنّ المعجزة دليل نبوّة الأنبياء عليهم السلام ، وأنّها دليل على صدقهم وعصمتهم فيما بعثهم الله تعالى .

لكن خالفناهم في دعواهم أنّ المعجزة لا تقع لغير نبيّ ، وأنّ ما وقع لغير النبيّ من معاجز الأولياء ، فكرامة ليست بمعجزة .

قلت : وهو ممتنع ؛ ضرورة أنّ المعجزة –بما هي معجزة– لا تكون غيرها ، وإلاّ لزم اجتماع النقيضين المحال ، أي اجتماعها هي وغيرها ، وجودها وعدمها ، وهو محال لا ريب ..، هاك تخريجهم لذلك ..

---

(١) التبصير في الدين (ت: كمال يوسف الحوت) : ١٦٩. عالم الكتب ، لبنان .

(٢) البحر الرائق (ت: زكريا عميرات) : ٥٩١. دار الكتب العلميّة ، بيروت .

(٣) شرح المواقف ٨: ١٩٣ . مطبعة السعادة ، مصر .

(٤) شرح العقيدة الأصفهانيّة (ت: محمد الأحمد) : ٣٠ . المكتبة العصريّة ، بيروت .

بطلان دعوى اختصاص المعجزة بالأنبياء

قال إمام الأحناف (١٢٥٢هـ) في زمانه ابن عابدين : المعجزة لا بد أن تكون ممّن يدعي الرسالة ؛ تصديقاً لدعواه ، والولي لا بد من أنْ يكون تابعاً لنبي ، وتكون كرامته معجزةً لنبيه ؛ لأنّه لا يكون ولياً ما لم يكن محقاً في ديانته واتباعه لنبيه ، حتى لو ادعى الاستقلال بنفسه ، وعدم المتابعة ، لم يكن ولياً بل يكون كافراً ، ولا تظهر له كرامة .

فالحاصل : إنّ الأمر الخارق للعادة بالنسبة إلى النبي معجزة ، سواء ظهر من قبله ، أو من قبل آحاد أمّته ، وبالنسبة إلى الولي كرامة لخلوه عن دعوى النبوة [1].

قلت : هذا ما عليه جلّ أهل السنّة أو كلّهم ؛ فالمعجزة هي المعجزة الخارقة للعادة ، لكنّها لا تسمّى معجزة لغير النبيّ من الأولياء ، بل كرامة .

ويرد عليهم ، بعد اعترافهم بأنّ ما يظهر على يد غير النبيّ خارقٌ للعادة كالذي يظهر على يد النبيّ ، وأنّ حقيقة كلّ منها المعجزة ، اللعب بالألفاظ .

والدليل القطعي على هذا ، ظهور المعاجز والخوارق على يد الخضر صلوات الله عليه ؛ كعلمه اللدنّي بالغيب والاخضرار وماء الحياة وغير ذلك ، مع أنّه ليس بنبيّ ولا تابعاً لنبيّ ، بل كان النبيّ تابعاً له ، والأمر هو الأمر مع طالوت ومريم وأمّ موسى وذي القرنين و...، وسيأتي الكلام كلٌّ في محلّه ، فاحفظ .

وقد تقدّم اقرار ابن تيمية بهذا ، فتذكّر .

---

(١) حاشية ردّ المختار ٣ : ٦٠٥ . دار الفكر ، بيروت .

مناقشة قيد التحدّي !!

ذكر مشهور أهل السنّة ، ووافقهم جماعة من أصحابنا ، أنّ المعجزة : الأمر الخارق للعادة ، الذي يتعذّر على البشر ، مقروناً بالتحدّي .

وغاية مقصودهم من هذا القيد –لو سلّمناه– أنّ المعجزة لو وقعت من غير النبيّ سُمِّيت كرامة ، فلا تدلّ على نبوّة ناهيك عن عصمة ؛ وإلاّ وقع اللبس بين النبيّ وبين غيره من بقيّة النّاس ممّن لا يسوغ الانقياد المطلق لهم كما هو للمعصوم .

قلت : فآصف بن برخيا عليه السلام قد جاء بمعجزة مقرونة بالتحدّي ، هاك قوله تعالى : ﴿**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ** أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ...، **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾[1].

وهذا الخضر صلوات الله عليه ، وهو عين المعجزة ، تحدّى موسى فقال : ﴿**إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً**﴾[2].

وكذا سيدتنا مريم التي : ﴿أَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ** قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ﴾ وهذا عين التحدّي ؛ فمولاتنا مريم أثبتت صدقها وأنّها مصطفاة مبعوثة من قبل الله تعالى ، بهذه المعاجز المقرونة بالتحدّي .

الزبدة : فالمعجزة بقيد التحدّي جارية في كلّ معصوم ، نبياً كان ، أم وصيّاً ، أم معصوماً . بلى متعلّق التحدّي في الأنبياء النبوّة ، وفي غيرهم من المعصومين الإمامة أو العصمة ، وننبّه أنّه لا يشترط في التحدّي اللفظ ، فيكفي الحال .

---

(١) النمل : ٤٠ .

(٢) سورة الكهف: ٦٧-٦٨.

الزبدة : المعجزة على قسمين

اتّضح أنّ الغرض من أصل المعجزة ، هو إثبات صدق المبعوث من قبل الله تعالى وأنّه معصوم فيما بعث من أجله ، سواء كان نبيّاً ، أم وصيّاً ، أم معصوماً لا نبيّاً ولا وصيّاً ..

وهذا هو ما تحصّل من الاستقراء في النصوص القطعيّة ؛ فالمعجزة على قسمين :

القسم الأوّل : معاجز الأنبياء عليهم السلام .

وهي التي تثبت صدق مدّعي النبوّة ، مقرونة بالتحدّي ؛ كعصا موسى ، والقرآن ، وانشقاق القمر ، وغير ذلك ، وهذا معلوم ضرورة .

القسم الثاني : معاجز المعصومين .

من أتباع الأنبياء عليهم السلام ، الأوصياء وغيرهم ، وهي التي تثبت صدق مدّعي الإمامة ، أو العصمة ، ممّن بعثه الله تعالى من غير الأنبياء عليهم السلام ؛ كالمعاجز الواقعة التي أجراها سبحانه على يد طالوت ، والخضر ، والفتى يوشع بن نون ، وأهل الكهف ، والخضر ، وذي القرنين ، ومريم ، وأم موسى ..

وهذا أيضاً معلوم ضرورة ؛ من قبيل : ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ**﴾[1] وقوله تعالى : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

ففيه على ما أنبأتنا قرائن الحال ، تحدٍ من مريم لأجلاف بني إسرائيل الحاسدين لمريم وزكريّا عليهما السلام .

---

(١) سورة آل عمران : ٣٧ .

المفهوم الخامس

السكينة

قال تعالى : ﴿أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾[1] .

السكينة في الآية الشريفة أعلاه ، وفي غيرها من الآيات هي :

رحمة خاصّة من الله؛ متقوّمة بالنصر والتأييد، والظفر والتسديد، والعلم اللدنّي العتيد.

ولك أن تقول: ذات قدسيّة ملكوتيّة؛ ذاتياتها النصر ... .

أخرج شيخ البخاري ، الإمام عبد الرزاق في تفسيره قال : حدّثنا الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الأحوص ، عن عليّ ، قال: «**السكينة لها وجه كوجه الإنسان ، ثمّ هي بعد ريح هفافة**» [2].

قلت : إسناده صحيح على شرط مسلم . و: «هفافة» خفيفة ليّنة سريعة .

ومهما كان تفسير الحديث أعلاه ، فالجامع هو أنّ السكينة ذات قدسيّة ، وجوهرٌ ملكوتيّ ، أمّا كونها ريحاً فلأنّها تمثّلت بذلك ، كما هو شأن كلّ الجواهر الملكوتيّة والذوات القدسيّة ، القادرة على التمثّل ، كتمثّل جبرائيل ، ولا يسعنا البسط .

---

(١) التوبة : ٢٦ .

(٢) تفسيره عبد الرزاق (ت: محمود عبده) ١: ٣٦٠. دار الكتب العلميّة ، بيروت .

العلم اللدنّي مقوّم للسكينة

أخرج الحاكم قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا سريج بن النعمان الجوهري، ثنا حماد بن سلمة، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة، قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لما أراد بناء البيت ضاق به ذرعاً، **فلم يدر ما يصنع، فأرسل الله السكينة ، وهي : ريح خجوج**، فانطوت فجعل يبني عليها كل يوم ساقا ومكة شديدة الحر، فلما بلغ موضع الحجر، قال لإسماعيل اذهب فالتمس حجرا فضعه ها هنا، فجعل يطوف بالجبال فجاءه جبريل بالحجر.

قال الحاكم : إسناده صحيح على شرط مسلم [1].

قلت : قوله ﷺ : « **فلم يدر ما يصنع، فأرسل الله السكينة** » نصٌّ ظاهرٌ أنّ العلم اللدنّي ، مقوّمٌ للسكينة ، من ذاتيّاتها ، كما أنّها متقوّمة أيضاً بالظفر والتأييد بالجنود ، وهو معلوم ضرورة . والخجوج هي التي تخترق كلّ شقّ .

فالسكينة إذن :

أولاً : ذات قدسيّة ، متقوّمة بالعلم اللدنّي ، كما هو ظاهر الحديث أعلاه .

ثانياً : هي عقلٌ ملكوتيٌّ تدبيريٌّ ، يؤثّر بما دونه من الموجودات .

يدلّ على ولايتها التدبيريّة ما سيأتي ؛ إذ ما نزلت إلاّ وأفاضت النصر والظفر ، وتثبيت القلوب ، كما هو معلوم ضرورة ؛ قال الله تعالى : ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [2] .

---

(١) مستدرك الحاكم (ت: مصطفى عطا) ١: ٦٢٩، رقم: ١٦٨٤.

(٢) سورة الفتح : ١٨ .

النصّ على ذاتيات السكينة

مرّ قوله تعالى : ﴿أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾[1] .

يشهد له ما أخرجه مسلم (٢٦١هـ) قال : حدثنا يحيى بن يحيى التميمي، وأبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن العلاء الهمداني - واللفظ ليحيى، قال يحيى: أخبرنا وقال الآخران: حدثنا - أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، **إلاّ نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**» [2].

قلت : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

وهو نصّ ظاهر أنّ الرحمة ، ونزول الملائكة ، والتأييد بهم ، من ذاتيات السكينة، والذاتيّات إمّا مقوّمات موجدة لحقيقة السكينة ؛ كالرحمة والعلم اللدنّي .

وإمّا لوازم ذاتيّة لا تنفك عنها ؛ كتأثيرها التام -بإذن الله تعالى- في نزول النصر، والظفر، وتثبيت القلوب والأقدام ، فاحفظ هذا.

---

(١) التوبة : ٢٦ .

(٢) صحيح مسلم (ت: عبد الباقي) ٤: ٢٠٧٤، رقم: ٢٦٩٩. دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

نزول السكينة على غير المعصوم محال!!

ذكرنا أنّ السكينة: رحمة لدنيّة إلهيّة خاصّة؛ تتقوّم بالعلم والظفر ، ونزولها على قسمين :

القسم الأوّل : النزول الابتدائي الاستقلالي.

وهي لا تنزل إلاّ على معصوم ، نبياً كان ، أم وصيّاً ، أم معصوماً لا نبيّاً ولا وصيّاً كمريم عليها السلام .

القسم الثاني : النزول التبعي .

أي تبعاً لنزولها على المعصوم عليه السلام ؛ إذ نزولها على غير المعصوم ، ابتداءً واستقلالاً ، محال في البرهان، غير واقع في القرآن، وأمّا نزولها على المؤمنين خاصّة، تبعاً لنزولها على المعصوم ، فلا مانع منه، بل هو واقع.

فأمّا البرهان؛ فلأنّها:

أولاً: لو نزلت على مخطىء ضال غير معصوم؛ كعائشة في الجمل، والخوارج في النهروان؛ لضاعت قيمة المعجزة في كونها هادية إلى السراط المستقيم، وهذا سفهٌ محال، كونه نقضٌ لغرض الحكيم سبحانه من إنزالها على خاصّة أصفيائه .

وثانياً: نزولها على غير المعصوم ممتنع؛ لضيق الظرف؛ وللتقريب فكم من امرءٍ جنّ، وبعضهم هلك، لأنّه رأى بعض الجنّ، مع أنّهم على المتعارف، خلقٌ دنيوي مكلّف مثلنا؟! فكيف بالسكينة وهي من عالم القدس والملكوت؟!!!

هاك مثالاً بسيطاً يبيّن جلالة عالم الملكوت وثقله على جلّ الخلق؛ لتعي ضيق الظرف الإنساني، في احتمال مظروف هذا العالم القدسي:

فلنتخيّل ما يحصل للإنسان العادي في الدنيا، إذا وقف وحده بين القبور في منتصف الليل، فانكشف له عالم الزبانية والعذاب والبرزخ؛ فشاهد أهل العذاب في جهنّم يعذّبون ويصرخون ويحترقون، ورأى صديدهم والغسلين، كما سمعهم وشاهدهم النبيّ ﷺ في معراجه وقبله وبعده؟!!

فهل غير المعصوم ينوء بذلك؟! فكيف بالسكينة وهي ملكوتيّة علويّة؟!.

بل حتّى المعصوم كجبرائيل القائل للنبي ﷺ في معراجه إلى عالم القدس والملكوت: لو دنوت أنملة لاحترقت، أو كما قال عليه السلام.

هذه بعض آثار السكينة اللدنّية؛ وثمّة سكينة كسبيّة تنال بالطاعات؛ كالسكينة التي فاضت على أصحاب النبي المقاتلين في بدر، وكالسكينة التي فاضت على أصحاب الحسين صلوات الله عليه في كربلاء المعظّمة.

وأمّا القرآن

فلقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1].

وهو نصٌّ في أنّ نزول السكينة على المؤمنين كان نزولاً تبعيّاً؛ أي بعد مبايعتهم للنبيّ عليه السلام وانقيادهم له .

وكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2].

(١) سورة الفتح: ١٨.

(٢) سورة الفتح: ٣.

والآية صريحة أنّ الله تعالى أنزل سكينته على المؤمنين، تبعاً لنزولها على النبي عليه السلام؛ أي بعد أن نصره الله تعالى نصراً عزيزاً؛ فالسكينة على ما أوضحنا تعني فيما تعني اليقين والنصر والظفر.

وأصرح من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) **ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا** وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[1].

قلت: فلاحظ العلاقة التكوينيّة بين النصر والسكينة من جهة، وبين نزولها على خصوص الرسول وأصحابه المؤمنين الصابرين من جهة أخرى، دون الفارّين عن الزحف؛ فهؤلاء خارجون تخصّصاً.

(١) سورة التوبة: ٢٦.

الصحابة والسكينة!!

من ادّعى نزول السكينة على كلّ أصحاب النبي ﷺ، يوم حنين مثلاً، فقد كذّب القرآن: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١].

فالصحابة على قسمين:

الأول: الجبان المتزلزل الفارّ من الزحف .

وهم : من ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وبديهي أنّ هذا القسم لم تنزل عليه السكينة، بل لا يمكن أن تنزل؛ لاجتماع النقيضين؛ وإلاّ لما فرّ؛ إذ السكينة تعني النصر والتأييد والثبات والشجاعة والإقدام ، إجماعاً وضرورة.

الثاني: المؤمن المطمئن الشجاع الثابت .

وهو من بقي يجالد الكفّار ، بالسكينة النازلة على الرسول ابتداءً وعليه تبعاً.

ومجموع الآيات – بما هي مجموع – صريح في المطلوب، واحذر أن تستدلّ بآية دون أخرى من الآيات أعلاه؛ فهذا منهج أهل البدعة، وهو ضلال؛ إذ القرآن بعضه يفسّر بعضاً.

وعجبٌ ممّن يقول : إنّ المقصود بقوله تعالى : ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [٢] هو أبو بكر ، مع أنّ النصّ السنّي الصحيح أثبت أنّ أبا بكر فارٌّ من الزحف جبان، وسيأتي الكلام .

---

(١) سورة التوبة: ٢٥.

(٢) سورة التوبة: ٤٠.

النبوّة بين الحقيقة والاعتبار !!

هذا المطلب مهمٌّ جدّاً ، جليلٌ أبداً ، ثمرته في الدين عظيمة مطلقاً ، لم أر من عرض له من العلماء قديماً وحديثاً ، وربما عرضوا له استطراداً ، فهاكه ..

ثمّة دعوى مطروحة من قبل غير واحد من أهل السنّة ، حاصلها : إنّ النبيّ ، أيّ نبيّ ، أفضل من غيره أيّاً كان هذا الغير!!

وفسادها أبين من الشمس في رائعة النّار ؛ فيكفي في ردّه قصّة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام في قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾[1] .

ومن يريد المكابرة مع الله ، والعناد مع القرآن ، فلا شأن لنا معه .

ما يلزم أن يُعْلم أنّ الأمر الواقعي الأصيل الوحيد فيما نحن فيه ، هو العصمة المتقوّمة بالوحي والعلم اللدنّي[2] أولاً ، والمعجزة ثانياً ، وولاية التدبير ثالثاً لا غير ، وهذه يشترك فيها النبيّ وغير النبيّ ، الخضر وموسى ، مريم وعيسى ، ذو القرنين وسليمان... ، عليهم الصلاة والسلام ، غاية الأمر أنّ مراتب المعصومين متفاوتة .

---

(١) سورة الكهف : ٦٥-٧٢ .

(٢) مرّ إثبات أنّ الوحيّ على قسمين ، فتارة بواسطة الملك كجبرائيل ، وأخرى علماً لدنيّاً ؛ فقولنا : الوحي والعلم اللدنّي ، من باب عطف الخاص على العام ، وإن أبيت إلاّ التفريق بينهما ، فلا مشاحّة .

أمّا كون هذا المعصوم نبيّاً كمحمّد ، أو إماماً وصيّاً كعليّ ﷺ أو عالماً لدنّياً كالخضر ، أو مصطفىً مطهّراً كمريم ، أو ملكاً كطالوت ، أو حكيماً كلقمان ، أو فتىً كيشوع بن نون ، أو صاحبَ أسبابٍ وتمكين كذي القرنين عليهم السلام ، فكلّ هذه الأمور اعتباريّة غير داخلة في حقيقة العصمة .

ومن الدليل القطعي على هذا ، ما مرّ قبل قليل من نصّ القرآن في الخضر وموسى عليهما السلام ، وكذا ما ورد في مريم وطالوت عليهم السلام . هذا من ناحية الكبرى ، فلتحفظ .

وأمّا الصغرى فالجدال فيها صنيع الجهلاء ، أولئك الذين قصرت عقولهم عن الكبريات والكليّات ، فأضحوا أسرى السخافات والجهالات والتخرصّات ..

فمن تخرّصاتهم بل افترائهم قولهم : إنّ إمامة عليّ -على قول الشيعة- أفضل من نبوّة محمّد عليه السلام ؛ إذ الإمامة أفضل من النبوّة !!

قلت : فلاحظ الجهل والغباء ؛ إذ أفضليّة النبيّ محمّد على الخلائق معلومة من أدلّة أخرى ، لا من مجرّد كونه نبيّاً ، وإلاّ لكان نبيّنا كيونس عليهما السلام في الفضل؛ كون كلّ منهما نبيّ ، مع أنّ إجماع أهل القبلة القطعيّ منعقد على خلافه وأنّ نبيّنا محمد عليه السلام أفضل .

وإنّما اعتقدنا أنّ نبيّنا أفضل ، عدا الإجماع ؛ لقوله تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[1] وقوله تعالى : ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) سورة النجم : ٩-١١ .

الزبدة :

لا ارتياب أنّ نبيّنا محمّد بن عبد الله عليه السلام ، أفضل من مولانا عليّ ومن إمامته ، لكن لا من منطلق كونه نبيّاً فحسب ؛ إذ ليست النبوّة –بما هي نبوّة مجرّدة– بالتي فضّلته على عليّ عليهما السلام ناهيك عن بقيّة الخلائق ..

وإنّما هو ﷺ أفضل لكونه : ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ولكونه : ﴿كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ وغير ذلك ممّا لم يثبت لغير سيّدنا الأكمل ، وقائدنا الأوّل ، إمامنا الفيصل ، محمد بن عبد الله أرواح العالمين له الفداء .

قلت : لنا فيه بيان مبسوط غير هذا ، وما سقناه كان إلماحة قصدنا بها التبصرة والتذكرة .

المعصوم على ثلاثة أقسام

اختلط على بعض البسطاء، من غير أهل العلم فرادف بين الوصي والمعصوم؛ فادّعى أنّ: كلّ وصي نبيّ فهو معصوم، كما أنّ كلّ معصوم فهو وصيّ نبيّ.

وهذا باطل إجماعاً؛ فلا كلام في الشقّ الأوّل أنّ : كلّ وصي نبيّ فهو معصوم.

أمّا دعوى: إنّ كلّ معصوم فهو وصيّ نبيّ، فلم يقل بها أحد من أهل القبلة فيما أعلم؛ إذ لا دليل عليها من قرآن أو سنّة ثابتة أو إجماع.

فمثل مولاتنا فاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، معصومات لكنّهنّ لسن في قائمة الأوصياء؟!.

المتيقّن عند العلماء: عصمتهنّ من الخطأ والزلل والنسيان؛ كونهنّ أرواح العالمين لهنّ الفداء، مؤيّدات بروح القدس والملائكة، عالمات علماً لدّنياً محدَّثات.

أمّا كونهنّ من الأوصياء عليهم السلام؛ بمعنى القيام مقام النبيّ والوصيّ، والنوء بوظائف الإمامة الخارجيّة، فلم يقل به أحد من أهل القبلة فيما أعلم، وسيأتي مزيد بيان في الفصل الأخير.

الزبدة : المعصوم على ثلاثة أقسام :

الأول : النبيّ والرسول ، ولا يكون إلاّ رجلاً .

الثاني : الوصي ، وهو القائم مقام النبيّ ، ولا يكون إلاّ رجلاً .

الثالث : من ليس بنبي ولا وصي ، كمريم وفاطمة وأمّ موسى وأسيا صلوات الله عليهنّ .

الفصل الثاني
عصمة الأوصياء السابقين

عرض القرآن الكريم بالذكر لعدّة من عباد الله الصالحين، ممّن اختّصهم الله سبحانه وتعالى بمجموعة أمور، أو بعضها، لا تنفك عن العصمة إطلاقاً..

فلقد اختّصهم:

أولاً: بالوحي وتكليم الملائكة.

ثانياً: المعجزة.

ثالثاً: العلم اللدنّي.

رابعاً: السكينة.

خامساً: السيادة الإلهيّة؛ كالملك والتمكين والولاية التكوينيّة وغيرها.

فبعض هذه الأمور، مقومات تكوينيّة للعصمة؛ كالعلم اللدنيّ والسكينة، وبعضها لوازم ذاتيّة للعصمة، لا تنفك عنها؛ كالوحي، والمعجزة، والسيادة التكوينيّة، ناهيك عن الولاية الشرعيّة..

وهؤلاء الأوصياء (العباد الصالحون عليهم السلام) وإن كانوا يتفاوتون في مقدار ما اختصّهم به من تلك الأمور القدسيّة، على تفاوت درجاتهم في عالم القدس، إلاّ أنّ جميعهم يدور على المعجزة، والعلم اللدنّي، والسكينة، وربما الوحي، الأعم من وحي التشريع ووحي التأييد، على ما سيتّضح.

وهذا لا يكون إلاّ لمعصوم، نبياً كان أم غير نبي، وفي القرآن الكريم عبادٌ صالحون اختصّهم الله تعالى بذلك، مع إجماع أهل القبلة المحقّق أنّهم ليسوا بأنبياء، ولا أقل من الشهرة العظيمة المفيدة للاطمئنان؛ فلم يبق إلاّ أن يكونوا معصومين أوصياء كآصف، أو معصومين ليسوا بأوصياء ولا أنبياء؛ كمريم، هاك لترى:

المورد الأوّل

الخضر صلوات الله عليه

الخضر عليه السلام ليس نبيّاً عند الأكثر

أجمع السنّة والشيعة..

أولاً: أنّ موسى بن عمران عليه السلام، نبياً رسولاً من أولي العزم الخمسة صلوات الله عليهم، وهذا معلوم ضرورة لكل مسلم..

كما قد أجمع فحول السنّة والشيعة ثانياً: أنّ الخضر عليه السلام ليس رسولاً، وهذا معلوم ضرورة أيضاً.

بل قد أجمع الشيعة، ووافقهم أكثر أهل السنّة -ثالثاً-: أنّه ليس بنبي..

قال الإمام البغوي (٥١٠هـ): ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً﴾...، ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم [١].

قال ابن تيمية (٧٢٨هـ) في كتاب مجموع الفتاوى: **أكثر العلماء على أنّه (=الخضر) لم يكن نبياً** [٢].

وقال الإمام ابن كثير (٧٧٤هـ) في تفسيره: **ذهب كثيرون** إلى أنّه لم يكن نبياً، بل كان ولياً [٣].

وقال السيوطي في الجلالين: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبادِنا﴾ هو الخضر ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ نبوة في قول، وولاية في آخر، وعليه **أكثر العلماء** [٤].

---

(١) تفسير البغوي (ت: عبد الرزاق المهدي) ٣: ٢٠٥. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) مجمع الفتاوى لابن تيمية (ت: عبد الرحمن قاسم) ٤: ٤٣٨. مجمع الملك فهد.

(٣) تفسير ابن كثير (ت: سامي سلامة) ٥: ١٨٧. دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٤) تفسير الجلالين ٥٤: دار الحديث، القاهرة.

وقال السعدي (١٣٧٦هـ): ﴿فَوَجَدَا عَبْداً﴾ وهو الخضر، وكان عبداً صالحاً، لا نبياً على الصحيح [١].

وقال ابن تيمية في مستدرك الفتاوى : الجمهور على أنّه ليس بنبي [٢].

قلت: مرّ أنّ النبوّة – بما هي نبوّة – أمرٌ ملكوتيّ جليل، أحكامها شديدة جدّاً ؛ فلا تثبت إلاّ بنصّ قطعيٍّ صحيح، وليس ثمّة نصّ صحيح عن النبيّ وأهل البيت عليهم السلام في أنّ الخضر نبياً إطلاقاً.

ولا يقال: المعجزة تنوب عن النصّ في إثبات نبوّته؛ كونها تدور مع سيّدنا الخضر حيثما دار.

لأنّه يقال بحسم وجزم: ليست مولاتنا مريم ولا طالوت ولا آصف صلوات الله عليهم بأنبياء ، مع أنّ المعجزة معهم حيثما داروا؛ فكما أنّ المعجزة تنوب عن النص في إثبات النبوّة ، هي صالحة لإثبات العصمة ، ولا معيّن إلاّ النصّ ، وليسَ .

وإمامنا المهدي صلوات الله عليه ليس بنبيّ إجماعاً وضرورةً، في حين أنّ المعجزة تدور معه حيثما دار؛ كالصيحة، والخسف بالبيداء وغير ذلك من المتواترات النبويّة الواردة في معاجزه المقدّسة ؛ فتعيّن القول بالعصمة للمعجزة ، أمّا النبوّة فكلاّ ؛ لفقدان النّص .

على أنّ الاصرار والعناد على كون الخضر عليه السلام نبيّاً ، من دون نصّ ، من التشريع المبغوض ، بل المحرّم ؛ والوجه فيه التغرير بالجهل ؛ فبهذا العناد أبطل خصومنا عصمة الأمة الاثني عشر .

---

(١) تفسير السعدي: ٤٨١. مؤسسة الرسالة.

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى (جمع وترتيب عبد الرحمان قاسم) ١ : ١١٣.

إشكاليّة أنّ الخضر نبيّ!!

قال غير واحد من أهل السنّة أنّ الخضر لا محالة نبيّ، ولا حجّة لهم في ذلك إلاّ قولهم: كلّ من علم عن الله تعالى لا بواسطة بشر ؛ فهو نبيّ، والخضر صلوات الله تعالى عليه كذلك.

قلنا: وهو قطعيّ البطلان، يقينيّ الفساد؛ فلقد عَلِمَتْ سيدتنا مريم الغيبَ عن الله تعالى، لا بواسطة بشر، مع أنّها ليست نبيّة إجماعاً وضرورة..

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾[1] وهو نصٌ أنّ الله تعالى اصطفاها بعلم الغيب ، بواسطة الملائكة ، لا بواسطة بشر.

وقال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[2].

وقد أجمع علماء السنّة، ومثلهم الشيعة، ولا عبرة بمن شذّ إنْ وجد، أنّ الملك الذي خاطبها هو جبرائيل صلوات الله عليهما، كما قد أجمعوا أنّها ليست نبيّة قطعاً، فبطلت حجّة من قال أنّ الخضر صلوات الله عليه نبيّ ، لمجرّد كونه يعلم عن الله تعالى لا بواسطة بشر .

وثمّة قول آخر لأهل السنّة ، واه جدّاً ، سردناه في الفصل الأوّل، فراجع.

---

(١) سورة آل عمران: ٤٥.

(٢) سورة آل عمران: ٤٥.

الاستدلال على عصمة الخضر عليه السلام

تعورف – خطأً – أنّ النبي إذا كان رسولاً من أولي العزم، فهو أفضل أهل زمانه مطلقاً، وهذا الإطلاق خطأ فادح، مردّه إلى الجهل بكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه المتواترة؛ إذ الأفضل هو من يصطفيه الله تعالى، ولا راد لقضائه، سواء أكان هذا المصطفى وصيّاً، أم نبياً، أم رسولاً، أم من أولي العزم الخمسة، ولا عبرة بنفس العنوان كما هو صريح القرآن الكريم.

هاك هذا البحث بمجموع مسائله في عدة أمور – بما هي مجموع – كالآتي..

الأول: علم الخضر اللدنّي.

قال الله تعالى في الخضر- صلوات الله عليه : ﴿عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[1].

فالخضر عالم بالعلم اللدنيّ، وقد بيّنا أنّ العالم بهذا العلم، مصطفى مطهر معصوم؛ كونه تكوينيّاً لا ينال بالكسب، يفيضه الله تعالى مباشرة على من اصطفاه من عباده المطهّرين؛ للنصوص القرآنيّة في هذا من قبيل قول الله لنبيّنا محمد صلى الله عليه وآله: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً﴾[2].

وقوله سبحانه : ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[3] .

قلت : والمقصود هو العلم اللدني ، لا أعلم في ذلك خلافاً .

---

(١) الكهف: ٦٥.

(٢) طه: ٩٩.

(٣) سورة النساء : ١١٣ .

الثاني: الخضر أعلم من موسى عليه السلام.

هذا ما نصّت عليه السنة النبوية الصحيحة وأشار إليه القرآن الكريم..

فأمّا السنّة فحسبنا في هذا المختصر ما أخرجه البخاري قال: حدثني محمد بن غرير الزهري، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، حدثه أن عبيد الله بن عبد الله أخبره عن ابن عباس أبي بن كعب قال: سمعت رسول الله يقول: «بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: **هل تعلم أحداً أعلم منك؟!**. قال موسى: «لا». فأوحى الله عز وجل إلى موسى: **بلى، عبدنا خضر**»[1].

ومن طريق ثان أخرج البخاري قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا عمرو، قال: أخبرني سعيد بن جبير، عن بن عباس قال: حدثنا أبي بن كعب عن النبي: قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟! فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن **عبداً من عبادي** بمجمع البحرين، **هو أعلم منك**...، فلما انتهيا إلى الصخرة، إذا رجل مسجى بثوب، أو قال تسجى بثوبه، فسلم موسى، فقال الخضر...[2].

وقد أخرج الحديثين مسلمٌ في صحيحه أيضاً بعين الطريقين، ناهيك عن أصحاب السنن[3].

---

(١) صحيح البخاري ١: ٢٦، رقم: ٧٤. دار طوق النجاة. ت: محمد زهير الناصر.

(٢) صحيح البخاري ١: ٣٥، رقم: ١٢٢. دار طوق النجاة. ت: محمد زهير الناصر.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٨٤٧-١٨٥٢ ، رقم: ٢٨٣٠ و: ٢٨٣٢. دار إحياء التراث. ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

قلت: الحديث صحيح مستفيض، متفق عليه، على شرط الشيخين، بل هو متواتر معنىً، قطعيّ الصدور، رواه أهل القبلة سنّة وشيعة جميعاً، تلقّاه قاطبتهم بالقبول دون أيّ نكير.

وهو نصّ صريح فصيح أنّ الخضر الذي ليس بنبي، أعلم بالعلم اللدنّي من موسى وهو من أولي العزم.

وأمّا القرآن الكريم، فقد ذكر كذلك أنّه أعلم من موسى بن عمران في أكثر من موضع تصريحاً وإشارة. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[1].

الثالث: الوحي.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾[2].

قال الإمام السنّي السمرقندي (٣٧٣هـ): ﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أي من قبل نفسي، ولكنّ الله أمرني به [3].

(١) سورة الكهف: ٦٦ -٦٨.

(٢) سورة الكهف: ٦٦ -٦٨.

(٣) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٢: ٣٥٩.

الرابع: موسى يتعلّم عند الخضر عليه السلام.

نصّ القرآن الكريم على هذا في قوله: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾.

قلت: وهو نصٌّ فصيحٌ صريحٌ في المطلوب.

الخامس: ولاية الخضر على موسى عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾[١].

السادس: الخضر أصبر من موسى عليه السلام.

الملفت للنظر أنّ هذا المعنى تكرر كثيراً في نفس السورة؛ فالآية: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً﴾[٢] تكررت مرتين في نفس السورة، عدا قوله تعالى على لسان الخضر: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[٣].

كما قال الله تعالى أيضاً في نفس السورة: ﴿هَذا هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾[٤].

وسيأتي أنّ عدم صبر موسى عليه السلام كان طاعة لله تعالى، كما أنّ فعل الخضر عين الطاعة والامتثال، فلا تغفلنّ، ولا يسعنا البسط، نرجئه لكتابنا في قصص الأنبياء.

---

(١) سورة الكهف: ٧٠.

(٢) سورة الكهف: ٧٢و٧٥.

(٣) سورة الكهف: ٦٧-٦٨.

(٤) سورة الكهف: ٧٨.

السابع: الخضر عليه السلام حيٌّ إلى اليوم.

سئل ابن تيمية في مجموع الفتاوى هل الخضر عليه السلام حيّ إلى الآن فقال: وأمّا حياته: فهو حي [1].

وعلى ذلك فأقل ما يقال في عمر الخضر عليه السلام هو ٣٠٠٠ سنة، مع أنّه أكثر لو توخينا الدقة، وبهذا يرد على شبهة طول حياة المهدي المنتظر عليه السلام.

وقد سقنا هذا ؛ لكونه من جنس المعاجز التي لا تدور إلاّ مع العصمة والاصطفاء ، فافهم .

الثامن: المعجزة والولاية التكوينيّة.

الخضر عليه السلام نفسه صلوات الله عليه معجزة، فكيف ببعض أحواله؟!!

فمن أحواله، ما أخرجه البخاري قال: حدثنا محمد بن سعيد ابن الأصبهاني، أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**إنّما سُمِّي الخضر أنّه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء**» [2].

قلت: إسناده صحيح بإجماع جهابذة أهل السنّة، بل قد تلقّى معناه قاطبة أهل القبلة ، سنة وشيعة ، بالقبول.

والفروة البيضاء: الأرض الجرداء التي لا زرع فيها ولا ماء، وقيل: الحشيش اليابس. وواضح أنّ هذا ، بهذا النحو ، لا يقع -استقلالاً بإذن الله تعالى - لغير المعصوم عليه السلام .

---

(١) مجمع الفتاوى لابن تيمية (ت: عبد الرحمن قاسم) ٤: ٤٣٩. مجمع الملك.

(٢) صحيح البخاري ٤: ١٥٦، رقم: ٣٤٠٢. دار طوق النجاة. ت: محمد زهير الناصر.

وبعبارة أخرى: فالتأثير التكويني المباشر في عالم الدنيا، كاخضرار اليابس بنحوٍ دفعي؛ أي دفعةً واحدةً؛ محالٌ عقلاً في عالم الدنيا الخسيس؛ فهو إذن معجزة، نظير نخلة مولاتنا مريم عليها السلام اليابسة ، فاحفظ.

ابن تيمية : موسى لم يُبْعث للخضر !!

قال ابن تيمية (٧٢٨هـ) في كتابه الفرقان :

وجهان:

أحدهما: أنّ موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر، ولا كان على الخضر اتباعه؛ فإنّ موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفا لشريعة موسى عليه السلام، وموسى لم يكن عَلِمَ الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بينها له وافقه على ذلك[1] .اهـ.

قلنا : ولم يثبت أنّ هناك نبيّاً – زمن موسى عليه السلام– كان الخضر على شريعته ، بحيث يرجع إليه عند النزاع ؛ فتعيّن القول بعصمته ؛ إذ كان هو المرجع في النزاع مع موسى عليهما الصلاة والسلام ؛ فكيف بمن دونه ؟!!

ثمّ هل هناك معجزة بأعظم من أن يكون من ليس بنبيّ مرجعاً للنبيّ حال النزاع ، فافهم ؛ فإنّ ما سقناه كان إلزاماً لأهل السنّة ؛ وإلاّ فكل العناوين عندنا ، كالنبوّة والرسالة والإمامة والملك اعتباريّة ؛ إذ الأمر الواقعي الأصيل ، هو الاصطفاء والعصمة المتقوّمة بمقدار العلم اللدنّي ؛ ولقد مرّ في الفصل الأوّل أنّ الله فاضل بين الأنبياء بمقدار ما عندهم من هذا العلم ، فلا تغفل .

---

(١) الفرقان (ت: عبد القادر الأرنؤوط) : ١٤١. مكتبة دار البيان ، دمشق .

الإجماع على معجزة الاخضرار

قال الإمام السنّي النووي (٦٧٦هـ) في شرح صحيح مسلم:

قال بن قتيبة في المعارف: قال وهب بن منبه: اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح.

قالوا: وكان أبوه من الملوك، واختلفوا في لقبه الخضر..؛ فقال الأكثرون: لأنّه جلس على فروة بيضاء، فصارت خضراء، والفروة وجه الأرض.

وقيل: لأنّه كان إذا صلى اخضرَّ ما حوله.

والصواب الأول؛ فقد صح في البخاري، عن أبي هريرة، عن النبي قال: «**إنّما سمي الخضر؛ لأنه جلس على فروة، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء**» [١].

قلت: إسناده صحيح تلقّاه قاطبة أهل السنّة بالقبول دون كلام.

الزبدة: فمجموع القولين، القيل والقال، إجماعٌ مركّب على معجزة الاخضرار، وهو اخضرار ما حوله صلوات الله عليه.

قال شيخ مشايخنا الصدوق رحمه الله جازماً: وإنّه إنّما سمي الخضر؛ لأنّه جلس على أرض بيضاء، فاهتزت خضراء؛ فسمي الخضر لذلك، وهو أطول الآدميين عمراً، والصحيح أنّ اسمه بليا ، بن ملكان ، بن عامر ، بن أرفخشذ ، بن سام بن نوح، وقد أخرجت الخبر في ذلك مسنداً في كتاب علل الشرائع [٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٥: ١٣٦. دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

(٢) كمال الدين وإتمام النعمة: ٣٩٢. النشر الإسلامي، قم. وانظر العلل: ٥٩. المكتبة الحيدرية، النجف.

الزبدة:

قلت: قد ألمحنا لمعنى الولاية التكوينيّة، في الفصل الأوّل .

وأيّـاً كـان ، فهـذا القـرآن مـن ألفـه إلى يائـه، شـاهد قطعـيّ أنّ ولايـة التـدبير التكوينيّة، تدور مع العصمة حيثما دارت؛ لا أقل من حيث كونها معجزة لا تفارق المعصوم، بل العصمة وولاية التدبير وجهان لحقيقة واحدة.

الحاصل : لم يقع هذا لغير المعصوم .

وقد مرّ عليك في الفصل الأوّل قول الغزالي في خواصّ النبيّ : إنّ له ، في نفسه، صفة بها تتمّ له الأفعال الخارقة للعادات.

قلت : والمقصود ولاية التدبيروالتكوين كما لا يخفى على الخبير .

وكذا مرّ عليك قول الشريف الجرجاني الحنفيّ : إنّ من خواص النبيّ : يطيعه الهيولي العنصريّة ، القابلة للصور المفارقة .

وكذا ما ذكره ابن تيمية من أنّ المعصوم له تأثير تكويني في العالمين العلوي والسفلي ؛ كانشقاق القمر وردّ الشمس وعرش بلقيس و... .

فاحفظ هذا؛ فسيأتيك في مبحث عصمة المولى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، من الفصل الثاني ، تطبيقٌ جليٌّ لهذا .

هل الخضر أعلم من موسى؟!!

هل قضيّة أنّ الخضر أعلم من موسى صلوات الله عليهما، مطلقة، أم مقيّدة؟!

فهل الخضر أعلم من موسى عليه السلام دائماً في كلّ حال، أم هو أعلم منه في حال دون آخر؟!.

قلنا: أخرج البخاري (٢٥٦هـ) قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا عمرو، قال: أخبرني سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: حدثنا أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم: « فقال موسى للخضر: هل أتبعك على أن تعلمني ممّا علمت رشداً».

قال الخضر: «**إنّك لن تستطيع معي صبراً، يا موسى إنّي على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علّمكه لا أعلمه...**»[1].

ومن طرقنا ما أخرجه القمّي رضي الله تعالى عنه (٣٢٩هـ) قال: فحدثني محمد بن علي بن بلال، عن يونس قال: اختلف يونس وهشام بن إبراهيم في العالم الذي أتاه موسى عليه السلام، أيّهما كان أعلم؟!. وهل يجوز أن يكون على موسى حجة في وقته، وهو حجة الله على خلقه، فكتبوا ذلك إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام يسألونه عن ذلك؟!.

فكتب في الجواب: «...فقال الخضر لموسى: ما حاجتك؟! فقال موسى: جئت أن تعلمني ممّا علمت رشداً.

قال الخضر عليه السلام: «**إنّي وكّلتُ بأمرٍ لا تطيقه، ووكِّلْتَ أنتَ بأمرٍ لا أطيقه**».

---

(١) صحيح البخاري ١: ٣٥، رقم: ١٢٢. دار طوق النجاة. ت: محمد زهير الناصر.

قال الرضا عليه السلام: «ثمّ حدّثه العالم بما يصيب آل محمد من البلاء وكيد الأعداء، حتى اشتد بكاؤهما، ثمّ حدثه العالم عن فضل آل محمد، حتى جعل موسى يقول: يا ليتني كنت من آل محمد...» [1].

قلت: إسناده صحيح، وله شاهد معتبر أخرجه الراوندي في كتابه قصص الأنبياء عليهم السلام ، لا يسعنا التطويل فيه.

الزبدة : ففي دعوى كون الخضر أعلم من موسى مطلقاً، نظرٌ شديد؛ فالظاهر أنّ كلاً من موسى والخضر قد وكّل بأمرٍ لا يطيقه صاحبه، وعلمٍ لدنّيٍ لكلٍ منهما لا ينهض بحمله الآخر عليهما السلام.

لكن بأيّ حال؛ فهذا -لكلٍ منهما سواء- دليل العصمة القدسيّة، وبرهان السيادة الإلهيّة ، والولاية التكوينيّة، وآية المعجزة الربانيّة.

إذ هل هناك معجزة -فيما نحن فيه- بأكبر من أن يطيق غير النبي ما لا يطيقه النبيّ، وأن يعلم من علم الله اللدنّي ، ما لا يعلمه النبيّ صلوات الله عليهما؟!. وفي هذا كلام طويل لا يسعه مختصرنا، نرجئه لكتابنا في قصص الأنبياء.

فلنا كتاب عقدنا النيّة على تصنيفه، وهو يهدف إلى:

أولاً: سرد تاريخهم عليهم السلام الموثّق، حسب الأخبار المعتمدة؛ فالكتب المصنّفة في ذلك جمعت بين الغثّ والسمين، فزادت جهل البسطاء جهلاً ، وحيرتهم حيرةً.

ثانياً: رفع إشكاليات عقديّة وعلميّة، وما أكثرها في تاريخهم، كإشكالية علم الخضر وموسى عليهما السلام ونحوها ، نسأل الله تعالى العون على اتمامه.

---

(١) تفسير القمّي (ت: طيّب الجزائري) ٢: ٣٨. مطبعة النجف.

تصاريح أهل السنّة أنّ الخضر يعلم الغيب

قال الإمام الواحدي (٤٦٨هـ) في الوسيط: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أعطيناه علماً من علم الغيب[١].

وقال أيضاً في الوجيز؛ أي الواحدي: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ أعطيناه علماً من علم الغيب[٢].

وقال الإمام البغوي (٥١٠هـ): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾...، أي علم الباطن إلهاماً[٣].

قلت: منع جهابذة الفريقين سنّة وشيعة أنّ علم الخضر مجرّد إلهام، وإنّما هو وحي، وعلم لدنّي، أفاضه الله تعالى على الخضر عليه السلام دون واسطة.

وقال ابن الجوزي (٥٩٧هـ): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ أي: من عندنا علماً؛ قال ابن عباس: أعطاه علماً من **علم الغيب**[٤].

وقال الإمام البيضاوي (٦٢٥هـ): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ ممّا يختص بنا، ولا يُعلم إلاّ بتوفيقنا، **وهو علم الغيوب**[٥].

وقال الإمام النسفي(٧١٠هـ): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ **يعني الإخبار بالغيوب**[٦].

---

(١) التفسير الوسيط (ت: عادل الموجود) ٣: ١٥٧. دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الوجيز (ت: صفوان عدنان): ٦٦٧. دار القلم، دمشق.

(٣) تفسير البغوي (ت: عبد الرزاق المهدي) ٣: ٢٠٥. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) زاد المسير (عبد الرزاق مهدي) ٣: ٩٧. دار الكتاب العربي، بيروت.

(٥) تفسير البيضاوي (ت: محمد المرعشلي) ٣: ٢٨٧. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٦) تفسير النسفي (ت: محيي الدين مستو) ٢: ٣١٠. دار الكلم الطيّب، بيروت.

وقال الإمام أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ أي من عندنا، ممّا يختص بنا من العلم، وهو **الإخبار عن الغيوب**[١].

وقال الإمام النيسابوري (٨٥٠هـ): ﴿وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ والعلم المختص به تعالى هو الوحي، **والإخبار بالغيوب** [٢].

وقال الإمام أبو السعود (٩٨٢هـ) في تفسيره: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ خاصاً لا يُكتنه كُنهُه ولا يُقادَرُ قدرُه وهو علمُ الغيوب[٣].

وقال أبو العباس الفاسي (١٢٢٤هـ): ﴿وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ خاصاً، لا يكتنه كُنْهه، ولا يُقدر قدره، وهو **علم الغيوب**، أو أسرار الحقيقة، أو علم الذات والصفات، علماً حقيقياً [٤].

قلت: فلم ينقم المعاندون من أهل السنّة عقيدتنا أنّ الأئمّة من أهل بيت محمّد عليهم السلام، يعلمون ما إذن الله تعالى لهم به من غيبه؟!!

---

(١) البحر المحيط (ت: صدقي محمد جميل) ٧: ٢٠٤. دار الفكر، بيروت.

(٢) تفسير النيسابوري (ت: زكريا عميرات) ٤: ٤٢٧. دار الكتب العلميّة، بيروت.

(٣) تفسير أبي السعود ٥: ٢٣٤. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) تفسير البحر المديد (ت: أحمد رسلان) ٣: ٢٨٨.

زبدة الاستدلال القرآني: عصمّة الخضر عليه السلام

الإنصاف، ليست غاية هذه الوريقات إثبات أفضليّة هذا المعصوم على ذاك صلوات الله عليهم..؛ فهذا وإن كان له وجه، إلاّ أنّ له مقاماً آخرَ..

فغاية استدلالنا -القرآني- إثبات كبرى أنّ الله تعالى قد يصطفي للخلافة السماوية على الأرض، والولاية الإلهيّة على النّاس، معصوماً ليس بنبي ولا رسول؛ كالخضر عليه السلام، ردّاً على أهل السنّة القائلين بعدم عصمة أهل البيت عليهم السلام؛ كونهم ليسوا بأنبياء، فاحفظ!!.

فمجموع ما قلناه، وما نقلناه عن كتاب الله تعالى، نصٌّ ظاهر في عصمة الخضر صلوات الله عليه؛ للقطع بالملاك المشترك بينه وبين موسى بن عمران صلوات الله عليهما، في الوحي والعلم اللدنّي، والولاية التدبيريّة، والمعجزة السماويّة.

يعين على فهم هذا، ما اتفق عليه قاطبة أهل الحكمة، بل جلّ أهل المعقول، من امتناع ظرفيّة غير المعصوم، لاحتواء علم الله اللدنّي واستقباله؛ يدلّ عليه في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله المتواترة، عدم وقوع ذلك لغير المعصوم عليه السلام.

الزبدة:

القرآن ظاهر صريح في عصمة من ليس بنبي ولا رسول، إذا دار مع العلم اللدنّي والمعجزة الباهرة؛ كالخضر عليه السلام، وهو ردّ على أهل السنّة النافين لذلك.

المورد الثاني

طالوت صلوات الله عليه

أجمع المسلمون سنّة وشيعة أنّ طالوت عليه الصلاة والسلام ليس بنبي ولا رسول، بل هو عبد صالح أوتي ملكاً وعلماً وفهماً، زاده الله تعالى بسطة في العلم والجسم..؛ وهو فيما يظهر من ذريّة بنيامين بن يعقوب بن إبراهيم عليهم السلام.

قال ابن حجر (٨٥٢هـ) في الفتح: هو طالوت بن قيس، من ذرية بنيامين بن يعقوب، شقيق يوسف عليه السلام [١].

ومع أنّه كان يعيش بين نبيين، هما: صاموئيل النبيّ، وداود صاحب الزبور قبل أن يؤتى النبوّة، إلاّ أنّ الله تعالى اصطفاه ليكون هو الآمر الناهي في حظرتهما؛ أي له الحكم والولاية والسيادة والتصرف بأمر الله تعالى دونهما..

فلقد عُلم ضرورة أنّ بني إسرائيل وقع عليهم ظلم جالوت الكافر وجنوده، فضجوا هلعاً وفرقاً إلى نبيّهم صاموئيل النبي عليه السلام؛ فقالوا له فيما قصّ الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [٢].

فأيش كان جواب صاموئيل النبي عليه السلام؟!!!

فلقد كان من المتوقع أنّ يقول لهم أنا أقودكم؛ لأنّي نبي، أو سيقودكم نبي كداوود عليه السلام سيؤتى الرسالة والزبور، لكن لم يكن الأمر كذلك..

---

(١) فتح الباري ٧: ٢٩٢. دار المعرفة، بيروت.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٦.

فلقد اصطفى الله سبحانه وتعالى غيرهما عليهم السلام..؛ لذلك قال صاموئيل بصريح القرآن: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

وحسب القواعد ففي هذه الآية دليل على كون طالوت، وهو ليس بنبي إجماعاً، معصوماً كالنبيّ صاموئيل القائل: ﴿إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾ فهاك تقريب الاستدلال بمجموع الآتي –بما هو مجموع–:

الأوّل: المُلْك السماوي الوحيوي.

الملك –شرعاً–: سيادة إلهيّة على النّاس، وولاية ربانيّة على العباد، لا يثبت إلاّ بالنصّ الوحيوي القطعيّ، والمعجزة الإلهيّة.

وسيأتي توضيح ذلك قريباً.

الثاني: الاصطفاء الوحيوي الخاص

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً...إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾.

الآية نصٌّ أنّ الله تعالى اصطفى طالوت عليه السلام للولاية والسيادة والقيادة، ولا يصطفي الله تعالى شخصاً بعينه، معظّماً له، إلاّ إذا كان طاهراً معصوماً؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٢) سورة آل عمران: ٣٣.

الثالث: التعظيم.

ومن الأدلّة القطعيّة على كونه اصطفاءً خاصاً، لا يعم كلّ آل إبراهيم، ولا كلّ آل إسرائيل، التعظيم في مجموع قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾. و: ﴿قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾[1].

فالسلام من الله تعالى – كما سيأتي في الفصل الثاني- تعظيم، وهو في كلّ القرآن وقاطبة السنّة المتواترة، خاص بالعلماء المتقين المطهّرين المعصومين، من آل إبراهيم وآل عمران؛ والمدار في هذا على النّص القطعي القرآني، أو النبوي المتواتر، وسيأتي البسط في هذا، في الدليل الثاني من الفصل الثاني .

وهذا من أدلّتنا القرآنيّة – نحن الشيعة – في الفتوى باستحباب تعظيم من اصطفاه الله تعييناً بلفظ: عليه السلام. أو: سلام الله عليه. حتى لو لم يكن نبياً، ومبغوضية ذلك فيمن عداه؛ لاحتياج التعظيم إلى نصّ، وأهل السنّة على هذا الأصل في الأنبياء عليهم السلام كما لا يخفى.

الرابع: البعث الإلهي.

طالوت مبعوث من قبل الله تعالى بـــ: البعث الاصطفائي، وهو حاصل مجموع قوله تعالى: ﴿بعث لكم طالوت ملكاً﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾.

---

(١) سورة النمل: ٥٩.

فالبعث بقيد الاصطفاء أولاً، والتعيين بالإسم ثانياً، مقامٌ سماوي عظيم، لا يهبه الله تعالى لغير المعصوم، هاك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ (١).

فمعنى البعث الاصطفائي: إقامة من اصطفاه الله تعالى سيداً وهادياً وقائداً ووالياً وخليفة. وقد بعث الله تعالى طالوت لبني إسرائيل هكذا.

الخامس: المعجزة.

تعورف خطأً أنّ المعاجز لا تقع إلاّ للأنبياء عليهم السلام، ولا تصدر إلاّ عنهم بإذن الله تعالى؛ والآية أعلاه نصّ جليّ على خطأ ذلك؛ فلطالوت معجزة وآية، بل معاجز وآيات..؛ قال القرآن : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢).

فهذا نصّ على أنّ الله قد قضى أن يصل ميراث الأنبياء هذا إلى طالوت معجزة له، وليست المعجزة فقط أنّ الملائكة حملت التابوت بمرأى وبمسمع من بني إسرائيل، ليستلمه منهم طالوت في باحة بيته المقدّس بيديه المطهرتين، بل المعجزة أنّ في هذا التابوت السكينة وتراث الأنبياء؛ كعصا موسى ، وعمامة هارون ، وقميص إبراهيم ، والصحف ، ورضاض ألواح التوراة.

قال السيوطي في الجلالين مثلاً: ﴿من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ وهي نعلا موسى، وعصاه، وعمامة هارون، وقفيز من المنّ الذي كان ينزل عليهم، ورضاض من الألواح ﴿تحمله الملائكة﴾ حال من فاعل يأتيكم ﴿إن في ذلك لآية لكم﴾

(١) سورة الجمعة: ٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٨.

على ملكه، فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت فأقروا بملكه[١].اهـ.

ونفس السكينة من المعاجز؛ فلقد كان موسى إذا بدأ الحرب مع الكفار يضعه بين الجيشين فينزل الله عليه النصر لا محالة، وهذا ما فعله طالوت وعدّة جنده ثلاث مائة وبضعة عشر مؤمناً لا غير، أحدهم نبي الله داود ﷺ، فهزم جالوت وجيشه، وهم آلافاً مؤلفة بهذه السكينة.

وقد مرّ أنّ السكينة في الآية الشريفة: رحمة خاصّة من الله؛ متقوّمة بالنصر والطمأنينة والتأييد.

السادس: ولايته السماويّة على النّاس.

اصطفى الله تعالى طالوت لسيادة بني إسرائيل، بمحظر من نبي الله صاموئيل عليه السلام؛ القائل: ﴿قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾ فالله تعالى قد اصطفى طالوت لذلك ، ولم يصطف صاموئيل لغير النبوة، مع أنّهما يعيشان في زمان واحد ومكان واحد.

وهناك ما هو أعظم من ذلك؛ فداوود نبي عظيم، ورسول كريم، آتاه الله زبوراً، لكنّ الله تعالى قضى مع ذلك، أن يكون جندياً من جنود طالوت، تابعاً له، مأموماً بإمامته، مطيعاً لأوامره.

(١) تفسير الجلالين ٥٤: دار الحديث، القاهرة.

السابع: العلم اللدنّي .

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ **وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ**﴾ وهو نصٌّ ظاهر في أنّ العلم هيهنا لدنيّاً والقرينة عليه ، الاصطفاء والإيتاء .

وما ينبغي أن يقال هو أنّ الله تعالى لم يصطفِ طالوت ليكون ملكاً وسيداً وقائداً وخليفة لله فقط، بل مشرّعاً أيضاً، يحلل ويحرّم؛ يدل عليه قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللهِّ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِّ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

عدا هذا، فكلّ ميراث بني إسرائيل، سيما علوم موسى وهارون المكنوزة في التابوت، قد وصل إليه من طريق المعجزة، ولا يطيق هذا – بشهادة القرآن – غير المعصوم؛ إذ لم يرد في القرآن .

وسيأتي في الفصل الثالث بيان ذلك في أخبارنا.

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

معنى الملك السماوي؟!!

المُلك -شرعاً-: سيادة إلهيّة على النّاس، وولاية ربانيّة على العباد. ولا يثبت إلاّ بشرطين: النصّ الوحيوي القطعيّ، والمعجزة الإلهيّة.

وأمّا المُلك العرفي، فمعروف؛ كمُلْك أي مَلِك متعارف، ساد النّاس بالغلبة، أو الوراثة، أو الحيازة؛ كنيرون وكسرى وقيصر وغيرهم.

شرطا الملك السماوي

الأوّل: المعجزة؛ كتابوت طالوت، وخاتم سليمان، وعين الحياة لذي القرنين، وسدّ يأجوج ومأجوج...؛ ولا أقل من العلم اللدنّي كالذي عند الخضر صلوات الله عليهم.

والثاني: الوحي؛ كما في طالوت، وسليمان، وذي القرنين، وإمامنا المهدي عليهم السلام.

ولقد ذكرنا أنّ طالوت صلوات الله عليه، ليس بنبي ولا رسول، فيما هو معلوم ضرورة عند السنّة والشيعة، وقد آتاه الله تعالى الملك الوحيوي، والعلم اللدنّي، ناهيك عن المعجزة؛ فأقلّ ما يقال هو أنّ الله سبحانه وتعالى زاده بسطة في العلم والجسم، ناهيك عن إنزال الملائكة تابوت العلم والسكينة في باحة بيته المقدّس.

عدّة طالوت هي عدّة النبيين والمعصومين

الاستدلال بهذا يتم بمجموع الأخبار، بما هي مجموع، كالآتي:

أخرج الطبراني (٣٦٠هـ) قال: حدثنا بكر بن سهل، ثنا عبد الله بن يوسف، ثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران، حدثه أنّه، سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة: «إنّي أخبرت عن عير أبي سفيان أنّها مقبلة، فهل لكم أن نخرج قبل هذا العير؛ لعلّ الله يغنمناها»؟!. فقلنا: نعم، فخرج وخرجنا، فلما سرنا يوماً أو يومين، قال لنا: «ما ترون في القوم، فإنّهم قد أخبروا بمخرجكم»؟!. فقلنا: لا والله مالنا طاقة بقتال العدو[1]، ولكنْ أردنا العير، ثم قال: «ما ترون في قتال القوم»؟!. فقلنا مثل ذلك.

فقال المقداد بن عمرو: إذن لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾[2].

قال (=أبو أيّوب): فتمنينا معشر الأنصار لو أنّا قلنا كما قال المقداد؛ أحبُّ إلينا من أن يكون لنا مال عظيم، فأنزل الله عز وجل على رسوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا

---

(١) قارن بين قول جماعة من الصحابة البدريين: ما لنا طاقة بقتال العدو. مع قوله تعالى في أكثر أصحاب طالوت: ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

(٢) المائدة: ٢٤.

وقارن بين قول المقداد ﷺ، وقول المؤمنين من أصحاب طالوت ﷺ: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ...﴾.

يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[١]...، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلموا أن نتعاد» ففعلنا، فإذا نحن ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فأخبرنا رسول الله بعدتنا، فسرّه ذلك؛ فحمد الله وقال: «عدة أصحاب طالوت»[٢].

قال الإمام الهيثمي (٨٠٧هـ) في المجمع: إسناده حسن[٣].

قلت: والاستدلال مبني على الملازمة التكوينيّة بين العدّة، وهي: ثلاث مائة وثلاثة عشر من المؤمنين المتّقين، وبين نزول النصر والسكينة والتأييد، وهي لا تتحقق إلاّ في معصوم؛ والقرينة هي سرور النبي ﷺ، بل قد حمد الله تعالى؛ كونهم على عدّة طالوت ﷺ، وسيأتي بيان الملازمة.

يشهد له ما أخرجه الإمام السنّي سعيد بن منصور (٢٢٧هـ) قال: قال: حدثنا ابن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن أبي اليمان عامر بن عبد الله بن لحي الهوزني، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال لأصحابه: «تعادّوا»؟!

فوجدهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، ثم قال لهم: «تعادّوا» فتعادوا مثل ذلك مرتين، فأقبل رجلٌ وهم يتعادون على بكر له ضعيف، فتمت العدة ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً.

فقال النبيّ عليه الصلاة والسلام: «**أنتم اليوم على عدة النبيين، وعدة أصحاب طالوت**»[٤].

قلت: مرسل، إسناده حسن.

---

(١) الأنفال: ٥.

(٢) معجم الطبراني الكبير (ت: حمدي السلفي) ٤: ١٧٤، رقم: ٤٠٥٦. مكتبة ابن تيمية القاهرة.

(٣) مجمع الزوائد (ت: حسام القدسي) ٦: ٧٤، رقم: ٩٩٥٠. مكتبة القدسي، القاهرة.

(٤) سنن سعيد بن منصور (ت: الأعظمي) ٢: ٣٦٣، رقم: ٢٨٧٤. الدار السلفيّة، الهند.

وهو صريح في كون عدّة المؤمنين هذه، هي عدّة النبيين، كما أنّها أيضاً عدّة الأوصياء المعصومين، لمكان واو العطف في قول النبيّ ﷺ: «**أنتم اليوم على عدّة النبيّين، وعدة أصحاب طالوت**».

قلت: وهو من عطف الخاص على العام، وفيه دلالة ما، أنّ طالوت معصوم كالنبيين عليهم السلام.

يدلّ على أنّها عدّة الأوصياء أيضاً:

ما أخرجه الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) في المستدرك قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري، ثنا عمرو بن محمد العنقزي، ثنا يونس بن أبي إسحاق، أخبرني عمار الدهني، عن أبي الطفيل، عن محمد بن الحنفية، قال: كنّا عند عليّ رضي الله عنه، فسأله رجل عن المهدي، فقال عليّ رضي الله عنه:

«هيهات» ثمّ عقد بيده سبعاً، فقال: ذاك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل: الله الله قتل، فيجمع الله تعالى له قوماً قزعاً كقزع السحاب، يؤلّف الله بين قلوبهم، لا يستوحشون إلى أحد، ولا يفرحون بأحد، يدخل فيهم على عدة أصحاب بدر، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر».

قال أبو الطفيل: قال ابن الحنفية: أتريده؟!. قلت: «نعم».

قال ابن الحنفيّة: إنّه يخرج من بين هذين الخشبتين.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم [١].

وروى البخاري قال: حدثنا عمرو بن خالد، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق، قال: سمعت البراء رضي الله عنه، يقول: حدثني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ممّن شهد بدراً: «أنّهم كانوا عدة أصحاب طالوت، الذين جازوا معه النهر، بضعة عشر وثلاث مائة».

قال البراء: «لا والله، ما جاوز معه النّهر إلاّ مؤمن» [٢].

الزبدة:

اجتماع السكينة والنصر، والعدة ثلاثمائة وثلاثة عشر مؤمناً، فيمن اصطفاه الله تعالى على التعيين، لا يتحقق إلاّ في معصوم، نبياً كان كنبينا محمد ﷺ، أو وصياً كطالوت والمهدي صلوات الله عليهم جميعاً.

(١) مستدرك الحاكم وتلخيصه (ت: مصطفى عبد القادر عطا) ٤: ٥٩٦، رقم: ٨٦٩٥. دار الكتب العلميّة، بيروت.

(٢) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٥: ٧٣، رقم: ٣٩٥٧. دار طوق النجاة.

زبدة الاستدلال القرآني: عصمة طالوت عليه السلام

ما تقدّم من كتاب الله، نص صريح في اجتماع، المعجزة، والعلم، والسكينة، وميراث الأنبياء...، عند شخص طالوت عليه السلام، وهذه الأمور لا تجتمع إلاّ في معصوم يسود النّاس؛ إذ لا تجري إلاّ به على يديه بأمر الله تعالى، ولا تفيض إلاّ عنه بإذنه سبحانه.

بل قد ساد طالوت حتى داود النبيّ؛ فلقد كان جندياً من جنوده، مؤتمراً بأمره، مطيعاً له.

وهو يفيد أنّ الله تعالى قد يصطفي من ليس نبياً ولا رسولاً، للخلافة الإلهيّة، والسيادة الربانية، والولاية السماويّة؛ إذ لا يسأل الله تعالى عمّا يفعل وهم يسألون، يؤتي ملكه من يشاء، وقد أوجز الله هذا في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾[1].

والعلم هيهنا ، وعلى ما مرّ توضيحه في الفصل الأوّل هو: اللدني المتّحد بذوات المعصومين القدسيّة بنحو التركيب الاتحادي.

ولك أنْ تقول أيضاً هو: التأييد بروح القدس؛ فروح القدس، نحوٌ من العلم اللدنيّ المدبِّر لما دونه، تدبيراً تكويناً، بإذن الله تعالى.

ولك أن تقول من باب الملازمة:

العلم اللدنّي، هو: الولاية التكوينيّة في الأشياء بإذن الله تعالى؛ للتلازم الذاتي بينها وبين العلم اللدنّي، تلازم العلّة والمعلول..

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

قال تعالى في بيان ذلك مخاطباً عيسى عليه السلام: ﴿أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ... وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ (١).

فهذا هو روح القدس..؛ فبه كلّم عيسى النّاس في المهد صبيّاً، وبه أبرء الأكمه والأبرص، وبه أخرج الموتى بإذن الله تعالى.

ولا يسعنا البسط في هذا هيهنا، ولنا رسالة مهمّة في حقيقة النوع الإنساني بالنظر لعالمي الملك والملكوت، أي الدنيا والآخرة، نسأل الله تعالى العون على إتمامها؛ لأهميتها.

وننبّه كما نبّهنا مراراً، أنّ غرض هذا البحث، إبطال كبرى أهل السنّة القائلة بعدم عصمة غير الأنبياء عليهم السلام؛ تلك التي من خلالها منعوا من عصمة أهل البيت عليهم السلام .

ولقد اتّضح بطلان كبراهم بطالوت والخضر عليهما السلام.

هاك مورداً ناصعاً ثالثاً، ودليلاً قرآنياً فصيحاً آخر، يبطل جزافهم..

(١) سورة المائدة: ١١٠.

المورد الثالث

ذو القرنين صلوات الله عليه

ذو القرنين عليه السلام، عبدٌ صالح اصطفاه الله سبحانه؛ لخلافته المقدّسة على بني آدم؛ لتعلو به كلمة الله تعالى على البسيطة؛ فمكّن الله له في الأرض وأتبع له من كل شيء سبباً، مع أنّ الأولى حسب المتعارف أن يكون هذا الاصطفاء لنبي أو رسول، لكن لم يقض الله تعالى بهذا، ولا رادّ لقضائه، فعّال لما يريد، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون..

فهذا من أفصح الأدلّة على أنّ الله تعالى قد يصطفي، من ليس بنبي ولا رسول، للخلافة الإلهية في هذه الدنيا، والسيادة السماويّة على الأرض، والولاية الربانية على الناس، وهذه هي عقيدة الشيعة الإجماليّة في الأئمّة عليهم السلام، فليس أهل البيت عليهم السلام أنبياء ولا رسل، بل عباد صالحون اصطفاهم الله تعالى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، واجتباهم ليكونوا عدل القرآن الكريم بنص حديث الثقلين..

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٣) قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾[1].

(١) سورة الكهف: ٨٣-٩٦.

وتقريب الاستدلال به يتم بمجموع قرائن – بما هي مجموع – كالآتي:

أولاً: الله كلَّم ذا القرنين دون حجاب.

لا يقع مثل هذا الاصطفاء المقدّس لغير المعصوم البتة، بل قال جماعة أهل الحكمة بامتناعه لما سواه؛ لضيق الظرف، وهو تام؛ فالله تعالى وإنْ كان لا يعجزه شيء، بيد أنّ القدرة – فيما هو بديهي – لا تتعلّق بالممتنع.

قال الله سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً **قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ** إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾ (١).

وهو نصّ ظاهر أنّ الله تعالى كلّم ذا القرنين ﷺ دون واسطة وحي من الملائكة ، ولا يعدل عنه إلاّ بقرينة قطعيّة، أو سنّة ثابتة، وليسَ، فثبت المطلوب؛ إذ الظاهر حجّة إجماعاً وقولاً واحداً.

ولقد حار أهل السنّة وتخبطوا في تفسير قوله: ﴿قلنا يا ذا القرنين...﴾ ضرورة أنّ الله عندهم لا يكلّم إلاّ نبياً، وذو القرنين عند جمهورهم عبد صالح ليس بنبي..

قال النحاس (٣٣٨هـ) في معانيه: والعبد لا يخاطب بهذا، ولم يصح أنّ ذا القرنين نبي فيقول الله قلنا يا ذا القرنين..؛ وهذا موضع مشكل (٢).

ويدفعه أنّه ليس بمشكل على القول بعصمته، كوصي وليس نبيّ؛ ضرورة قوّة ظهور الآية فيها؛ أي العصمة، ولا قرينة على الخلاف إطلاقاً.

---

(١) سورة الكهف: ٨٦.

(٢) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ٤: ٢٨٨. أم القرى، مكة المكرمة. ت: محمد علي الصابوني.

ثانياً: تعظيمه والتصريح باسمه.

فالله سبحانه وتعالى نصّبَ ذا القرنين ملكاً سماوياً، كما قد نصّ عليه بالاسم تعييناً؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ...﴾.

وهو – بملاحظة التصريح باسمه الشريف – صريح في التعظيم والاصطفاء.

ثالثاً: الاصطفاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾.

قلت: وهو بضميمة ما مرّ صريحٌ فصيحٌ ظاهر في الاصطفاء؛ فالله تعالى اصطفى طالوت لتحرير بني إسرائيل من سطوة جالوت، فكيف بمن اصطفاه الله تعالى لتحرير الأرض كلّها؟!!

وقد ورد في النصوص الصحيحة أنّ هذا التمكين، من الاصطفاء الخاص، وهو من جنس تمكين الله لسليمان النبي..؛ يدل عليه:

ما أخرجه الإمام السنّي ابن أبي شيبة في مصنّفه قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن سفيان، عن سماك، عن حبيب بن حماز، قال: قيل لعليّ: كيف بلغ ذو القرنين المشرق والمغرب، قال: «**سخّر له السحاب، وبسط له النور، ومدّ له الأسباب**» ثم قال: «أزيدك» قال: حسبي[١].

وفي هامش مختارة المقدسي: إسناده صحيح[٢].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (ت: كمال الحوت) ٦: ٣٤٦، رقم: ٣١٩١٥. مكتبة الرشد الرياض.

(٢) المختارة ٢: ٣٢. رقم: ٤٠٩. ت: عبد الملك الدهيش.

وقد توبع بما أخرجه ابن شاهين (٣٨٥هـ) قال: حدثنا محمد بن محمد بن سليمان الباغندي، نا عثمان بن أبي شيبة، نا أبو أسامة، قال: حدثني زائدة، عن سماك به مثله[1].

قلت: هذا المعنى من التمكين، تلقاه أهل القبلة سنّة وشيعة بالقبول، وستأتي في الفصل الأخير أخبار أهل البيت عليهم السلام الصحيحة في هذا.

رابعاً: معاجزه عليه السلام.

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٣) قالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذا جَعَلَهُ نَارًا قالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (٩٦) فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً (٩٧) ﴾.

قلت: وقضيّة يأجوج ومأجوج، معجزة ظاهرة؛ فيكفي لاعتقاد ذلك، أنّ ذا القرنين صلوات الله تعالى عليه حجبهم عن بني آدم، وحجب بني آدم عنهم، بالسدّ آلاف السنين، لا يستطيعون له نقباً.

كما أنّ قوله عليه السلام: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي...، أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ صريحٌ أنّ الردم، وهو معجزة، من مصاديق التمكين في الأرض.

خامساً: علمه وولايته عليه السلام.

قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً...، فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[1].

(١) جزء ابن شاهين (ت: هشام محمد): ٤٠، رقم: ٢٧. أضواء السلف الرياض.

قلت: وهذا العلم الغيبي لدنّي، والقرينة القطعيّة الخطاب المباشر في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾.

أمّا قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً (٨٦) قالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا يُسْراً﴾[٢].

فهو ظاهرٌ أنّ الله تعالى فوّضَه أن يعذّب بإذنه سبحانه، تفويضاً مباشراً، وهذا أخطر من مجرّد التشريع؛ إذ لا يصلح هذا التفويض لغير معصوم قطعاً ويقيناً؛ إذ لم يقع لغيره، بل يمتنع؛ وإلاّ لزم التغرير بالجهل، وانتفاء الغرض، وحصول السفه، وهو محال.

ومن طرقنا ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن قال: وجدت في نوادر محمد بن سنان، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلاّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة؛ قال عز وجل: **﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾** وهي جارية في الأوصياء عليهم السلام»[٣].

قلت: إسناده صحيح على الأظهر الأقوى.

وهو نصّ أنّ الحكم بما أراه الله تعالى متوقّف على نزول الكتاب عليه بالحقّ، وهذا خاصّ بالمعصومين، مطّردٌ فيهم عليهم السلام.

---

(١) سورة الكهف: ٩٣-٩٨.

(٢) سورة الكهف: ٨٦ -٨٨.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٦٨. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

والمقصود من قوله ﷺ: « **ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلاّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة**» هذه الأمّة، وهو لا ينافي حصوله في الأمم السابقة كما حصل لذي القرنين وعامة الأوصياء والأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

وما يلزم التنبيه عليه أنّ الإرائة علم لدنّي ، وهي غير الكتاب ، وإلاّ لقال الله تعالى : **أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بما فيه ، في حين جاءت الآية** : ﴿**أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾ وهو ظاهرٌ في المغايرة بينهما ، ولعلّ المقصود بالكتاب لوح العلم المحفوظ ، وهو علم لدنّي ولا يسعنا البسط في هذا .

نصوصٌ في قدسه واصطفائه عليه السلام

كان عبداً صالحاً.

أخرج شيخ البخاري، الإمام ابن أبي شيبة في مصّنفه قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، قال: سئل علي، عن ذي القرنين، فقال: «**لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولكنّه كان عابداً ناصح الله فنصحه، فدعا قومه إلى الله، فضرب على قرنه الأيمن فمات، فأحياه الله، ثمّ دعا قومه إلى الله، فضرب على قرنه الأيسر فمات، فأحياه الله؛ فسمّي ذا القرنين**» (١).

أقول: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

والحديث ظاهر في المعجزة والاصطفاء الخاص، فالله تعالى أحياه ليخلفه سبحانه على عباده، مع أنّ المتعارف أن يكون هذا لنبي أو رسول فيما لو وقع.

النبي محمد صلى الله عليه وآله يعظمّه.

أخرج أحمد بن حنبل قال: حدثنا الحسن بن يحيى من أهل مرو، حدثنا أوس بن عبد الله بن بريدة قال: أخبرني أخي سهل بن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، عن جده بريدة قال: سمعت رسول يقول: «ستكون بعدي بعوث كثيرة، فكونوا في بعث خراسان، ثمّ انزلوا مدينة مرو؛ فإنّه بناها ذو القرنين، ودعا لها بالبركة، ولا يضر أهلها سوء» (٢).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦: ٣٤٦، رقم: ٣١٩١٤. مكتبة الرشد الرياض. ت: كمال الحوت.

(٢) مسند أحمد (تحقيق الأرنؤوط) ٣٨: ١٢٦.

قال ابن حجر العسقلاني في إسناده: صالح للحجة[١].

أقول: وموضع الشاهد: « بناها ذو القرنين، ودعا لها بالبركة، ولا يضر أهلها سوء» فمن له هذا المقام، فهو عظيم عند الله تعالى.

معاجزه عليه السلام.

أخرج الإمام السنّي ابن أبي شيبة في مصنّفه قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن سفيان، عن سماك، عن حبيب بن حماز، قال: قيل لعلي: كيف بلغ ذو القرنين المشرق والمغرب، قال: «سخر له السحاب، وبسط له النّور، ومدّ له الأسباب» ثم قال: «أزيدك» قال: حسبي [٢].

قلت: إسناده صحيح، رجاله على شرط الشيخين، سوى حبيب وهو ثقة دون كلام.

ومردّ كلّ معاجزه عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً**﴾ فاحفظ؛ فهذا لا يقع لغير معصوم.

---

(١) القول المسدد لابن حجر: ١٠. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٦: ٣٤٦، رقم: ٣١٩١٥. مكتبة الرشد الرياض. ت: كمال الحوت.

عليّ عليه السلام مثل ذي القرنين عليهما السلام

ورد عن مولى الموحدين علي أنّه مثل ذري القرنين عليهما السلام :

قال ابن أبي شيبة: حدثنا وكيع، عن بسام، عن أبي الطفيل، عن علي، قال: «كان رجلاً صالحاً ناصح الله فنصحه، فضُرِبَ على قرنه الأيمن فمات، فأحياه الله، ثمّ ضرب على قرنه الأيسر فمات فأحياه الله، **وفيكم مثله**»[1].

قال الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ) ما نصه: وذَكَرَ عليٌّ عليه السلام ذا القرنين وقال: «**فيكم مثله**» وإنّما عنى نفسه؛ لأنّه ضرب ضربة في الحرب، وضربه ابن ملجم. وقال له رسول الله: إنّك ذو قرنيها[2].

أقول: إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين سوى بسام الصيرفي، وهو ثقة صالح لم يطعن فيه من أحد؛ وثقه ابن معين وابن أبي نمير والذهبي والحاكم في قوله: من ثقات الكوفيين ممن يجمع حديثه. وقال أبو حاتم: لا بأس به صالح الحديث. وقال أحمد بن حنبل: لا بأس به. وقال ابن حجر: صدوق.

وأخرج ابن حبان (٣٥٤هـ) في صحيحه والطبراني في الأوسط، قال - واللفظ للأول-: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى، بعسكر مكرم، عبدان، قال: حدثنا هدبة بن خالد، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦: ٢٤٦، رقم: ٣١٩١٣. مكتبة الرشد الرياض. ت: كمال الحوت.
(٢) غريب الحديث ابن الجوزي ٢: ٢٣٨.

التيمي، عن سلمة بن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب، أن رسول الله قال له: «**يا علي إنّ لك كنزاً في الجنّة، وإنّك ذو قرنيها**» [١].

أخرجه الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قلت: ووافقه الذهبي [٢].

وقال الهيثمي (٨٠٧هـ): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات [٣].

وقال محقق المختارة الدهيش في الهامش: إسناده حسن[٤].

وقال العلامة أحمد محمد شاكر في هامش مسند أحمد: إسناده صحيح [٥].

---

(١) صحيح ابن حبان ١٢: ٣٨١، رقم: ٥٥٧٠. ت: شعيب الأرنؤوط. المعجم الأوسط للطبراني ١: ٢٠٩، رقم: ٦٧٤. دار الحرمين القاهرة.

(٢) مستدرك الحاكم وتلخيصه ٣: ١٣٣، رقم: ٤٦٢٣. العلمية بيروت. ت: مصطفى عبد القادر عطا.

(٣) مستدرك الحاكم وتلخيصه ٣: ١٣٣، رقم: ٤٦٢٣. العلمية بيروت. ت: مصطفى عبد القادر عطا.

(٤) هامش مختارة المقدسي ٢: ١٠٨، رقم: ٤٨٢. تحقيق: عبد الملك الدهيش.

(٥) مسند أحمد (تحقيق شاكر) ٢: ٣٥٤، رقم: ١٣٧٣.

ذو القرنين وسليمان عليهما السلام

أخرج الإمام السنّي ابن أبي شيبة (٢٣٥هـ) في المصنّف قال: حدثنا ابن فضيل، عن حصين، عن مجاهد، قال: لم يملك الأرض كلّها إلاّ أربعة: مسلمان وكافران، فأمّا المسلمان فسليمان بن داود وذو القرنين، وأمّا الكافران فبختنصر والذي حاج إبراهيم في ربه[1].

قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين، رجاله ثقات احتج بهما البخاري ومسلم، وابن فضيل هو: محمد بن الفضيل الضبّي، والحصين هو: ابن عبد الرحمن السلمي، ومجاهد إمام من أئمّة التفسير، صاحب الحبر ابن عبّاس رضوان الله عليه.

والذي حآجّ إبراهيم في ربّه، النمرود كما لا يخفى. وهو صريح في مقارنة ذي القرنين بالنبيّ الرسول، بما لا يصلح لغير المعصوم.

(١) مصنف ابن أبي شيبة (كمال الحوت) ٦: ٣٤٦، رقم: ٣١٩١٦. مكتبة الرشد، الرياض.

زبدة البحث القرآني في ذي القرنين عليه السلام

الأدلّة القرآنيّة الآنفة، تنطوي على أمور لا تجتمع إلاّ في معصوم اصطفاه الله تعالى لها، هي كالآتي:

الأوّل: تكليم الله تعالى له مباشرة دون حجاب.

الثاني: التمكين في الأرض.

الثالث: معاجزه.

الرابع: علمه اللدنّي.

الزبدة:

فمجموع القصّة، ينبىء باصطفاء إلهي خاص، يحيل العقل، ناهيك عن الشرع، افتراض عدم العصمة معه.

فمجموع ذلك يورث الاطمئنان أنّه عليه السلام مصطفى من قبل الله تعالى، أوتي علماً لدنياً، قد كلّمه الله تعالى دون حجاب، وخيّره، وفوّض إليه، أجرى له على يديه المعجزة، ولا يؤتى ذلك إلاّ معصوم.

المورد الرابع

آصف بن برخيا صلوات الله عليه

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[١]

قال الإمام الثعلبي (٤٢٧هـ): قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ... ﴾ قال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن ميكيا، وكان صدّيقا يعلم الاسم الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطي [٢].

وقا الإمام الواحدي(٤٦٨هـ): ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ...﴾ وهو آصف بن برخيا، وكان صدّيقاً يعلم الاسم الأعظم، الذي إذا دعي الله به أجاب، وهذا قول أكثر المفسرين في الذي عنده علم من الكتاب، ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قال سعيد بن جبير: قال لسليمان انظر إلى السماء، فما طرف حتى جاء به، فوضعه بين يديه[٣].

وقال الإمام البغوي (٥١٠هـ): قال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا، وكان صدّيقاً يعلم اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى[٤].

وقال النسفي (٧١٠هـ): آصف بن برخيا، كاتب سليمان، وهو الأصح، وعليه الجمهور، وكان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجاب[٥].

---

(١) سورة النمل: ٣٨-٤٠.

(٢) تفسير الثعلبي (ت: عاشور) ٧: ٢١٠. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) التفسير الوسيط (ت: عادل الموجود) ٣: ٣٧٨. دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) تفسير البغوي (عبد الرزاق المهدي) ٣: ٥٠٥. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٥) تفسير النسفي (ت: يوسف بديوي) ٢: ٦٠٧. دار الكلم الطيب، بيروت.

وقال ابن جزي الكلبي (٧٤١هـ): هو آصف بن برخيا، وكان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل، كان يعلم اسم الله الأعظم، وقيل: هو الخضر. وقيل: هو جبريل، والأول أشهر[١].

والاستدلال على عصمته بأمور:

الأوّل: العلم اللدنّي.

الثاني: المعجزة.

الثالث: عنده اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب.

وهذه الأمور، بشهادة القرآن والسنّة المتواترة، لا تجتمع – بما هي مجموع – إلاّ في معصوم، وقد اجتمعت كلّها في آصف صلوات الله عليه.

(١) تفسير ابن جزي ٢: ١٠٢. دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

النّص على كونه عليه السلام عالماً بالاسم الأعظم

أخرج النسائي في سننه الكبرى قال: أخبرنا محمد بن العلاء، عن أبي أسامة، حدثنا الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال:

كان آصف كاتب سليمان بن داود عليه السلام، **وكان يعلم الاسم الأعظم**، كان يكتب كلّ شيء يأمره به سليمان عليه السلام، ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطر من سحر وكذب وكفر. فقالوا: هذا الذي كان يعمل سليمان بها، فأكفره جهال الناس وسفهاؤهم وسبّوه، ووقف علماؤهم، فلم يزل جهالهم يسبونه حتى أنزل الله جل وعز: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**﴾[1][2].

قلت: إسناده قطعيّ الصدور؛ فعدا كونه صحيحاً على شرط البخاري، تلقته قاطبة الأمّة، سنّة وشيعة بالقبول؛ فلا شكّ عند أحدٍ أنّ الله تعالى اصطفاه بذلك سبحانه واجتباه.

فالنصّ صريحٌ أنّ عند آصف صلوات الله عليه، اسم الله الأعظم الذي إذا دعى الله تعالى به، أجابه سبحانه على المباشرةً، وهذا كما ألمحنا، معلوم ضرورة عند أهل القبلة، لكن يجب التنبيه على أمرٍ، اعتاص على بعض المتفيقهين، كالآتي:

---

(١) البقرة : ١٠٢.

(٢) سنن النسائي الكبرى ١٠ : ١٣، رقم: ١٠٧٢٩.

توهّم: عند بلعم بن باعوراء الاسم الأعظم

توهّم بعض المتفيقهين أنّ من كلّ كان مجاب الدعوة على المباشرة، فعنده اسم الله الأعظم، وبلعم بن باعوراء من هذا القبيل؛ فهو إذن معصوم.

قلنا: هذا استدلال متفيقه لا يميز بين الكوع والبوع!!

فالضرورة على سخفه وبطلانه، حاصلة، ناهيك عن النّص القطعي في كونه لعنه الله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾[1]!!

إذ الأصل: أنّ كلّ من كان عنده الاسم الأعظم، فهو -على ما قضى الله تعالى- مجاب الدعوة. هذا ما كان ثابتاً ضرورياً عند أهل القبلة سنّة وشيعة.

والدليل عليه النصوص القطعيّة..؛ فهي التي أورثت العلم بذلك.

لكن لا ندري من أين جاء هذا المتفيقه أنّ كلّ من استجيبت دعوته، فعنده الاسم الأعظم؛ إذ هل في الشريعة ما يدلّ على ذلك؟!!

كلاّ والله، فليس لهذا رائحة دليل في المنقول ، أو برهان في المعقول ؛ إذ ليس لهذا الهراء في أخبار الفريقين الثابتة عن النبي وأهل البيت عليهم السلام من أثر ؛ فزهق الباطل من حيث أتى، فاحفظ؛ فإنّ دين الله تعالى لا يصاب بالعقول، ولا ينال بالملازمات الباطلة؛ كالملازمة المهترئة أعلاه، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله عزّ وجل.

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٦.

زبدة الاستدلال القرآني!!

مجموع ثلاثة أمور – بما هي مجموع – تدلّ على الإمامة الإلهيّة، والعصمة الربانيّة، والوزارة السماويّة؛ فآصف بن برخيا، كان وزير سليمان وكاتبه عليه السلام، وكان صدّيقاً، يعلم اسم الله الأعظم، لا أعلم في ذلك خلافاً بين أهل القبلة:

قال الإمام عمر بن عليّ النعماني الدمشقي (٧٧٥هـ) في كتاب اللباب: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ... ﴾ قال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخياء، وكان وزير سليمان، وكان صدّيقاً يعلم اسم الله الأعظم، إذا دعا به أجيب[1].

والأمور الثلاثة هي:

الأوّل: اسم الله تعالى الأعظم.

الثاني: العلم اللدنّي، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿**عنده علم من الكتاب**﴾.

الثالث: المعجزة الظاهرة الباهرة.

ومجموع هذا لا يقع لغير المعصوم، بل يمتنع؛ لما ذكرناه مراراً وتكراراً من ضيق الظرف.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (ت: عادل الموجود) ١٥: ١٦٥. دار الكتب العلميّة، بيروت.

المورد الخامس

لقمان صلوات الله عليه

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لله وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[١].

وتقريب الاستدلال على عصمة لقمان صلوات الله عليه، مع أنّه ليس بنبي إجماعاً، أن يقال:

إنّ الله لا يؤتي الحكمة اللدنيّة لأحد من خلقه تعييناً - بالنص عليه في كتبه السماوية - مباشرة دون واسطة، إلاّ إذا كان معصوماً، والقرآن هو الناطق بذلك؛ إذ لم تؤت الحكمة، إيتاءً لدنيّاً، لغير المعصومين..

فعلى سبيل المثال قال الله في داود عليه السلام: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢]. وقال أيضاً: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٣].

أمّا أنّ لقمان ليس بنبي، فممّا أجمع عليه السنة والشيعة، إجماعاً محقّقاً، ولم يخدش في هذا الإجماع من شيء..

قال ابن كثير (٧٧٤هـ) في تفسيره: جمهور السلف على أنّه لم يكن نبياً، وإنّما ينقل كونه نبياً عن عكرمة إنْ صح السند إليه، فقد رواه ابن جرير من طريق جابر عنه، وهو ضعيف[٤].

أقول: فلا يقدح ما ذكر في الإجماع.

---

(١) سورة لقمان: ١٢ - ١٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٥١.

(٣) سورة ص: ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير ٦: ٣٣٣. دار طيبة. ت: سامي سلامة.

معنى الحكمة؟!!!!

قلنا في كتابنا: عليّ في سنّة الرسول ﷺ:

أمّا معنى الحكمة، فلقد تتبعنا كلمات كثير من علماء أهل القبلة عبر القرون..؛ وجلّها غير سالم من الاضطراب، مصاب بالإجمال، غير بريء من الخلط والخبط، ناهيك عن عدم الاطراد والانعكاس، والصحيح التام في حدّها أن يقال:

الحكمة: ملكة إصابة الحق والحقيقة، قولاً وعملاً وإعتقاداً.

والحكيم: من له هذه الملكة. والحكمة في أعلى درجاتها تساوق العصمة؛ لقول الله تعالى في داود: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[1]. وعطف فصل الخطاب على الحكمة؛ لأنّه أظهر لوازمها غير المفارقة، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[2]. فالحكم هنا هو فصل الخطاب هناك، وهو لازم ذاتي غير مفارق للحكمة.

الحكمة على قسمين: لدنيّة وكسبيّة

ثمّ إنّ إيتاء الحكمة من قبل الله تعالى على نحوين؛ فتارة يكون إيتاءً لدنيّاً اصطفائيّاً خاصاً بأهل العصمة عليهم السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ لذلك قلنا: إنّ حديث الباب: «أنا دار الحكمة وعليّ بابها» من أدلّة العصمة، ولقد تنبّه النواصب إلى هذا فحاولوا جحده، فلم يفلحوا.

---

(١) سورة ص: ٢٠.

(٢) سورة مريم عليها السلام: ١٢.

وتارة أخرى كسبيّاً، تنال بالطاعات، عموماً أو خصوصاً، كما في قوله تعالى من آل عمران: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[1].

وما يميّز بين القسمين، اللدنّي والاكتسابي عند أهل الحكمة، استحالة الفصل بين الاعتقاد والقول والعمل في اللدنيّات عادةً، فكلّ ما يدركه الحكيم كلقمان ﷺ فإنّه يعتقده ويقوله ويعمل به.

أمّا الكسبيّة فلا؛ فقد يدرك العبد حكمةً، فيخالفها قولاً أو عملاً، وهذا هو حال أكثر الخلق؛ يقولون ما لا يفعلون..، وكلّ بحسبه..

وتقييد الإستحالة في اللدنيات بالعاديّة؛ للقطع أنّ الحكيم –كلقمانﷺ مثلاً – قادر على المعصيّة، لكنّه لا يفعلها، وهكذا بقيّة أهل العصمةﷺ، وهو الوجه في تعريف الحكمة، والعصمة: بالملكة...؛ فاحفظ[2].اهـ.

ولكي تعرف جلالة الحكمة نكتفي أن نقول بأنّ من آثار الحكمة العلم التام بالقضاء والخصومات ؛ إذ لا يخطأ الحكيم كلقمان أو داود بأيّ قضاء بين متخاصمين.

الزبدة : فالحكمة من جنس العلم اللدنّي وروح القدس .

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٩.

(٢) عليّ في سنّة الرسول ﷺ: ٤٧٩. دار الأثر، بيروت.

المورد السادس

الأسباط صلوات الله عليهم

آية الأسباط دليل كبروي على العصمة

ينهض هذا الدليل لإثبات أنّ الأسباط معصومون كبروياً بنحو الإجمال ؛ ضرورة أنّ تعيينهم يحتاج إلى نصّ ، على ما سيتّضح.

والأسباط – لغةً – هم: ذريّة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

قال الطبري (٣١٠هـ) : وأمّا الأسباط ، فهم اثنا عشر رجلاً ، من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وَلَد كلُّ رجلٍ منهم أمّة من الناس، فسمّوا أسباطًا...، فكان بنو يعقوب اثني عشرَ رجلاً ، نشر الله منهم اثنَى عشر سبطًا، لا يُحصى عددَهم ، ولا يعلم أنسابَهم إلاّ الله، يقول الله تعالى: ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا**[١]﴾ [٢].

وقال الإمام السمعاني (٤٨٩هـ) : الأسباط: هم اثنا عشر سبطاً ، وهم : أولاد يعقوب ؛ والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب [٣].

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٠.

(٢) تفسير الطبري (ت: أحمد شاكر) ٣: ١١١. مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٣) تفسير السمعاني(ت: ياسر إبراهيم) ١: ١٤٥ . دار الوطن ، الرياض .

معنى الأسباط لغة ، وعلّة التسمية!!

قال الإمام الأزهري (٣٧٠هـ) في التهذيب : قال الإمام الزجّاج : والصحيح أنّ الأسباط في ولد إسحاق عليه السلام ، بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل.

فولد كل ولد من أولاد يعقوب سبط، وولد كل ولد من أولاد إسماعيل قبيلة، وإنّما سموا هؤلاء بالأسباط، وهؤلاء بالقبائل ؛ **ليفصل بين ولد إسماعيل وولد إسحاق عليهما السلام**.

قال: وأمّا الأسباط فمشتق من السبط، والسبط: ضرب من الشجر ترعاه الإبل. يقال: الشجرة لها قبائل، وكذلك الأسباط من السبط، كأنّه جعل إسحاق بمنزلة شجرة، وجعل إسماعيل بمنزلة شجرة أخرى، وكذلك يفعل النسابون في النسب، يجعلون الولد بمنزلة الشجرة، والأولاد بمنزلة أغصانها.

فيقال: طوبى لفرع فلان، وفلان من شجرة مباركة، فهذا والله أعلم معنى الأسباط والسبط[1].

قلت : والظاهر أنّ بني إسماعيل من أطلق لفظ الأسباط على بني عمومتهم من بني إسحاق عليه السلام ؛ ليتميّز هذا عن ذاك ، إعتناءً منهم في حفظ الأنساب ؛ إذ الجميع من صلب أبينا إبراهيم صلوات الله عليه .

فهذا معنى الأسباط لغةً .

---

(١) تهذيب اللغة ١٢: ٢٤٠ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

الأسباط اصطلاحاً

إنّ يعقوب عليه السلام وأولاده، لما ذهبوا إلى مصر عند يوسف عليه السلام، أضحى أهل الأرض في الفترة؛ وهي انقطاع النبوة مئات السنين - قيل ٤٠٠ سنة- إلى أن أرسل الله تعالى موسى بن عمران صلوات الله عليه في القصة المعروفة.

فمجموع ذريّة يعقوب، وهم ما تناسل من أولاده الاثني عشر، هم الأسباط لغةً وعرفاً ، لكن هل مجموعهم مقصود بالآية الآتية؟!.

كلاّ فقد قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّا **أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ **وَالأَسْبَاطِ** وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾[1].

وفي آل عمران: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا **وَمَا أُنزِلَ عَلَى** إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ **وَالأَسْبَاطِ** وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ﴾[2].

وفي سورة البقرة قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا **وَمَا أُنْزِلَ إِلَى** إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ **وَالْأَسْبَاطِ** وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[3].

فالأسباط - اصطلاحاً وشرعاً - هم: خصوص من ينزل عليهم أمر الله تعالى كما ينزل على الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) سورة النساء: ١٦٣.

(٢) سورة آل عمران: ٨٤.

(٣) سورة البقرة: ١٣٦.

أو هم: خصوص من يتنزّل الأمر عليه بالوحي من أولاد وبنات يعقوب ، سواء أكان الوحي وحي نبوة، أم وحي وصاية، وقد بيّنا الفرق بينهما سابقاً.

والمصحّح لهذا الاصطلاح في الشرع والعقيدة ، النصّ في الآيات أعلاه.

فليس كلّ الأسباط معنيون بهذا البحث، بل خصوص من أوحى الله تعالى إليهم رجالاً أم نساءً، ممّن ليسوا هم بأنبياء ولا رسل..، بلى في ذراري يعقوب أنبياء، لكن مطلوبنا هنا الأوصياء منهم؛ كطالوت وآصف، أو المعصومون منهم ؛ ممّن هم ليسوا بأنبياء ولا أوصياء كمريم وأمّ موسى عليهم السلام ، وقد تقدّم الكلام في هذا في الفصل الأوّل ، ومداره على النصّ الشرعي القطعي فهو من ميّز المعصومين إلى أنبياء أولاً ، وأوصياء ثانياً ، ومعصومين لا أنبياء ولا أوصياء ثالثاً ؛ فاحفظ وإنّما أكثرنا تكرار هذا في هذا الكتاب ؛ لذهول جلّ النّاس عنه ..

إشكال: الأسباط هم الأنبياء فقط

وقد يقال: بأنّ المقصود بمن يوحى إليهم من الأسباط هم خصوص الأنبياء عليهم السلام كصموئيل (شامويل) صاحب طالوت، وداود وسليمان عليهم السلام؟!!.

فلقد أجمع العلماء سنّة وشيعة –ولو بعدم القول بالفصل– بضميمة القرائن القطعيّة الخارجيّة، أنّ المقصود بالأسباط الموحى إليهم، ضرب مخصوص منهم، وهم من له الأهلية لأن يقرن بالأنبياء بواو العطف في عمليّة نزول الوحي؛ لنصّ قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ﴾.

غاية الأمر، خصّه أهل السنّة بالأنبياء دون برهان أو بيان؛ مخالفين بذلك ظاهر الآية والقرآن في أم موسى ومريم ، علاوة على آصف وطالوت ؛ إذ قد نصّ القرآن بنزول الوحي عليهما كما سيتّضح لاحقاً بجلاء دون خفاء.

وأيضاً يجاب عنه بالنقض في طالوت عليه السلام، فهو من الأسباط من ذريّة بنيامين عليه السلام؛ وكذا آصف بن برخيا، والفتى يوشع بن نون، وكذا مريم، فكلّهم من الأسباط عليهم السلام؛ ينتهي نسبهم المقدّس إلى يعقوب عليه السلام ..

ونشير إلى أنّ البحث في هذه الآية كبروي؛ أي:

كلّ من اصطفاه الله تعالى من الأسباط، اصطفاءً خاصّاً، وأوحى إليه، فهو معصوم.

والاصطفاء الخاص: ما دار على الوحي وتكليم الملائكة مشافهة، أو المعجزة، أو العلم اللدنّي على ما اتضح ويتّضح.

المورد السابع

مريم صلوات الله عليها

مريم عليها السلام من الأسباط!!

قلت : ينبغي أنْ يكون هذا معلوماً ضرورةً للجميع ، لا أعلم في ذلك خلافاً بين أهل القبلة ، سنّة وشيعة ، ولقد تقدّم قول الطبري في تفسيره : وأمّا **الأسباط** ، فهم اثنا عشر رجلاً ، من **ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** ... .

وقال مقاتل (١٥٠هـ) : هي مريم بنت عمران بن ماثان بن عازور بن صاروى ابن الردي بن آسال بن عازور بن النعمان بن أيبون بن روبائيل بن سليتا بن أوباخش وهو ابن لوبانية بن بوشنا بن أيمن بن سلتا بن حزقيل بن يونس بن متى بن إيحان ابن بانومر بن عوريا بن معققا بن أمصيا بن نواسر بن حزالي بن يهورم بن يوسقط ابن أسا بن راخيعم بن **سليمان بن داود** بن أتسي بن عويد بن عمى ناذب بن رام ابن حضرون بن قارص بن يهوذا بن **يعقوب بن إسحاق** بن إبراهيم عليهم السلام [1].

قلت : إجمع أهل القبلة أنّ مريم عليها السلام من الأسباط ، تنتهي بجدّها يعقوب النبي عليه السلام ، والملاحظ أنّ النسب الذي ذكره مقاتل وغيره أعلاه يمرّ بالنبيّ سليمان عليه السلام ، وثمّة قول في أنّه يمرّ بغيره إلى يعقوب عليهم السلام ، ولا يهمنا التعرض له هنا .

---

(١) تفسير مقاتل ٤ : ٣٨٠. دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

إثبات عصمة مريم عليها السلام

تحقق الإجماع على أنّ الله تعالى لا يبعث نبياً، ولا يرسل رسولاً، إلاّ إذا كان رجلاً، ومريم عليها السلام خير مثال على عصمة من ليس بنبي ولا رسول، ومريم من الأسباط، من بنات يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، فهاك ما قال الله تعالى فيها في مجموع أمور كالآتي:

الأوّل: الكلام مع جبرائيل والملائكة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ وقد تحقّق أنّ مريم من الأسباط عرفاً وشرعاً..

يدلّ عليه قوله الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (١).

وقال الله سبحانه وتعالى في كلامها مع جبرائيل عليه السلام: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيّاً (١٧) قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً (١٨) قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً (١٩) قالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً (٢٠) قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾(٢).

قال الإمام السمرقندي (٣٧٣هـ) في تفسيره: قال لها جبريل: ﴿إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران: ٤٢.

(٢) سورة مريم: ١٨-٢١.

(٣) تفسير السمرقندي ١: ٢١٣.

قال الإمام الواحدي (٤٦٨هـ): قال جبريل: ﴿إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾ أيْ: أرسلني ليهب لك[١].

وعلى هذا مشهور الفريقين سنّة وشيعة، ولعلّه إجماع، فلينظر.

الثاني: إرسال الله تعالى جبرائيل إليها

قال قتادة (١٥٠هـ): ﴿فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا﴾، يعني جبريل[٢].

وقال الطبري (٣١٠هـ): وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل[٣].

قلت: وهو ظاهر مشعرٌ بالإجماع.

وقال الإمام السمعاني (٤٨٩هـ): قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ الأكثرون على أنّه جبريل عليه السلام، وفيه قول آخر: أنّ المراد من الروح عيسى عليه السلام، جاء في صورة بشر، وحملت به، والصحيح هو القول الأول[٤].

الثالث: الاصطفاء والتطهير.

قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[٥].

---

(١) الوسيط للواحدي (ت: عادل الموجود) ٣: ١٧٩. دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) تفسير قتادة (ت: عبد الله شحاته) ٢: ٦٢٣. دار إحياء التراث، بيروت.

(٣) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٨: ١٦٣. مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) تفسير السمعاني (ت: ياسر إبراهيم) ٣: ٢٨٤. دار الوطن، الرياض.

(٥) سورة آل عمران: ٤٢.

قال الإمام البغوي: قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ﴾ يعني: جبريل، يا مريم إنّ الله اصطفاك: اختارك، وطهرك، قيل: من مسيس الرجال، وقيل: من الحيض والنفاس، قال السدي: كانت مريم لا تحيض. وقيل: من الذنوب، واصطفاك على نساء العالمين، قيل: على نساء عالمي زمانها، وقيل: على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء[1].

فهذا المجموع من الاصطفاء الأول، والتطهير، والاصطفاء الثاني على سيادة العالمين، وتكليم الملائكة لها بالبشرى؛ أنّ ابنها سيد المرسلين، وبما قضى الله تعالى لها من الغيب وغير ذلك، ممّا يحيل الشرع وقوعه لغير المعصوم ..

وهذا هو أحد أدلّة الشيعة على إمكانيّة نزول جبرائيل نزولاً خاصّاً على غير الأنبياء من الأوصياء وبقيّة المعصومين ، وفاطمة صلوات الله عليها من المعصومين؛ فأقل ما يقال أنّ فاطمة كمريم عليها السلام، وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ: «**فاطمة سيّدة نساء العالمين**» أو: «**سيّدة نساء أهل الجنّة** » ولا أقل من المساواة.

الرابع: المعجزة.

قلت: مولاتنا مريم بذاتاها معجزة، فكيف ببعض أحوالها صلوات ربّي عليها؛ قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

---

(١) تفسير البغوي (ت: عبد الرزاق مهدي) ١: ٤٣٨. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) سورة آل عمران ٣٥-٣٧.

ففي الآية مجموعة من العقائد – بما هي مجموع – يحيل الشرع أن تقع لغير معصوم، ومن ذلك النص عليها تعييناً بالاسم، وأنّه تعالى تقبلها بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً، منزلاً عليها الرزق الخاص في خلواتها المقدّسة، وهذا منذ أن كانت طفلة عليها الصلاة والسلام، لإطلاق الظرف في قول الله تعالى: ﴿كلّما دخل زكريا عليه المحراب... ﴾ ولقد أجمع الناس أنّ النذر بأن تكون في المحراب قد تعلّق بمريم منذ صغرها؛ كما هو صريح قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ وأكثر ما يحتمل من عمرها المقدّس للوفاء بالنذر تسع سنين وإن كان الأقل هو الأظهر من الآية..

ومن أعجب العجب عند البعض ، قولها لزكريّا عليه السلام القائل: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

يقول الشيعة: لا عجب؛ فمثل هذه الخطابات محمولة على إظهار الفضل، وإعلان القدسيّة أمام الخلائق، بطريقة بالاستنطاق والتقرير، وإلاّ فليس بزكرياً، وهو سيد الخلق في زمانه، بالذي يجهل من أين يأتيها الرزق، لكن ليلقم الجاحدين الحاسدين من بني إسرائيل الحجر.

والاستنطاق والتقرير، من أبرع طرائق الأنبياء في التبليغ عن الله تعالى وإظهار إرادته المقدّسة سبحانه.

(١) سورة آل عمران: ٤٢.

الخامس: مريم آية الله في العالمين.

مريم صلوات الله عليها، سيدة نساء العالمين، وآية الله الكبرى في السماوات والأرضين، بالجعل التكويني المعيّن المبيَّن، تعييناً خاصاً بالاسم؛ لقول الله تعالى فيها: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

فأمّا المسيح فظاهر، لكن المذهل أنّ الله تعالى قدّمها في الخطاب عليه؛ ووجهه أنّ الله تعالى أجرى آياته، من رزق في المحراب وغيره، على يديها المقدّستين قبل ولادة عيسى عليهما السلام. ولعلّ في الآية إشعار بأنّها كالمسيح في الفضل والقدسيّة، لولا النبوّة؛ فتأمّل جيّداً!!.

(١) سورة الأنبياء: ٩١.

تكليم الملائكة مولاتنا فاطمة عليها السلام

نقم بعض خصومنا الحشويّة علينا، عقيدتنا أنّ الملائكة كانت تحدّث فاطمة صلوات الله عليها، تؤانسها وتبشّرها بالأوصياء من ولدها، أوّلهم الحسن المجتبى وآخرهم المهدي عليهم الصلاة والسلام.

ولا ندري أيّ مانع عقدي في هذا، مع أنّ فاطمة أرواح العالمين لها الفداء أفضل من مريم عليها الصلاة السلام، أو مثلها في السيادة السماويّة على أقل التقادير؛ فكلٌّ منهما صلوات الله عليهما سيّدة نساء العالمين؛ والله تعالى يقول في مريم: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ...﴾.

أخرج أحمد بن حنبل قال: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش، عن حذيفة قال: سألتني أمي: منذ متى عهدك بالنبي صلى الله عليه وسلم؟!. قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا، قال: فنالت مني وسبتني، قال: فقلت لها: دعيني، فإنّي آتي النبي صلى الله عليه وسلم فأصلي معه المغرب، ثم لا أدعه حتى يستغفر لي ولك، قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه المغرب، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى العشاء، ثم انفتل فتبعته، فعرض له عارض فناجاه، ثم ذهب فاتبعته فسمع صوتي فقال: «من هذا»؟!. فقلت: حذيفة، قال: «ما لك»؟. فحدثته بالأمر.

فقال النبيّ: غفر الله لك ولأمك، أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل؟!. قال: قلت: بلى. قال النبيّ: فهو ملك من الملائكة، لم يهبط الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلّم عليّ، **ويبشرني أنّ الحسن، والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**».

قال الأرنؤوط: إسناده صحيح [١].

قلت: بل هو قطعيّ الصدور عن نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله؛ لتقّي قاطبة الأمّة، دون استثناء، له بالقبول، بل هو معلوم ضرورة عند أهل القبلة.

روى الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبيدة قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر؟!!.

فقال عليه السلام: «هو جلد ثور مملوء علماً». قال له: فالجامعة؟!!.

قال عليه السلام: «تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً، في عرض الأديم، مثل فخذ الفالج، فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلاّ وهي فيها، حتى أرش الخدش». قال: فمصحف فاطمة عليها السلام؟!!

قال فسكت طويلاً ثمّ قال: «إنّكم لتبحثون عمّا تريدون، وعمّا لا تريدون..؛ إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، **وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك؛ فهذا مصحف فاطمة عليها السلام**» [٢].

قلت: إسناده صحيح. وقد استطردنا لهذا؛ لأنّ الخبر في أنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة، قطعيّ الصدور يفيد العلم واليقين؛ فهي كمريم عليها السلام..؛ فمن ذلك أنّ المسيح بن مريم يصلّي خلف ولدها المهديّ بن فاطمة صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) مسند أحمد (ت: الأرنؤوط) ٣٨: ٣٥٤، رقم: ٢٣٣٢٩. مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٤١. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

وقفة مع قرائة: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾

اتّضح أنّ الملك جبرائيل: ﴿قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾.

قلت: لا ريب أنّ هذه القرائة: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ مجزئة لكلّ مسلم، سنّي أو شيعي؛ لانعقاد الإجماع المحقق بين السنّة والشيعة، على جواز التعبّد في الصلاة، وفي غير الصلاة، بالقراءات المشتهرة زمان الأئمّة عليهم السلام، ومصداقها التام، القراءات السبع، للقرّاء السبعة المعروفين: عاصم الكوفي، ونافع المدني، وابن عامر الدمشقي، وأبو عمرو البصري، والكسائي النحوي، وابن كثير المكّي، وحمزة الزيّات الكوفي. بل العشر بإضافة أبي جعفر يزيد بن القعقاع (١٢٨هـ)، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (٢٠٥هـ) ، وخلف بن هشام البغدادي البزاز (٢٢٩هـ).

قال الإمام أبو بكر النيسابوري (٣٨١هـ) : قرأ أبو عمرو، ويعقوب، ونافع برواية ورش، والحلواني عن قالون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ...﴾ لِيَهَبَ ﴿لَكِ غُلَامًا﴾ بالياء. وقرأ الباقون: ﴿لِأَهَبَ﴾ بالألف[1].

وقال الإمام السنّي السمرقندي ما نصّه (٣٧٣هـ) : قرأ أبو عمرو ، ونافع في إحدى الروايتين : لِيَهَبَ لَكَ بالياء، وقرأ الباقون : ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ بالألف. فمن قرأ : لِيَهَبَ، فمعناه: ليهب الله تعالى لك.

ومن قرأ : ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ يكون فيه مضمر، ومعناه: ﴿إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ فقال: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا﴾ يعني: قال ربك، وهذا اختيار أبي عبيدة، وهو موافق لخط المصاحف[1].

---

(١) المبسوط في القراءات العشر للنيسابوري (ت: سبيع حمزة): ٢٨٨. مجمع اللغة العربيّة، دمشق.

قلت: القراءة بالألف: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ أسندت الفعل إلى جبرائيل عليه السلام على الظاهر، أو إلى الله تعالى بتقدير: أنا رسول ربك القائل: لأهب لك.

وأمّا قراءة أبي عمرو، ونافع من طريق ورش، وقالون من طريق الحلواني: لِيَهَبَ ﴿لَكِ غُلَامًا﴾ فقد أسندت الفعل إلى الله تعالى مباشرة.

قلت: قراءة: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ وإن كانت مجزئة شرعاً لكلّ مكلّف بالإجماع المحقّق، إلاّ أنّها غير مرغوبة من جهة المعنى؛ لما في ظاهرها من تشابه ولبس، ناهيك عن كونها -من دون تقدير- مرجوحة بالقرآن الكريم، مناقضة له تماماً..

فلقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾[٢]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣].

وهما نصٌّ أنّ إسناد فعل الوهب، وهو النفخ، إلى الله سبحانه وتعالى، لا إلى جبرائيل كما هو ظاهر القراءة بالألف: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾.

والمصيبة أنّ بعض كبار أهل السنّة، بسبب اللبس الآنف، اجترأ على قدس مريم صلوات الله عليها، بما يأبى الله تعالى ورسوله والملائكة والمؤمنون التفوّه به، وتابعهم على ذلك بعض الجهال، كبرت كلمةً تخرج من أفواههم.

---

(١) تفسير السمرقندي ٢: ٣٧١.

(٢) سورة التحريم: ١٢.

(٣) سورة التحريم: ١٢.

الزبدة:

القراءة بالياء: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ ﴿لِيَهَبَ﴾ ﴿لَكِ غُلَامًا﴾ هي التي يتعبّد بها القاصر إلى الله تعالى؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾[1] وهي مجزئة بإجماع الفريقين سنّة وشيعة.

وأمّا القراءة بالألف، فلا ريب أنّها –كقرائة دون معناها الظاهر– مجزئة أيضاً بنفس الإجماع، لكنّها عندي مبغوضة؛ لما فيها من لبس، ولما تنطوي عليه من شذوذ في المعنى، تتنزّه عنه سيدتنا الطاهرة المطهّرة مريم بنت عمران أرواح العالمين لها الفداء.

وقد تقول : كيف تكره قرائة قرآنيّة مجزئة بإجماع أهل القبلة؟!!

قلنا : كما كره الإمامان السنيّان الكبيران عليّ بن المديني ، وأحمد بن حنبل قرائة حمزة ، مع دعوى إجماعكم على الإجزاء .

قال الذهبي (٧٤٨هـ) في السير : قال يعقوب بن شيبة: سمعت عليّ بن المديني، وجعل يذم قراءة حمزة، وقال: إنّما نزل القرآن بلغة قريش[2].

وقال الذهبي ٧٤٨هـ) في كتاب المعرفة : وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل قال أبي: أكره من قراءة حمزة ... [3].

---

(١) سورة التحريم: ١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧: ٥٠١. دارالحديث ، القاهرة .

(٣) معرفة القرّاء الكبار : ٦٩ . دار الكتب العلميّة ، بيروت .

المورد الثامن

أم موسى صلوات الله عليها

قال الله تعالى في القصص: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١).

وفي طه قال عزّ اسمه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّكَ مَا يُوحى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي﴾(٢).

قال مقاتل في تفسيره: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى﴾ واسمها يوكابد، من ولد لاوي بن يعقوب ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ فأمرها جبريل عليه السلام بذلك (٣).

قلت: أجمع أهل القبلة، أنّ أمّ موسى من الأسباط دون خلاف عظّمها الله تعالى بالوحي ، جبرائيل أو غيره عليه السلام، فتعيّن القول بعصمتها .

ولقد مرّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْباطِ وَعِيسى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمانَ وَآتَيْنا داوُودَ زَبُوراً﴾(٤).

وفي آل عمران: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَما أُنزِلَ عَلَيْنا وَما أُنزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَالنَّبِيُّونَ﴾(٥).

وحاصل ذلك أنّ الوحي النازل عل أمّ موسى، من جنس وحي الأنبياء، وإن لم تكن صلوات الله عليها من الأنبياء ولا الأوصياء، فتعيّن القول بالعصمة.

---

(١) سورة القصص: ٧.

(٢) سورة طه: ٣٨-٣٩ .

(٣) تفسير مقاتل ٣: ٣٣٦. إحياء التراث، بيروت. ت: عبد الله شحاتة.

(٤) سورة النساء: ١٦٣.

(٥) سورة آل عمران: ٨٤.

أقوال العلماء على أنّه مَلَك وليس إلهاماً

اختلف علماء أهل السنّة، هل وحي أم موسى صلوات الله عليهما، وحي إلهام يلقى في الروع، أم هو وحي خبر وإعلام، عن طريق المَلَك عليه السلام، أم رؤيا صادقة كرؤى الأنبياء صلوات الله عليهم؟!!.

ثلاثة أقوال، صحيحها الثاني؛ للقرينة الداخليّة في نفس الآية، ولإجماع العلماء القطعي أنّ الوحي النازل على مريم ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ...﴾ هو جبرائيل عليه السلام، مع إجماعهم الآخر أنّه ليس وحي نبوّة، فلم تبق إلاّ العصمة.

قال الإمام ابن جزي (٧٤١هـ): ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى﴾ اختُلف، هل كان هذا الوحي بإلهام، أو منام، أو كلام بواسطة الملك، وهذا أظهر؛ لثقتها بما أوحى إليها، وامتثالها ما أُمرت به [١].

وقال الإمام النسفي (٧١٠هـ): ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلى أُمّ موسى﴾ بالإلهام، أو بالرؤيا، أو بإخبار ملك كما كان لمريم، **وليس هذا وحي رسالة** [٢].

وقال قتادة (١١٧هـ): ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى﴾ وحياً جاءها من الله، فقذف في قلبها، وليس بوحي نبوة [٣].

قلت: ليس هو مجرّد قذف في القلب كيفما كان، بل بمجيء وحي يحمل تكليفاً، أنزله الله تعالى لهذا الغرض.

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (ت: الخالدي) ٢: ١٠٩. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
(٢) تفسير النسفي (ت: محيي ديب) ٢: ٦٢٨. دار الكلم الطيب، بيروت.
(٣) حكاه عنه الطبري في تفسيره (ت: عبد الله التركي) ١٨: ١٥٥. دار هجر للطباعة

وقال مقاتل (١٥٠هـ): ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى﴾ واسمها يوكابد، من ولد لاوي بن يعقوب ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ فأمرها جبريل عليه السلام بذلك [١].

وقال إمام الماتريديّة، أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) في كتابه التأويلات ما نصّه: وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: قال عامّة أهل التأويل: إنّ الوحي ههنا وحي الإلهام والقذف في القلب، لا وحي إرسال وإلاّ صارت رسولة، وذلك لا يجوز.

لكن يقال: جائز أن تلهم هي إرضاعه وإلقاءه في اليم، فأمَّا أن تلهم ما ذكر: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ هذا ممّا لا سبيل إلى معرفة ذلك وعلمه، إلاّ بتصريح قول ومشافهة آخر [٢]. اهـ.

وقال الإمام المفسّر أبو حيّان الأندلسي (٧٤٥هـ): إيحاء الله إلى أم موسى: إلهام وقذف في القلب، قاله ابن عباس وقتادة. أو منام، قاله قوم أو إرسال ملك، قاله قطرب وقوم، وهذا هو الظاهر؛ لقوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. وأجمعوا على أنّها لم تكن نبية [٣].

وقال الآلوسي: والظاهر أنّ الإيحاء إليها كان بإرسال ملك، ولا ينافي ذلك الإجماع على عدم نبوتها، لما أنّ الملائكة عليهم السلام قد ترسل إلى غير الأنبياء وتكلّمهم [٤].

قال ابن كثير: وقوله وأمّه صديقة أي مؤمنة به مصدقة له، وهذا أعلى مقاماتها، فدل على أنّها ليست بنبية، كما زعمه ابن حزم وغيره ممّن ذهب إلى نبوّة سارة أم

(١) تفسير مقاتل (ت: عبد الله شحاتة) ٣: ٣٣٦. دار إحياء التراث، بيروت.
(٢) تأويلات أهل السنة ٨: ١٤٩. العلمية، بيروت. ت: مجدي باسلوم.
(٣) البحر المحيط (ت: صدقي محمد جميل) ٨: ٢٨٧. دار الفكر، بيروت.
(٤) تفسير الآلوسي (عليّ عطيّة) ١٠ : ٢٥٢. دارالكتب العلميّة ، بيروت .

إسحاق، ونبوّة أم موسى، ونبوّة أم عيسى؛ استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم وبقوله: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ قالوا: وهذا معنى النبوّة.

قال ابن كثير: والذي عليه الجمهور، أنّ الله لم يبعث نبياً إلاّ من الرجال؛ قال الله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى﴾[1]. وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعريّ، رحمه الله، الإجماع على ذلك. اهـ[2].

وأيّ شيء كان الوحي، سواء أكان جبرائيل، أم غيره؛ فهو يضمّ أوامر ونواهي، هي أجلّ وأكبر من أيّ شريعة أوحى بها الله تعالى على أحد من أنبيائه ورسله إلى ذلك الزمان؛ فموسى -عدا نوح وإبراهيم وربما نتوقف في الخضر- أفضل أهل الأرض على الإطلاق حتى ذلك الزمان؛ وكلّ تلكم الأوامر والنواهي ممّا أوحى الله تعالى به لأمّ موسى؛ ففي الآية أعلاه بالنظر لذلك، مجموع أمور نقطع من خلالها بعصمة أم موسى عليها السلام:

أولاً: تسليم أمّ موسى عليها السلام للوحي بالإلقاء في اليمّ، مع أنّه خلاف الطبع والطبيعة، بل العقل والشريعة، برهان ناصع ودليل قاطع على أنّها مصطفاة من قبل الله تعالى، وفي هذا وحده إشعار بعصمتها، فهذا من خصائص المعصوم والعلم اللدنّي، لا يقتدر عليه غيره..

ثانياً: تحيل العادة، أن يكون هذا الوحي بالإلقاء في اليم، مجرد إلهام أو نوم، ضرورة أنّه خلاف الطبع والطبيعة، مناف للعقل والشريعة، فلابدّ أن نفترض أنّه ملك من الملائكة قد كلّمها ببرهان كالشمس لا يحتمل الخلاف؛ يشهد لذلك أنّ موسى وهو سيد المرسلين، كليم الله، قد اعترض على الخضر بمنافاة العقل

(١) سورة يوسف: ١٠٩.

(٢) تفسير بن كثير ٣: ١٥٩. دار طيبة. ت: محمد سلامة.

والشريعة، مع علمه أنّ الخضر لا يفعل شيئاً إلاّ بأمر من الله تعالى، فكيف بأمّه لو لم نفترض عصمتها ونزول الوحي الخاص عليها؟!!!!!!

ثالثاً: عند أمّ موسى علماً لدنّياً، من جنس علم الخضر بلزوم قتل الغلام، وإقامة الجدار، وخرق السفينة؛ ولقد مرّ قول الله تعالى في الخضر ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾[1].

رابعاً: شدّة عناية الله تعالى بأم موسى، وتعظيمها تعييناً بالاسم (=أم موسى)؛ فإلقاء الله تعالى البشارة عليها بأنّه جاعل وليدها من المرسلين، مشعرٌ بعصمتها؛ فهذا التعظيم بضميمة ما تقدّم، لا يقع لغير المعصوم..

وسيأتي في أخبارنا الثابتة، في الفصل الثالث، أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قرنوا علومهم الوحيوية المقدّسة بعلم أمّ موسى صلوات الله عليهم أجمعين، وأنّهم كأمّ موسى في ذلك.

الزبدة:

أمّ موسى صلوات الله عليها من الأسباط الذين يوحى إليهم، والذين تدور مهم المعاجز وعلوم اللدنّ حيثما داروا، وهؤلاء بهذا القيد معصومون، لا ينبغي الارتياب في ذلك.

---

(١) سورة الكهف: ٦٥.

المورد التاسع

سارة صلوات الله عليها

ننبّه -كما نبّهنا مراراً وتكراراً- أنّ عصمة أمّ موسى ومريم وفاطمة وخديجة وسارة و...، عليهنّ السلام، لا تعني سوى الطهارة والاصطفاء والتنزّه عن الخطأ، ولا تعني أنّ لهنّ عليهنّ السلام مقام الأئمّة والأوصياء، أو الرسل والأنبياء عليهم السلام، فالثاني خاص بالرجال إجماعاً وضرورة، فلا تذهل عن هذا.

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ** وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[1].

قلت: هذه الآيات ظاهرة في عصمة سارة صلوات الله عليها، لمجموع أمور، بما هي مجموع:

الأوّل: مُحدَّثة؛ تحدّثها الملائكة.

قال الله تعالى من فوق سبع سماوات: ﴿**فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾. فالله تعالى هو من بشّرها ؛ إمّا مباشرة ، وإمّا بتوسّط الملائكة؛ والأظهر الثاني يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾، والقائل لها في هذه الآية، في قول أكثر المفسّرين، هم الملائكة؛ فلقد كانوا يخاطبونها وتسمعهم.

وافتراض أنّ هذا إلهاماً مجرّداً ، جزافٌ واضح ، ناهيك عن أنّ السياق والظاهر يأبيانه ؛ فأي إلهام هذا يقتدر على : ﴿**فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾.

---

(١) سورة الكهف: ٦٥.

وقد اتّضح أنّ الملائكة، لا تكلّم أحداً بهذا النحو من الكلام، الدائر على المعجزة الربانيّة، والبشارة الإلهيّة، والاصطفاء القدسي، إلاّ إذا كان معصوماً.

الثاني : المعجزة.

وهي ظاهرة صريحة، ولا يقال: إنّ المعجزة كانت لإبراهيم صلوات الله عليه ؛ فهي دليل على عصمته ﷺ هو فقط!!.

فإنّه يردّه قوله تعالى لها على الاستقلال: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾ قبال قول الله تعالى لإبراهيم: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾.

وكذا مشافهة الملائكة عليهم السلام لها على الاستقلال: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾، قبال قول الملائكة لإبراهيم: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ...﴾.

فالمعجزة، من هذه الجهة؛ أي على الاستقلال دون التبعيّة، دليل العصمة، فلا تغفل، فلقد اعتاص هذا الفرق على كثير من أهل الفضل، مع أنّه واضح.

الثالث: التعظيم.

سيأتي في الفصل الثاني أنّ التعظيم بالاصطفاء الخاص والثناء القدسي؛ مع التعيين بالاسم، دليلٌ تامٌ على العصمة.

فقلد قال الله تعالى لسارة عليها السلام – بتوسط الملائكة –: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾.

الفصل الثالث

عصمة أهل البيت عليهم السلام

ذكرنا أنّ غرضنا الأساس من هذا الكتاب المتواضع، هو إثبات كبرى: عصمة من ليس بنبي من الأوصياء عليهم السلام، قرآنياً، على ما اتّضح.

والغرض إبطال دعوى أهل السنّة القائلة: بعصمة الأنبياء فقط، وأنّ من عداهم عليهم السلام ليس بمعصوم.

فإنّهم – نسأل الله لهم الهداية – أنّما قالوا هذا، لدحض عقيدة الشيعة في عصمة الأئمّة من أهل البيت صلوات الله عليهم.

فغاية غرضنا من هذه الكبرى القرآنيّة، هو أنّ عصمة الأئمّة، من أهل بيت محمّد، ابتداءً من أمير المؤمنين عليّ حتى المهدي عليهم السلام، ليست بدعاً من القول كما يهملج جهلة الخصوم، وإنّما لها أصلٌ قرآني في الخضر، وطالوت، وذي القرنين، ومريم عليهم السلام...، على ما اتّضح في الفصل السابق.

ومراعاة لمنهج البحث، ولعنوان الكتاب، نتعرض- بما يناسب مختصرنا- لأهمّ الأدلّة القرآنيّة في عصمة الأئمّة؛ لغرض التبصرة لا غير، وإلاّ فالخوض في كلّ الأدلة القائمة على عصمتهم، ممّا لا ينوء به المجلّد والمجلدان والثلاث..

الدليل الأوّل

التـأييد بجنود الملائكة

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾[1].

قلت: الآية الوحيدة في كلّ القرآن، التي تذكر أنّ الله تعالى أيّد شخصاً بعينه بالجنود هي هذه؛ ففيها: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ أمّا الآيات الشريفة الأخرى فجاءت بلفظ: ﴿أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[2].

والسبب منطوٍ في أنّ التأييد بالجنود الملائكيّة الملكوتيّة محالٌ في غير المعصوم، كما أنّ نزول الملائكة نزولاً اصطفائياً محالٌ دون معصوم؛ ضرورةَ أنّ التأييد بالجنود يرادف النّصر والظفر؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

وهذه معجزة لا تقع استقلالاً لغير معصوم على ما اتّضح في الفصل الأوّل ؛ إذ قد أجمع العلماء على امتناع صدور المعجزة عن غير معصوم ، من الخطّائين أو الكاذبين ؛ لاستحالة التمييز بين المعصوم وغيره من الكاذبين ، ولانعدمت الهداية ، وهو سفهٌ محال ينزّه عنه الحكيم سبحانه .

وقد مرّ في طالوت عليه الصلاة والسلام أنّ نزول السكينة، وإن شئت قلت التأييد بالجنود -وهما وجهان لحقيقة واحدة- ممتنعٌ إلاّ على معصوم؛ لضيق الظرف ؛ فالسكينة تعني فيما تعني الاصطفاء اليقيني، والتأييد بالملائكة القطعي، ونزول النصر الحتمي، كما حصل لنبيّنا في بدر، ولطالوت عليه السلام مع جالوت.

---

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) سورة التوبة: ٢٦.

وقفة مع جنود الخليفة أبي بكر!!

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾[١].

قلت: هملج البعض أنّ منْ أيّده الله تعالى بالجنود هو أبو بكر، وليس النبي صلى الله عليه وآله وهو عين الباطل؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾[٢].

قلت: وقد أجمع علماء أهل القبلة، سنة وشيعة، أنّ أبا بكر ممّن ضاقت عليه الأرض بما رحبت يوم حنين، فهرب مع من هرب، تاركاً الرسول مع أمير المؤمنين، وقليل من الصالحين، يتجرعون المنون، بل هو من أعجبته الكثرة فلم تغن عنه شيئاً.

قال الإمام السنّي النيسابوري (٨٥٠هـ) في تفسيره: قال رجلٌ من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلة. فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي المراد من قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ وقيل: **قالها أبو بكر**. وقيل: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو بعيد؛ لأنّه صلى الله عليه وسلّم كان في جميع الأحوال متوكلاً على الله، منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها[٣].

قلت: فأين التأييد؟!. والأمر هو الأمر مع عمر، هاك بعض النصوص مراعاةً للمنهج، وإلاّ فسردها كلّها لا ينوء به مختصرنا؛ فمن ذلك:

---

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) سورة التوبة: ٢٦.

(٣) تفسير النيسابوري ٣: ٤٤٧. دار الكتب العلميّة، بيروت.

النّص أنّ أبا بكر وعمر فراران منهزمان

قال الحاكم: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، إملاء، ثنا زكريا بن يحيى بن مروان، وإبراهيم بن إسماعيل السيوطي، قالا: ثنا فضيل بن عبد الوهاب، ثنا جعفر بن سليمان، عن الخليل بن مرة، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما قال: لما كان يوم خيبر بعث رسول الله **رجلاً فجَبُن** ثم قال رسول الله: «لأبعثن غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّانه، **لا يولي الدبر**، يفتح الله على يديه» فتشرف لها الناس، وعلي رضي الله عنه يومئذ أرمد... .

قال الحاكم : قد اتفق الشيخان على إخراج حديث الراية، ولم يخرجاه بهذه السياقة. وقال الذهبي: أخرجا ذكر الراية منه [1].

قلت : فيه تدليس من الخصوم ؛ فأبو بكر وعمر من جبن ، وسيأتي النصّ .

فمن ذلك أخرج أحمد والبزار وأبو يعلي قالوا -واللفظ لأحمد-: حدثنا مصعب بن المقدام، وحجين بن المثنى، قالا: حدثنا إسرائيل، حدثنا عبد الله بن عصمة العجلي، قال: سمعت أبا سعيد الخدري، يقول: إنّ رسول الله أخذ الراية فهزها، ثم قال: «من يأخذها بحقها»؟!!. **فجاء فلان** فقال: أنا، قال: «أمط»، ثمّ جاء رجل، فقال: «أمط» ثمّ قال النبي: «والذي كرّم وجه محمد لأعطينّها رجلاً لا يفرّ..؛ هاك يا علي» فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك، وجاء بعجوتها وقديدها. قال مصعب: بعجوتها وقديدها.

قال محققه حمزة الزين: إسناده صحيح[2] .

قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله ثقات[1].

---

(١) مستدرك الحاكم وتلخيصه (ت : عبد القادر عطا) ٣ : ٤٠، رقم : ٤٣٤٢. الكتب العلمية بيروت .

(٢) مسند أحمد (تحقيق : أحمد محمد شاكر وحمزة الزين)١٠ : ٥٤، رقم : ١١٠٦٤. دار الحديث القاهرة .

قال محققه حسين سليم أسد: إسناده جيّد [٢].

وأخرج الإمام السنّي ابن ماجة القزويني قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا ابن أبي ليلى قال: حدثنا الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان أبو ليلى يسمر مع عليّ، فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء، وثياب الشتاء في الصيف، فقلنا: لو سألته، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليّ وأنا أرمد العين يوم خيبر، قلت: يا رسول الله، إنّي أرمد العين، فتفل في عيني، ثمّ قال: «اللهم أذهب عنه الحر والبرد» قال: فما وجدت حراً ولا برداً بعد يومئذ، وقال: «لأبعثنَّ رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، **ليس بفرار**» فتشرف له الناس، فبعث إلى عليّ، فأعطاها إياه.

قال الألباني: إسناده حسن [٣].

وقال الإمام أحمد محمد شاكر: إسناده حسن [٤].

وقال الدهيش: إسناده حسن [٥].

قلت: وهذا النصّ مبتور، هاك أصله، كالآتي:

قال الإمام النسائي (٣٠٣هـ) في الكبرى: أخبرنا أحمد بن سليمان قال: حدثنا عبيد الله قال: أخبرنا ابن أبي ليلى، عن الحكم، والمنهال، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى،

---

(١) مجمع الزوائد (ت: حسام القدسي) ٦ : ١٥١، رقم : ١٠٢٠٢. مكتبة القدسي، القاهرة .

(٢) مسند أبي يعلي (ت: حسين سليم أسد) ٢ : ٤٩٩، رقم : ١٣٤٦. دار المأمون للتراث، دمشق.

(٣) سنن ابن ماجة (بتعليقة الألباني) ١ : ٤٣، رقم: ١١٧. دار إحياء الكتب العربيّة.

(٤) مسند أحمد (ت: أحمد محمد شاكر) ٢: ٧٣، رقم: ٧٧٨. دار الحديث القاهرة.

(٥) هامش المختارة للمقدسي (ت: الدهيش) ٢: ٢٧٥. دار خضر، لبنان.

عن أبيه، أنه قال لعلي وكان يسير معه: «إن الناس قد أنكروا منك أنك تخرج في البرد في الملاءتين، وتخرج في الحر في الحشو، والثوب الغليظ».

قال عليّ: «أولم تكن معنا بخيبر»؟. قال: بلى.

قال عليّ: «فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم **بعث أبا بكر، وعقد له لواء، فرجع. وبعث عمر، وعقد له لواء، فرجع بالناس**».

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله **ليس بفرار**» فأرسل إلي، وأنا أرمد قلت: «إني أرمد، فتفل في عيني» وقال: «اللهم اكفه أذى الحر والبرد، فما وجدت حرا بعد ذلك، ولا برداً»[1].

قلت: وإسناده حسن كسابقه، وهو أيضاً لم يسلم من التحريف .

فقد أخرجه الإمام البزار (٢٩٢هـ) بعين الإسناد قال : حدثنا يوسف بن موسى، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدثنا ابن أبي ليلى، عن الحكم، والمنهال، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال: قال عليّ : « رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى أبا بكر، فعقد له اللواء ثم بعثه، فسار بالناس **فانهزم**، حتى إذا بلغ ورجع دعا عمر، فعقد له لواء فسار، ثم **رجع منهزما** بالناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله له، **ليس بفرار** »[2].

وإنّما أوردناه ليتبيّن للمنصف لعب القوم وتدليسهم. ولا يسعنا البسط في هذا، لكن هروب الشيخين أبي بكر وعمر في كثير من المعارك، أو بعضها، معلوم ضرورة ووجداناً.

---

(١) سنن النسائي الكبرى ٧: ٤١١، رقم: ٨٣٤٥ . مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) مسند البزار ٢: ١٣٥.

وقول النبيّ : « **ليس بفرار**» تعريض بأبي بكر وعمر فاحفظ .

ومن ذلك ما أخرجه الحاكم (٤٠٥هـ)قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، بمرو، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا نعيم بن حكيم، عن أبي موسى الحنفي، عن علي رضي الله عنه قال: «سار النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر، فلما أتاها بعث عمر رضي الله تعالى عنه، وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم، فقاتلوهم فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه، **فجاءوا يجبنونه ويجبنهم** فسار النبي صلى الله عليه وسلم» الحديث.

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي[1] .

وأخرج الحاكم أيضاً قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن سلمان الفقيه، ببغداد، ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، ثنا القاسم بن أبي شيبة، ثنا يحيى بن يعلى، ثنا معقل بن عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه، «أنّ النبي صلى الله عليه وسلم دفع الراية يوم خيبر إلى عمر رضي الله عنه، فانطلق، فرجع **يجبن أصحابه ويجبنونه**».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه[2].

فإذا اتّضح هذا، فهاك النّص القطعيّ، أنّ المؤيّد بالجنود – بنحو الاستقلال – عهد الصحابة، بعد سيّدنا النبيّ ﷺ ، هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام .

(١) مستدرك الحاكم (مصطفى عبد القادر) ٣: ٤٠، رقم: ٤٣٤٠. دار الكتب العلميّة، بيروت.

(٢) مستدرك الحاكم (مصطفى عبد القادر) ٣: ٤٠، رقم: ٤٣٤١. دار الكتب العلميّة، بيروت.

النّص على تأييد عليّ بجبرائيل وميكائيل عليهم السلام

أخرج الإمام الطبراني قال: حدثنا محمود بن محمد الواسطي، حدثنا وهب بن بقية، حدثنا محمد بن الحسن المزني، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم، قال: سمعت الحسن بن علي رضي الله عنه يخطب الناس، فقال:

«يا أيّها الناس، لقد فارقكم بالأمس رجلٌ ما سبقه الأولون بعلم، ولا يدركه الآخرون؛ إنْ كان رسول الله يبعثه المبعث فيعطيه الراية، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، **إنّ جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره**، ما ترك صفراء ولا بيضاء إلاّ سبع مئة درهم، أراد أن يشتري بها خادماً»[١].

ورواه أحمد (٢٤١هـ) في المسند قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن حبشي مثله.

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن[٢].

وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح[٣].

قلت: وهو ظاهر في العصمة؛ فجبرائيل لا يكون بهذه الحال إلاّ مع معصوم؛ وافتراض العكس محال؛ بيان الملازمة:

جبرائيل معصوم مطلقاً في كلّ أحواله، ومن أحواله أنّه عن يمين عليّ عليه السلام كلّما حمل الراية النبويّة، أو في كلّ حروبه؛ ففي سِلْمه أولى؛ فافتراض عدم عصمة عليّ، يجر للقول بعدم عصمة جبرائيل عليه السلام، وهذا خلفٌ محال.

---

(١) معجم الطبراني ٣: ٧٩.

(٢) مسند أحمد (ت: الأرنؤوط) ٣: ٢٤٧، رقم: ١٧٢٠. الرسالة.

(٣) مسند أحمد (ت: شاكر) ٢: ٣٤٣، رقم: ١٧٢٠. دار الحديث، القاهرة.

يشهد له ما أخرجه أبو يعلى (٣٠٧هـ) في مسنده قال: حدثنا السامي، حدثنا سكين بن عبد العزيز، حدثنا جعفر، عن أبيه، عن جده قال: لما قتل عليّ قام حسن بن علي خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «أمّا بعد، والله لقد قتلتم الليلة رجلاً؛ في ليلة نزل فيها القرآن، وفيها رفع عيسى ابن مريم، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام».

قال حسين أسد: إسناده صحيح[1].

وقد جمع بين اللفظين الإمام البزار (٢٩٢هـ) بإسناد آخر قال: حدثنا عمرو بن علي، قال: نا أبو عاصم، قال: نا سكين بن عبد العزيز، قال: حدثني حفص بن خالد، قال: حدثني أبي خالد بن حيان، قال: لما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه قام الحسن بن عليّ خطيباً، فقال: «قد قتلتم والله الليلة رجلاً، في الليلة التي أنزل فيها القرآن، وفيها رفع عيسى ابن مريم، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى...، والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد كان بعده، والله إن كان رسول الله ليبعثه في السرية، **جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره**».

قال البزار: إسناده صالح[2].

وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٣٥هـ) في المصنّف من طريق آخر قال: حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة قال: خطب الحسن بن عليّ حين قتل علي فقال فيه: «يا أهل الكوفة أو يا أهل العراق، لقد كان بين أظهركم رجل قتل الليلة،

(١) مسند أبي يعلى (ت: حسين سليم أسد) ١٢: ١٢٤، رقم: ٦٧٥٧. دار المأمون للتراث، دمشق.
(٢) مسند البزار (محفوظ الرحمن زين الله) ٤: ١٧٩، رقم: ١٣٤٠. مكتبة العلوم، المدينة.

أو أصيب اليوم، لم يسبقه الأولون بعلم ولا يدركه الآخرون.. كان النبي إذا بعثه في سرية، كان جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه»[١].

أقول: إسناده حسن صحيح، رجاله على شرط الشيخين سوى عاصم السلولي، لم يخرجا له، وهو عند جمهور أهل النقد: ثقة، صدوق، لا بأس به، تكلّم فيه باليسير. وشريك ثقة من رجال الصحيحين مضى حاله..

ورواه النسائي وأخرجه النسائي قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا النضر بن شميل قال: حدثنا يونس، عن أبي إسحاق به بزيادة: وإنّ رسول الله قال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» فقاتل جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثمّ لا ترد، يعني رايته، حتى **يفتح الله عليه**» [٢].

أقول: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات.

وأخرج البخاري في صحيحه قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري، عن أبي حازم، قال: أخبرني سهل رضي الله عنه، يعني ابن سعد، قال: قال النبي يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»!!!.

فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى، فغدوا كلهم يرجوه، فقال النبيّ: «أين علي»؟!. فقيل يشتكي عينيه فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه فقال عليّ: «أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا»؟!.

(١) مصنف ابن أبي شيبة (ت: كمال يوسف الحوت) ٦: ٣٦٩، رقم: ٣٢٠٩٤. مكتبة الرشد، الرياض.
(٢) سنن النسائي الكبرى (ت: الأرنؤوط) ٧: ٤١٦، رقم: ٨٣٥٤. الرسالة، بيروت.

فقال النبيّ: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» [١].

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه بإسناده مثله[٢].

وأخرجه أحمد بإسناده مثله.

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين [٣].

الزبدة:

هذا الحديث متواتر، مقطوع الصدور، تلقّاه قاطبة أهل القبلة بالقبول؛ لذلك أضحى دليلاً علمياً يقينياً في إثبات العصمة، فاحفظ.

إذ هو نصّ في المطلوب؛ فالملاك الذي لا يتخلّف هو **الفتح**، وأنّ رايته لا تردّ؛ كونه مؤيّد بأعظم ما خلق الله تعالى من الملائكة الجنود؛ فجبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، ولم يقع هذا إلاّ لمعصوم، بل – كما أكثرنا – يمتنع في غيره.

وأيضاً هو فصيحٌ أنّ حبّ الله ورسوله لعليّ، كاملٌ تام، وهذه المرتبة لا تجامع غير العصمة، يشهد له..

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٦٠، رقم: ٣٠٠٩.باب فضل من أسلم على يديه رجل. دار طوق النجاة.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢. رقم: ٢٤٠٦. إحياء التراث، بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) مسند أحمد (ت: الأرنؤوط) ٣٧: ٤٧٧، رقم: ٢٢٨٢١. الرسالة، بيروت.

حديث الطير

قال الحاكم (٤٠٥هـ): حدثني أبو علي الحافظ، أنبأ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أيوب الصفار وحميد بن يونس بن يعقوب الزيات قالا: ثنا محمد بن أحمد بن عياض بن أبي طيبة، ثنا أبي، ثنا يحيى بن حسان، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله، فقدم لرسول الله فرخ مشوي، فقال:

«اللهم ائتني **بأحبِّ خلقك إليك** يأكل معي من هذا الطير» قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فجاء عليّ رضي الله عنه، فقلت: إن رسول الله على حاجة، ثمّ جاء، فقلت: إنّ رسول الله على حاجة ثم جاء، فقال رسول الله: «افتح» فدخل، فقال رسول الله: «ما حبسك عليَّ» فقال:

«إنّ هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس يزعم إنّك على حاجة».

فقال النبي: «ما حملك على ما صنعت»؟!. فقلت: يا رسول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله: «إن الرجل قد يحب قومه».

قال الحاكم: هذا **حديث صحيح على شرط الشيخين**، ولم يخرجاه وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً، ثمّ صحت الرواية عن علي، وأبي سعيد الخدري، وسفينة، وفي حديث ثابت البناني عن أنس زيادة ألفاظ اهـ.

قال الذهبي: ابن عياض لا أعرفه [1].

---

(١) مستدرك الحاكم وتلخيصه (ت: مصطفى عطا) ٣: ١٤١، رقم: ٤٦٥٠. العلمية، بيروت.

قلت: عدل الذهبي عن رأيه؛ كما ذكر – في ميزانه – في ترجمته ابن عياض قال: روى عن أبيه، أبي غسان أحمد بن عياض، عن أبي طيبة المصري، عن يحيى بن حسان، فذكر حديث الطير. وقال الحاكم: هذا على شرط البخاري ومسلم.

قلت: الكل ثقات إلاّ هذا، فأنا أتّهمه به، ثمّ ظهر لي أنّه صدوق[1].اهـ.

قلت: والحديث ظاهر في العصمة؛ لاستحالة أن يكون أحبّ الخلق إلى الله تعالى – بعد النبيّ صلى الله عليه وآله – ليس معصوماً .

والأحاديث المتواترة، كحديث الغدير وغيره، ظاهر في العصمة، ومن شاء الإحاطة بالأخبار النبويّة، المرويّة في كتب أهل السنّة بأسانيد جياد، الدالّة على عصمة إمامنا عليّ عليه السلام؛ فعليه بكتابنا في هذا الشأن [2].

وسيأتي انطباق هذا الدليل على المهدي من أهل البيت عليهم السلام في الدليل القرآني الثالث الآتي، وهو: ضرورة وجود خليفة لله تعالى على ما نصّ القرآن.

(١) مستدرك الحاكم وتلخيصه (ت: مصطفى عطا) ٣: ١٤١، رقم: ٤٦٥٠. العلمية، بيروت.

(٢) عليّ في سنّة الرسول (بأسانيد أهل السنّة الجياد). دار الأثر، بيروت، لبنان.

ولاية التدبير وعصمة عليّ عليه السلام

كان الغرض من كلّ السرد الآنف، علاوة على التأييد بالجنود، الوقوف على هذا العنوان..؛ فمن أهم الأدلّة على عصمة المولى عليّ، ولاية التدبير التكوينيّة التي أفيضت عليه من قبل الله تعالى، وقد أذن سبحانه عهد النبوّة، أن تكون له خاصّة دون بقيّة الخلق..

وقد تقدّم أنّ الخضر عليه السلام، كلّما جلس على أرض يابسة اخضّرت، وهذه ولاية تكوينيّة مباشرة في الأشياء، وهي معجزة ظاهرة.

ويوشع وطالوت، كلّما وضعا تابوت السكينة بين أيديهما، أنزل الله تعالى عليهما النصر والظفر تكويناً..

وللمولى عليّ ولاية تدبيريّة من هذا القبيل، وتأثير تكويني مقدّس من هذا الجنس..؛ فهي من جنس ولاية موسى ويوشع وطالوت عليهم السلام، فكلّما حملت يداه المقدّستان الراية المحمّديّة، حلّ الظفر في الحرب تكويناً على المباشرة؛ وقد عُلم ضرورةً عند قاطبة أهل القبلة، أنّ النصرَ، حليفُه عليه السلام، كلّما حمل الراية النبويّة، دون سواه من الصحابة، في كلّ حروبه المقدّسة..

الزبدة:

فحينما يعتقد الشيعة بعصمة عليّ عليه السلام، وكذا المهدي أرواح العالمين لهما الفداء؛ فلأنّها تدور على معجزة ولاية التكوين والتدبير، ومن مصاديقها نزول السكينة على عليّ كما نزلت على موسى ويوشع وطالوت؛ إذ الظفر السماوي يعني السكينة والتأييد فيما أوضحنا..

وبعبارة أخرى؛ فالأمر كلّه يدور على معجزة، والمعجزة عند أهلها من المصطفين المطهّرين، لا تعني غير العصمة.

ولا بد من التذكير دائماً، أنّ ظفر عليّ بكل الحروب إذا حمل الراية النبويّة، أكبر شأناً من أن يثبت بمجرّد الأخبار القطعيّة، كونه وجداني ضروريّ، لا شكّ فيه ولا ريب، فاحفظ هذا؛ إذ مدار ما عندنا القطعيّات واليقينيّات، ولا يسوغ غيرها إلاّ للبيان والتوضيح.

وثمّة ما يجب بيانه، فلقد اختلط على الكثير معنى المعجزة التي تلازم عصمة المعصوم؛ فليست المعجزة مطلقاً تلازم العصمة، وإنّما خصوص الاستقلاليّة، مباشرة التأثير؛ هاك التوضيح..

المعجزة التي تلازم العصمة؟!!!

يجب الالتفات إلى أنّ المعجزة على قسمين، باعتبار الاستقلال والتبع.

الأولى: بنحو الاستقلال والتكوين.

وهي التي تؤثّر ذات من تجري على يديه، تأثيراً تكويناً مباشراً في وجودها؛ كاخضرار الأرض اليابسة مباشرة إذا جلس عليها الخضر عليه السلام، وكنزول النصر على طالوت إذا وضع بين يديه تابوت السكينة، والامر هو الأمر مع عليّ إذا حمل الراية المحمديّة.

الثانية: بنحو التبع.

كالمعجزة التي وقعت للصحابة في غزوة الخندق، وهي معجزة تكثير الرغيف الواحد، حتى أكل منه كلّ الصحابة، وهو باقٍ على حاله.

والأولى هي التي تلازم العصمة إجماعاً، أمّا الثانية فكلاّ.

ولتوضيح الأولى أكثر نقول من باب التمثيل والمصداق: إنّ ذات المهدي على سبيل المثال، مستقلّة التأثير في نزول النصر إذا حمل الراية على ما قضى الله تعالى، بالضبط كما أنّ ذات طالوت مستقلّة التأثير – بإذن الله تعالى – إذا وضع التابوت بين يديه المقدستين، فاحفظ؛ فإنّ أبا بكر وعمر حملا الراية المحمّديّة فرجع كلّ منهما يجبن أصحابه، ويجبّنه أصحابه.

معجزة ردّ الشمس لعليّ عليه السلام

نسوقها لبيان دوران المعجزة معه عليه السلام حيثما دار، ولها أكثر من طريق كالآتي:

الطريق الأوّل: جابر بن عبد الله الأنصاري

قال الإمام السنّة الطبراني(٣٦٠هـ) في الأوسط: حدثنا علي بن سعيد قال: نا أحمد بن عبد الرحمن بن المفضل الحراني قال: نا الوليد بن عبد الواحد التميمي قال: نا معقل بن عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر: أنّ رسول الله «أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار»[١].

قال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن[٢].

قلت: وكذا قال العراقي في الطرح، وابن حجر في الفتح، والملاّ علي القاري الحنفي في المرقاة، والمناوي في الفيض وغيرهم[٣].

الطريق الثاني: أسماء.

الإسناد الأوّل: فاطمة بنت الحسين عن أسماء

أخرج الإمام الطحاوي (٣٢١هـ) قال: حدثنا أبو أمية، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى العبسي، قال: حدثنا الفضيل بن مرزوق، عن إبراهيم بن الحسن، عن فاطمة بنت الحسين، عن أسماء ابنة عميس، قالت: كان رسول الله يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله: «صليت يا

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٤: ٢٢٤، رقم: ٤٠٣٩.

(٢) مجمع الزوائد ٨: ٢٩٦، رقم: ١٤٠٩٥.

(٣) طرح التثريب ٧: ٢٤٧. فتح الباري ٦: ٢٢١. مرقاة المفاتيح ٦: ٢٦٠٢. فيض القدير ٥: ٤٣٩.

علي»؟!. قال: لا، فقال رسول الله: «اللهم إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس» قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثمّ رأيتها طلعت بعدما غربت[١].

وأخرجه الطبراني (٣٦٠هـ) قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي، ثنا علي بن المنذر، ثنا محمد بن فضيل، ثنا فضيل بن مرزوق به مثله أو قريب منه [٢].

أقول: إسناد هذا الطريق صحيحٌ وليس حسناً فيما قيل؛ فرجاله كلّهم ثقات. واعترض بأنّ إبراهيم بن الحسن وإنْ لم يطعن بشيء، لكن لم يوثقه غير الإمام ابن حبّان (٣٥٤هـ)؟!!!.

وجوابه: بل وثقه إمامان كبيران نصّاً وإقراراً هما: الإمام الطحاوي (٣٢١هـ) وهو أقدم من ابن حبّان(٣٥٤هـ) والقاضي عياض في قولهما: رجالهما ثقات، وسيأتي.

وأمّا فاطمة بنت الحسين، وهي أمّ إبراهيم الراوي عنها، فعلاوة على توثيق الطحاوي والقاضي لها، فقد وثقها ابن حبان، وقال ابن حجر في التقريب: ثقة من الرابعة، وأحسب أنّ الذهبي وثقها أيضاً، فلينظر[٣].

كما قد توبع الفضيل بن مرزوق بما أخرجه الدولابي والخطيب البغدادي، واللفظ للأول، قال: حدثني إسحاق بن يونس، حدثنا سويد بن سعيد، عن المطلب بن زياد، عن إبراهيم بن حيان، عن عبد الله بن حسن، عن فاطمة بنت حسين، عن الحسين، قال: كان رأس رسول الله في حجر عليّ وكان يوحى إليه، فلما سري عنه

(١) مشكل الآثار (ت: شعيب الأرنؤوط) ٣: ٩٢. رقم: ١٠٦٧. الرسالة.
(٢) الكبير للطبراني ٢٤: ١٥٢، رقم: ٣٩١. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
(٣) ثقات ابن حبان ٥: ٣٠٠، رقم: ٤٩٤٧. تقريب ابن حجر (ت: محمد عوامة): ٧٥١. رقم: ٨٦٥٢.

قال: «يا عليّ صليت العصر» قال: لا قال: «اللهم إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس» فردها عليه فصلى وغابت الشمس[١].

أقول: إسناده مقبول حسن، فإسحاق وثقه ابن حبان، وسويد إمام حافظ احتج به مسلم، لكن أخذ عليه التغير بأخرة. والمطّلب وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وابن أبي شيبة والعجلي وابن حبان، وقال أبو داود: لا بأس به صالح، لكن قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتجّ به، وضعف حديثه الواقدي. وأمّا إبراهيم فقد وثقه ابن حبان وقال: شيخ، ولم يُطعن بشيء، فانظر تراجمهم في تهذيب ابن حجر.

الإسناد الثاني: بنت محمد بن جعفر الطيار ﷺ، عن أسماء

أخرج الإمام السنّي الكبير الطحاوي الحنفي قال: حدثنا علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة، قال: حدثنا أحمد بن صالح، قال: حدثنا ابن أبي فديك، قال: حدثني محمد بن موسى، عن عون بن محمد، عن أمه أم جعفر، عن أسماء ابنة عميس، أنّ النبي صلّى الظهر بالصهباء ثمّ أرسل علياً عليه السلام في حاجة فرجع، وقد صلى النبي العصر، فوضع النبي رأسه في حجر عليّ فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال النبي: « اللهم إن عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيك فرد عليه شرقها » قالت أسماء فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض، ثمّ قام عليّ فتوضأ وصلى العصر، ثم غابت وذلك في الصهباء في غزوة خيبر[٢].

وأخرجه الطبراني (٣٦٠هـ) قال: حدثنا إسماعيل بن الحسن الخفاف، ثنا أحمد بن صالح، ثنا محمد بن أبي فديك، أخبرني محمد بن موسى الفطري به مثله.

---

(١) الذرية الطاهرة الدولابي: ٩١، رقم: ١٦٤. الدار السلفية الكويت، ت: سعد الحسن. وتلخيص المتشابه (الخطيب البغدادي) ١: ٢٢٥. دمشق، ت: سكينة الشهابي.

(٢) مشكل الآثار (ت: شعيب الأرنؤوط) ٣: ٩٤. رقم: ١٠٦٨. الرسالة.

وقال العراقي (٨٠٦) في طرح التثريب: أخرجه الطبراني في معجمه الكبير بإسناد حسن أيضاً عن أسماء[١].

أقول: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، غير أم جعفر، زوج محمد بن الحنفيّة رضي الله عنه، حفيدة جعفر الطيار رضي الله عنه، أسماء جدّتها، قال الحافظ ابن حجر: مقبولة، وعون بن محمد بن الحنفيّة ابنها، وثقه ابن حبّان، كما قد ذكره البخاري في التاريخ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل دون طعن.

أقول: قال بعض من تزبزب قبل أن يتحصرم: عون وأمّه مقبولان؛ فالإسناد حسب الصناعة، مقبول أو حسن على أحسن تقاديره؛ فمن أين أتت له الصحّة.!!!.

قلت: بيّنا أنّ الإمام الطحاوي (٣٢١هـ) قال: الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات. فهو توثيق إمام كبير، من أهل القرن الرابع، وكذلك الصالحي الشامي في حكمه بوثاقة جميع الرواة علاوة عمن ذكرناهم، فاحفظ ولا تُستغفل.

الإسناد الثالث: فاطمة بنت المولى عليّ (=فاطمة الصغرى) عن أسماء.

قال السيوطي: وقفت على جزء مستقل في جمع طرق هذا الحديث؛ تخريج أبي الحسن شاذان الفضلي، وها أنا أسوقه هنا ليُستفاد....[٢].

قال أبو الحسن شاذان (٣٨٦هـ): حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن إسماعيل بن كعب الدقاق بالموصل، حدثنا علي بن جابر الأودي، حدثنا عبد الرحمن بن شريك، حدثنا أبي، حدثنا عروة بن عبد الله بن قشير قال: دخلت على فاطمة ابنة عليّ الأكبر فقالت: حدثتني أسماء ابنة عميس أنّ النبيّ أوحي إليه، فستره عليّ بثوبه، حتى غابت الشمس، فلمّا سري عن النبي قال: «يا علي صليت العصر» قال: «لا».

---

(١) طرح التثريب العراقي ٧: ٢٤٧. الطبعة المصرية، دار إحياء التراث، دار الفكر.

(٢) اللآلىء المصنوعة ١: ٣٠٩ الكتب العلمية بيروت، ت: صلاح عويضة.

قال: « اللهم اردد الشمس على عليّ» قالت: فرجعت الشمس حتى رأيتها في نصف الحجر، أو قالت نصف حجرتي[١].

أقول: إسناده مقبول حسن؛ رجاله ثقات غير الأودي وقد وثقه ابن حبان، وعبد الرحمن صدوق يخطىء، قاله الحافظ ابن حجر.

ومن مصائب بعض مشايخ المستروحين، وهو عبد الرحمن المعلّمي اليماني، أنّه تعقّب كباراً كالسيوطي والطحاوي والقاضي وبقيّة الأئمّة، فقال: أبو الحسن ابن شاذان لا أعرفه[٢].

قلت: بل هو إمام كبير مسند العراق، ثقة، أجمع أهل السنة على جلالته وإمامته[٣]؟!!.

الطريق الثالث: أبو هريرة.

قال السيوطي: قال أبو الحسن شاذان (٣٨٦هـ): أنبأنا أبو الحسن أحمد بن عمير، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا يحيى بن يزيد بن عبد الملك، عن أبيه، عن داود بن فراهيج، عن أبي هريرة، وعن عمارة بن فيروز، عن أبي هريرة أنّ رسول الله أنزل عليه حين انصرف من العصر وعلي بن أبي طالب قريباً منّا، ولم يكن عليّ أدرك الصلاة، فاقترب عليّ إلى النبي، فأسنده إلى صدره، فلم يسر عن النبي

(١) اللآلىء المصنوعة ١: ٣٠٩ الكتب العلمية بيروت، ت: صلاح عويضة.

(٢) هامش الفوائد المجموعة للشوكاني ١: ٣٥٥. تحقيق: عبد الرحمن المعلمي.

(٣) قال الذهبي (في السير ١٦: ٥٣٨ رقم: ٣٩٤): الشيخ، العالم، المعمر، مسند العراق، أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن الحسن بن شاذان، الحميري البغدادي الحربي السكري اهـ.
قلت: أجمعوا على أنّه ثقة حافظ مسند مأمون، لكن شذّ البرقاني – فيما حكي عنه – قال: لا يساوي شيئاً. وانظر تاريخ بغداد ١٢: ٣٩.

حتى غابت الشمس، فالتفت رسول الله فقال: « من هذا »؟! فقال علي: « يا رسول الله أنا، لم أصل العصر، وقد غابت الشمس».

فالتفت النبيّ فقال: «**اللهم اردد الشمس على عليّ، حتى يصلي**» قال: فرجعت الشمس لموضعها الذي كانت فيه حتى صلّى عليّ[١].

أقول: إسناده حسن، رجاله ثقات، في بعضهم لين..؛ فيزيد بن عبد الملك النوفلي، ضعف حديثه الأكثر، لكن قال ابن معين: لا بأس به. كما قال ابن سعد: كان جلداً صارماً ثقة[٢].

الطريق الرابع: أبو ذر.

قال السيوطي: قال أبو الحسن شاذان (٣٨٦هـ) حدثنا أبو الحسن بن صفوة، ثنا الحسن بن علي بن محمد العلوي الطبري، ثنا أحمد بن العلاء الرازي، ثنا إسحاق بن إبراهيم التيمي، ثنا محل الضبي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة عن أبي ذر قال: قال عليّ يوم الشورى: «أنشدكم بالله هل فيكم من ردّت له الشمس غيري...».

أقول: إسناده صالح في الشواهد؛ ابن صفوة، هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن صفوة المصيصي، قال الذهبي: محلّه الصدق[٣]. وأمّا الحسن العلوي الطبري، فهو في أكبر الظن مصحّف الحسين بن علي العلوي الطبري، كما في بغية الطلب لابن العديم (٦٦٠هـ)، وزاد: ستيراً نبيلاً[٤].

---

(١) اللآلىء المصنوعة ١: ٣٠٩ الكتب العلمية بيروت، ت: صلاح عويضة.
(٢) تهذيب التهذيب ١١: ٣٤٧. رقم: ٦٦٦.
(٣) تاريخ الإسلام (الذهبي) ٧: ٧٤٩، رقم: ٣٦٠. ت: بشار عواد.
(٤) بغية الطلب لابن العديم ٦: ٢٧٢٢. دار الفكر، ت: سهيل زكار.

قال القاضي عياض (٥٤٤) في الشفا: قال الطحاوي: الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات، وحكى الطحاوي أنّ أحمد بن صالح المصري كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء (=في رد الشمس) لأنّه من علامات النبوة[١].

وممّن صحح الحديث محمد بن الحسين الأزدي..؛ ترجم له الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان وقال: محله الصدق وصحّح رد الشمس لعليّ[٢].

ولم يعدُ الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني هذا في قوله: وروى الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت عميس أنّه صلّى الله عليه وسلم دعا لمّا نام على ركبة عليّ ففاتته صلاة العصر، فردّت الشمس حتى صلّى عليّ ثمّ غربت، وهذا أبلغ في المعجزة، وقد أخطأ بن الجوزي بإيراده له في الموضوعات، وكذا ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض (=منهاج السنّة) في زعم وضعه[٣].

وقال الإمام العيني (٨٥٥): وقد وقع ذلك (=ردّ الشمس) أيضاً للإمام عليّ رضي الله تعالى عنه، أخرجه الحاكم عن أسماء بنت عميس أنّ النبيّ نام على فخذ علي... [٤].اهـ.

وقال الرازي في ذيل تفسير سورة الكوثر: وأمّا سليمان ﷺ فإنّ الله تعالى ردّ له الشمس مرة، وفعل ذلك أيضاً للرسول ﷺ حين نام ورأسه في حجر علي، فانتبه وقد غربت، فردها حتى صلّى، وردّها مرة أخرى لعلي ﷺ فصلى العصر لوقته[١].

---

(١) الشفا للقاضي عياض ١: ٥٦٩. دار الفيحاء، عمان.

(٢) لسان الميزان٥: ١٢٩.

(٣) فتح الباري ٦: ١٥٥.

(٤) عمدة القاري (العيني) ١٥: ٤٣. إحياء التراث العربي، بيروت.

وقال الفتني(٩٨٦هـ) في تذكرة الموضوعات: حديث أسماء في رد الشمس، فيه فضيل بن مرزوق ضعيف، وله طريق آخر فيه ابن عقدة رافضي- رمي بالكذب ورافضي كاذب؛ قلت(=الفتني): فضيل صدوق احتج به مسلم والأربعة، وابن عقدة من كبار الحفاظ وثقه الناس وما ضعفه إلاّ متعصب[٢]، والحديث صرح جماعة بتصحيحه منهم القاضي عياض، وفي اللآلىء (المصنوعة للسيوطي): عن أسماء بنت عميس كان صلى الله عليه وسلم يُوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال: « **اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس**» فطلعت بعد ما غربت قيل: هو منكر، وقيل: موضوع قلت (=السيوطي): **صرّح جماعة من الحفاظ بأنه صحيح**[٣].

قلت: وقد ذكر العلماء أنّ السيوطي ألّف رسالة خاصّة في إثبات حديث رد الشمس اسمها: كشف اللبس في حديث ردّ الشمس[٤].

---

(١) تفسير الرازي٣٢: ١٢٦.

(٢) إذن ابن الجوزي وابن تيمية وابن كثير، وكذلك الإمام أحمد لو ثبت عنه، متعصبون.

(٣) تذكرة الموضوعات للفتني: ٩٦.

(٤) أنظر كشف الظنون للحاجي خليفة ٢: ١٤٩٤. والرسالة مطبوعة والحمد لله .

الاستدلال بردّ الشمس على العصمة

الفضل كلّه لله تعالى ورسوله، ولا ارتياب أنّ الشمس إنّما عادت بدعاء النبيّ عليه الصلاة والسلام، فهي من هذه الجهة من علامات النبوّة لا محالة، لكن ليس هذا كلّ شيء.

فالنبيّ دعا الله سبحانه وتعالى أن يردّ الشمس لخصوص عليّ، والله تعالى من فوق سبع سماوات ردّها على المباشرة، لكن لماذا؟!!

أَلِأجل أنْ يصلّي أمير المؤمنين عليّ ما فاته من صلاة العصر؟!!

لا يخلو هذا الجواب من نظر؛ إذْ أليست شريعة محمّد قاضية بقضاء الصلاة للمعذور، لو تناسينا قوّة احتمال أنّ المولى عليّ صلاّها إيماءً، كما هي الوظيفة الثانويّة المجمع عليها بين الفقهاء؟!!.

إذ لماذا غيّر الله تعالى سنّته في الأكوان من أجل صلاة عليّ، مع أنّ أداءها إيماءً مجزءٌ إجماعاً؟!!.

لا جواب إلاّ أنْ نفترض أنّ غرض نبيّنا صلى الله عليه وآله من كلّ هذا، كغرض سيّدنا سليمان من إتيان عرش بلقيس، وليس هو إلاّ منهج الأنبياء في تعيين المعصومين الأوصياء، وهما فيما نحن فيه أمير المؤمنين عليّ وآصف بن برخياء عليهما السلام.

والإنصاف فإنّ الجواب التام ليس هذا، وما ذكرناه جانبٌ منه، ولا يسعنا البسط فيه الآن.

الدليل الثاني
لكلّ قومٍ هاد

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]

أجمع أهل السنّة أنّ المنذر هو النبيّ محمد ﷺ، وقد اختلفوا في تفسير معنى الهاد على ثلاثة أقوال: أوّلها تام، وآخران في غاية الوهن، كالآتي:

القول الأوّل: الهاد، رجلٌ آخر غير النبيّ ﷺ.

فالهاد هو: كلّ من له الأهليّة السماويّة لأن يكون عاصماً من الضلال.

وكونه غير النبيّ، ظاهر من الآية؛ لمكان العطف؛ إذ الأصل في العطف، المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه.

على أنّ هذا التفسير، بعيد عن أدنى تكلّف، منزّه عن كلّ إشكال، مبرّء من مؤونة التقدير، والظهور حجّة إجماعاً، يشهد له النّص الصحيح عن النبيّ أنّه غيره عليهما السلام ، وسيأتي سرده.

القول الثاني: الهاد نفس النبيّ ﷺ.

وبطلانه ظاهر؛ للزوم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بحرف جرّ، وهو قبيح جدّاً، ركيك أبداً، ينزّه عنه أهل اللسان؛ فكيف القرآن؟!!.

فتكون الآية مع هذا التكلّف القبيح هكذا:

أنت منذر و-لكل قوم- هاد.

---

(١) سورة الرعد: ٧.

والظاهر، فإنّه لم يرد مثل هذا الفصل حتّى في كلام العرب القبيح، فضلاً عن الفصيح، ويكفي هذا لبطلانه، ولا أقل من أنّه عين التكلّف، وفصاحة القرآن تأباه البتة، والأدهى أنّه تبرّع رأي لا دليل عليه من السنّة.

القول الثالث: الهاد هو الله تعالى.

وهذا القول عين السخف، وقائله لا يميّز بين كوع العربيّة وبوعها؛ فقولنا: على سبيل التوضيح: لكلِّ دولةٍ رئيسٌ، نصٌّ في تعدد الرؤساء وتغايرهم.

والأمر هو الأمر في: ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فهو نصٌّ صريحٌ في تعدد الهداة وتغايرهم، والقول أنّه الله تعالى فقط، خطأ وضعاً واستعمالاً.

بلى لا ريب أنّ الله تعالى هو الهاد المطلق، لكن هذا شيء، ودلالة قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ على أنّه الله تعالى فقط، شيءٌ آخر، لا تساعد عليه اللغة لا وضعاً ولا استعمالاً.

أضف إليه أنّه لا دليل عليه في السنّة النبويّة، فلا قيمة له إطلاقاً، والكلام هو الكلام في القول الثاني.

إذا اتّضح هذا، فهاك النّص النبويّ الصحيح المبيّن لمعنى الهاد في الآية الشريفة، ولاحظ كيف يعاند كثيرٍ من خصومنا أهل السنّة الحقَّ بالهراء، ويردّون سنّة النبيّ الثابتة بالجزاف ، والله المستعان على ما يصفون.

الهاد من بني هاشم، وهو عليّ عليه السلام

كما وعدنا؛ فهذا هو النصّ الصحيح المعيّن للقول الأوّل، وله عدّة طرق، كالآتي:

الطريق الأوّل: عبد خيرٍ عن عليّ عليه السلام

وفي زوائد مسند أحمد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا مطلب بن زياد، عن السدي، عن عبد خير، عن عليّ، في قوله: ﴿**إنما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾ ؟!!.

قال عليّ: «**رسول الله المنذر، والهاد رجلٌ من بني هاشم**».

قال الإمام أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح [١].

وقال الإمام الهيثمي: رواه عبد الله في المسند...، ورجال المسند ثقات [٢].

وقال الدهيش في هامش المختارة: إسناده حسن[٣].

وقال ابن أبي حاتم (٣٢٧) في تفسيره: حدثنا علي بن الحسين، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا المطلب بن زياد، عن السدي، عن عبد خير، عن علي ﴿لكل قوم هاد﴾ قال: **الهاد رجل من بني هاشم**.

قال ابن الجنيد: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) مسند أحمد (ت: الإمام أحمد شاكر) ٢: ٤٩-٤٨. رقم: ١٠٤١. دار الحديث، القاهرة.

(٢) المعجم الاوسط للطبراني ٢: ٩٤، مجمع الزوائد ٧: ٤١.

(٣) الأحاديث المختارة للمقدسي (ت: الدهيش) ٢: ٢٨٦. دار خضر، بيروت.

وروي عن عبد الله بن عباس في إحدى الروايات، وعن أبي جعفر محمد بن علي (=الباقر عليه السلام) نحو ذلك[١].

قلت: بحثنا وإنْ كان هيهنا كبروياً، وهو إثبات معصومٌ هاد غير النبيّ ﷺ، لكن لا بأس بسرد بعض النصوص المعيّنة للهاد عليه السلام ؛ فثمّة شاهد صحيح، من طريق عبّاد الأسدي، عن أمير المؤمنين عليّ؛ أنّه عليه السلام هو الهاد مصداقاً؛ أي هو المصداق الاكمل للهاد بعد الله ورسوله، في هذه الأمّة.

فعليٌّ صلوات الله عليه أحد الهداة؛ لما بيّناه من أنّ جملة: لكلّ قوم هاد، صريحة في تعدد الهداة والأقوام.

الطريق الثاني: عبّاد عن عليّ عليه السلام

قال الحاكم في المستدرك: أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور الحارثي ، حدثنا حسين بن حسن الأشقر ، حدثنا منصور بن أبي الأسود ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي ، عن علي: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٢]؟!! قال عليّ: «**رسول الله المنذر، وأنا الهادي**».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الذهبي في التلخيص: بل كذب، قبّح الله واضعه[٣].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٧: ٢٢٢٥. أقول: هذا أحد وجوه تفسير الآية عند ابن أبي حاتم.

(٢) سورة الرعد: ٧.

(٣) مستدرك الحاكم وتلخيصه (مصطفى عبد القادر عطا) ٣: ١٤٠. رقم: ٤٦٤٦. العلمية، بيروت.

قلت: لاحظ خبط الذهبي وعناده؛ فهلاّ ذكر لنا الذهبي من هو الوضّاع الكذّاب في الإسناد ، مع أنّ كلّهم ثقات وممدوحون ؟!. كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

وأياً كان فلأصل الحديث شاهد صحيح، وهو طريق عبد خير الآنف..؛ لم يعرض له الذهبي، ولعلّه جَهِله كما جهل حديث الغدير، أو تجاهله عمداً.

عدا هذا؛ فثمّة شاهد حسن آخر..؛ فهاكه..

الطريق الثالث: سعيد بن حبير عن ابن عبّاس

قال ابن حجر في الفتح: أخرجه الطبري – بإسناد حسن – من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله يده على صدره وقال: « **أنا المنذر، وأومأ إلى عليّ، وقال: «أنت الهادي بك يهتدي المهتدون بعدي»** »[1].

قال الثعلبي(٤٢٧) في الكشف والبيان جازماً: وروى عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس بلفظ: «**فأنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون من بعدي**»[2].

قلت: هذا، بملاحظة جزم الثعلبي، طريق حسن، ولعلّه مقصود الحافظ ابن حجر أعلاه.

وقد أخرجه ابن الأعرابي (في معجمه٣: ٩٦٤. دار ابن الجوزي، السعودية) قال: حدثنا أبو سعيد، عبد الرحمن الحارثي....

(١) فتح الباري ٨: ٣٧٥.

(٢) الكشف والبيان (ت: ابن عاشور) ٥: ٢٧٢. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الطريق الرابع: أبو برزة الأسلمي

قال السيوطي (٩١١هـ) في الدّر: وأخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: سمعت رسول الله يقول: ﴿**إنّما أنت منذر**﴾ ووضع يده على صدر نفسه، ثمّ وضعها على صدر عليّ ويقول: «**لكلّ قوم هاد**»[1].

أقول: لم نقف على إسناد هذا التراث الضائع، المضيّع عن عمد بغضاً لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ولعلّه ممّا أتلفه النواصب، كما أتلفوا غيره؛ طمساً لفضائل محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله.

(١) الدر المنثور (السيوطي) ٧: ٦٠٨.

زبدة الدليل وخلاصته!!

اتّضح أنّ الهاد رجل آخر غير النبيّ ﷺ، وهو القول الأوّل، يدلّ عليه عدا التنزّه عن التكلّف، النّصُّ النبويّ الصحيح الآنف، وما سيأتي ممّا تواتر في شأن المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ، من أنّه هاد مهدي عليه السلام.

وأمّا القولان الآخران، فتبرّعٌ في غاية السخف؛ فيكفي عدم الدليل عليهما من السنّة النبويّة، بل هما اجتهاد محرّمٌ قبيحٌ، يناقض سنّة النبيّ الثابتة الصحيحة الماضية أيّما تناقض.

عدا هذا، فالقول الثاني، وهو: الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بحرف جرّ، قبيحٌ جدّاً في كلام العرب؛ كونه يوجب اللبس القبيح، لم يقع على لسان عربيّ فصيح، بل لا يمكن أن يقع، فكيف بالقرآن؟!!

وأمّا القول الثالث؛ فهو ممّا يناقض الوضع والاستعمال تماماً.

وخلاصة الدليل على العصمة هو أنّ الهاد معصوم كالنبيّ ﷺ، بيانه:

هداية الهاد للأقوام، معطوفة على منذريّة النبيّ المعصومة إجماعاً وضرورة؛ فتعيّن أن تكون مثلها في العصمة، هذا أولاً.

ولاستحالة أن لا يكون معصوماً ثانياً؛ للخلف واجتماع النقيضين.

إذ لو لم يكن الهاد معصوماً، لكان ضالاً يحتاج إلى معصوم يهديه، فاجتمع كونه هادياً، وليس بهاد، وهو محال، فافهم.

وللفائدة، هاك مجموعة من النّصوص في عصمة أمير المؤمنين عليه السلام، نسوق بعضها؛ تنشيطاً للذاكرة فقط.

عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ عليه السلام

أخرج الحاكم (٤٠٥هـ) قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد، حدثنا أحمد بن محمد بن نصر، حدثنا عمرو بن طلحة القناد الثقة المأمون، حدثنا علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه، قال: حدثني أبو سعيد التيمي، عن أبي ثابت، مولى أبي ذر قال: كنت مع علي يوم الجمل فلمّا رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس، فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر، فقاتلت مع أمير المؤمنين، فلمّا فرغ ذهبت إلى المدينة، فأتيت أم سلمة فقلت: إنّي والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شراباً، ولكنّي مولى لأبي ذر، فقالت: مرحباً، فقصصت عليها قصتي فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرها قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عنّي عند زوال الشمس.

قالت رضي الله عنها: أحسنت سمعت رسول الله يقول: «عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لن يتفرّقا حتى يردا عليَّ الحوض».

قال الحاكم: صحيح الإسناد، وأبو سعيد التيمي هو: عقيصاء ثقة مأمون.

وقال الذهبي في التلخيص: صحيح [١].

قلت: وهو ظاهر في العصمة؛ وإلاّ لزم أن يدور القرآن، وهو المعصوم في كلّ حال، مع من ليس بمعصوم، ولو في بعض الأحوال، وهو باطل محال، إجماعاً وضرورة.

---

(١) مستدرك الحاكم وتلخيصه (ت: مصطفى عبد القادر عطا) ٣: ١٣٤. العلميّة، بيروت.

الحقّ مع ذا = عليّ عليه السلام

أخرج الإمام أبو يعلى (٣٠٧) قال: حدثنا محمد بن عباد المكي ، حدثنا أبو سعيد ، عن صدقة بن الربيع، عن عمارة بن غزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه قال: كنّا عند بيت النبي في نفر من المهاجرين والأنصار، فخرج علينا فقال: «ألا أخبركم بخياركم»، قالوا: بلى، قال: «خياركم الموفون المطيبون، إنّ اللهَ يحبُّ الخفي التقي» قال: ومرّ علي بن أبي طالب فقال النبي: «**الحق مع ذا، الحق مع ذا**».

قال حسين سليم أسد: صدقة بن الربيع، وثقه ابن حبان والهيثمي، وباقي رجاله ثقات[1].

قال الهيثمي في المجمع: رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات[2].

قلت: وهو ظاهر في العصمة؛ وإلاّ لزم أن يدور الحق، وهو معصوم في كلّ حال، مع من خالط الباطل في بعض الأحوال، وهو محال، فتعيّن القول بالعصمة.

ويجب أن ننبّه على أمرٍ لازم؛ فثمّة فرق بين العصمة الإجماليّة لفرقة عليّ عليه السلام، وبين التفصيليّة الدائرة معه عليه السلام حيثما دار؛ كالآتي:

---

(١) مسند أبي يعلي (ت: حسين سليم أسد) ٢: ٣١٨، رقم: ١٠٥٢. دار المأمون، للتراث.

(٢) مجمع الزوائد (ت: حسام القدسي) ٧: ٢٣٥، رقم: ١٢٠٢٧. مكتبة القدسي، القاهرة.

العصمة الإجماليّة والعصمة التفصيليّة

أخرج الإمام البزار (٢٩٢هـ) في مسنده قال: حدثنا أحمد بن يحيى الكوفي، قال: أخبرنا أبو غسان، قال: أخبرنا عمرو بن حريث، عن طارق بن عبد الرحمن، عن زيد بن وهب، قال: بينما نحن حول حذيفة رضي الله عنه، إذ قال: «كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم، في فئتين يضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف»؟!!.

فقلنا: يا أبا عبد الله، وإن ذلك لكائن؟!!

قال حذيفة رضي الله عنه: «أيْ والذي بعث محمداً بالحق إنّ ذلك لكائن».

فقال بعض أصحابه: يا أبا عبد الله فكيف نصنع إنْ أدركنا ذلك الزمان؟!.

قال حذيفة رضي الله عنه: «أنظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر عليّ رضي الله عنه فالزموها؛ فإنّها على الهدى»[1].

قال الهيثمي: رواه البزار، ورجاله ثقات[2].

قلت: فأمّا عصمة عليّ عليه السلام؛ فهي تفصيليّة؛ أي هي عصمة تكوينيّة، لا تجامع الخطأ والسهو والنسيان في كلّ الأحوال.

وأمّا عصمة الفرقة التي تدعو إلى عليّ عليه السلام، فهي إجماليّة؛ بمعنى أنّ أتباع عليّ معصومون في أصل ما دانوا به إلى الله تعالى واعتقدوه، لكن هذا لا ينافي خطئهم ونسيانهم واجتراحهم السيّئات فيما عدا ذلك الأصل، فاحفظ.

---

(١) مسند البزار (ت: محفوظ الرحمن زين الله) ٧: ٢٣٦، رقم: ٢٨١٠. مكتبة العلوم، المدينة المنورة.

(٢) مجمع الزوائد (ت: حسام القدسي) ٧: ٢٣٦، رقم: ١٢٠٣٢. مكتبة القدسي، القاهرة.

الدليل الثالث

التعظيم

هذا الدليل، لم أجد من عرض له من علماء الفريقين كما يجب، وإن ربما تناثرت كلماتهم فيه هنا وهناك، فتعيّن علينا البيان، كالآتي:

أجمع أئمّة اللغة، وقاطبة أهل اللسان والبيان، أنّ:

التعظيم – لغةً – هو: التبجيل والتوقير.

وأمّا – شرعاً – فالتعظيم: تبجيل الله تعالى من اصطفى من عباده ، بفضل قدسي ، ومقام ملكوتي؛ مصرّحاً باسمه.

فتارةً يبجّل سبحانه من اصطفاه بالسلام، وأخرى بمطلق المدح والثناء؛ كقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾[2].

قلت: وهما نصٌّ ظاهر في التعظيم، وقوله تعالى: ﴿الْأَخْيَارِ﴾ قيد توضيحي بياني، ليس احترازياً؛ فكلّ من اصطفاه الله تعالى اصطفاءً قدسياً خاصّاً، وعظّمه بعينه مصرّحاً باسمه، فهو من الأخيار لا محالة؛ فالله تعالى كما هو معلوم ضرورة لا يصطفي الأشرار، ولا من لم يتنزّه عن الشرّ من السيّئين، بل هو محال.

---

(١) سورة ص: ٣٠.

(٢) سورة ص: ٤٥-٤٧.

التعظيم بالتحيّة والسلام!!

التعظيم بالتحيّة والسلام، هو أنّ يسلّم الله تعالى، أو يصلّي، على من اصطفى من عباده مباشرةً، مصرحاً باسمه..؛ فثمّة شرطان:

الشرط الأوّل: التصريح بالاسم والاصطفاء.

فلا بدّ من النصّ الوحيوي القطعي في كون المعظَّم ممّن اصطفاه الله، مصرّحاً تعالى باسمه تعييناً؛ كقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

الشرط الثاني: النصّ على التعظيم .

وأيضاً لا بدّ من النصّ الوحيوي القطعي في أنّ الله تعالى عظّم بالتحيّة والسلام كلّ من اصطفاه؛ كقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾[٢].

فالحاصلُ من مجموع الآيتين، دليلٌ قطعيٌّ أنّ كلّ من اصطفاه الله تعالى، فقد عظّمه بالتحيّة والسلام، وأيضاً: فكلّ من عظّمه بذلك فهو مصطفى.

الزبدة: التعظيم لا يتناول إلاّ من اصطفاه الله تعالى، مصرّحاً باسمه تعييناً؛ لذلك فهو لا يعمّ كلّ آل إبراهيم، ولا كلّ آل عمران، ولا كلّ آل محمّد صلى الله عليه وآله العرفيين، بل خصوص من صرّح باسمه منهم.

فمثل قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[٣] وما كان على منواله، يجمع بين الشرطين أعلاه دون مؤونة.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٣.

(٢) سورة النمل: ٥٩.

(٣) سورة الصافّات: ١٢٠.

وأياً كان، لم نجد تعظيماً إلهياً، بالسلام على من اصطفاهم، في كلّ القرآن وقاطبة السنّة المتواترة، إلاّ في الأنبياء أولاً، وإلاّ في بعض آل إبراهيم؛ كطالوت عليه السلام، وبعض آل عمران؛ كمريم عليها السلام، وكآل محمّد المطهّرين من الرجس تطهيراً عليهم السلام ؛ ثانياً على ما سيتّضح لاحقاً، فاحفظ هذه الكبرى.

الاستدلال بالتعظيم على العصمة

ذكرنا أنّ تعظيم الله تعالى بالصلاة والسلام، لمن اصطفاه سبحانه، مع التصريح باسمه، دليلٌ على عصمته.

يدلّ عليه أنّه لم يقع – في القرآن والسنّة المتواترة – لغير معصوم.

يميط عنه ما كاد أن يكون إجماعاً مركبّاً فيه..؛ فجلّ أهل السنّة لا يعظّمون أحداً استقلالاً بلفظ: عليه السلام، إلاّ لمعصوم نبيّ، كما أنّ الشيعة لا تفعل ذلك إلاّ لمعصوم نبيّ أو وصيّ، كما هو معلوم ضرورة من سيرتهم.

فالتعظيم إذن، يلازم العصمة ذاتياً، يدور معها تكوينياً حيثما دارت، سيما إذا دار التعظيم مع العلم والمعجزة حيثما دارا، كما ستفصح البحوث الآتية.

قال سبحانه : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[١].

وقال سبحانه وتعالى على لسان عيسى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلْ يَاسِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة الصافات: ١٨٠-١٨١.

(٢) سورة مريم: ٣٣.

(٣) سورة الصافّات: ١٢٠.

(٤) سورة الصافّات: ١٣٠.

وقال سبحانه وتعالى في يحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى... وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾(٢).

وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾(٣).

الزبدة:

تعظيم الله تعالى بالتحيّة والسلام، من اصطفى من عباده، مصرّحاً بأسمائهم من فوق سبع سماوات...، يلازم العصمة ذاتاً وتكويناً، والنصوص القرآنيّة الآنفة صريحة في هذا.

وأمّا الأوصياء؛ كالخضر، وذي القرنين، وطالوت، وأهل البيت عليهم السلام جميعاً، فكذلك للملازمة..

فأمّا أولاً: فلأنّه سبحانه وتعالى نصَّ في القرآن أنّه اصطفاهم اصطفاءً قدسياً خاصّاً ، بالعلم اللدني ، وعلوم الغيب ، والمعجزة ، والسكينة ، وغير ذلك ، مصرّحاً بأسمائهم ، على ما اتّضح في المطاوي..

وثانياً: فلأنّه سبحانه نصَّ أنّه عظّمهم بالسلام ، كما عظّم الأنبياء عليهم السلام ، ولا أقل من قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ وهذه كبرى كليّة ، يدخل فيها كلّ من اصطفاه نبياً كان أم معصوماً كمريم ففيها قال الله تعالى : ﴿يَامَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ﴾.

هاك مثالاً:

---

(١) سورة مريم ١٢-١٥.

(٢) سورة الصافّات: ٧٩.

(٣) سورة الصافّات: ١٠٩.

تعظيم طالوت دليل عصمته عليه السلام

مضى أنّ طالوت ليس بنبي ولا رسول، إجماعاً وضرورة..؛ ولقد قال الله سبحانه وتعالى في شأنه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

فهذا النّص القطعي في تعظيمه، علاوة على ما سيأتي من تعظيمه بالمعجزة والعلم وغيرهما، بضميمة الكبرى القرآنيّة: ﴿قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾[2]..

يوجب أن يكون طالوت عليه السلام، من جنس الأنبياء والمرسلين؛ يناله حكمهم بالتعظيم والتقديس والعصمة، وإنْ لم يكن نبياً أو رسولاً، بيانه:

إنّ التعظيم، والاصطفاء، والتعيين بالاسم الصريح، مع دوارن هذه الأمور على العلم والمعجزة، من شأن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام؛ فوروده بالنّص القطعيّ في غيرهم كطالوت عليه السلام، يوجب كونه من جنسهم، ينال حكمهم في العصمة والعلم وغيرهما، وإن لم يكن نبياً أو رسولاً.

وقد مضى أنّ طالوت والخضر وذي القرنين ومريم وأهل البيت عليهم السلام، وحتّى أمّ موسى صلوات الله عليهم، قد عظّمهم الله تعالى بالسلام والوحي، والعلم اللدنّي، والمعجزة، أو ببعضها كلّ حسب حاله عليهم السلام، وكلّها متلازمة تلازماً ذاتياً تكوينياً، سوى الوحي، فوحي الأنبياء غير وحي الأوصياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً؛ فالأوّل تأسيسي والثاني تسديدي، على ما أوضحنا في الفصل الأوّل .

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٢) سورة النمل: ٥٩.

تعظيم أهل البيت عليهم السلام بالسلام والصلاة

لا ارتياب أنّ الله تعالى عظّم أهل البيت عليهم السلام، وهم خصوص أهل الكساء؛ محمّد وآل محمّد، إلى المهدي المنتظر عليهم السلام، كما نصّ حديث الثقلين المتواتر وغيره من المتواترات الأخرى، ناهيك عن آيتي التطهير والمباهلة وغيرهما.

ولا يسعنا البسط في هذا، بيد أنّ قوله تعالى: وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلْ يَاسِينَ﴾[1] أي آل محمّد عليهم السلام، وقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[2]، وهم آل محمّد في الإسلام كما تواتر عن النبيّ وسيأتي النصّ..

كلّ هذا بضميمة قوله عزّ وجل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾[3] نصٌّ في المطلوب.

قلت: اختلف قرّاء أهل القبلة السبعة فمنهم من قرأها على الوصل، فتلفظ: إلْيَاسِينَ، مع أنّها في رسم المصاحف كلّها: ال ياسين.

ومنهم من قرأها على الفصل والمدّ ﴿آلْ يَاسِينَ﴾ أي: آل محمد. ونشير إلى أنّ كلاً من القراءتين مجزئة في الصلاة وفي غير الصلاة، بإجماع أهل القبلة سنّة وشيعة.

قال الإمام يحيى بن سلام (٢٠٠هـ): ﴿سلام على إل ياسين﴾ من قرأها موصولة يقول: هو اسمه إلياسين وإلياس[4].

---

(١) سورة الصافّات: ١٣٠.

(٢) سورة هود: ٧٣.

(٣) سورة النمل: ٥٩.

(٤) تفسير يحيى ابن سلام (ت: د. هند شلبي) ٢: ٨٤١. دار الكتب العلميّة، بيروت.

قلت: موصولة أي وصل اللام بالياء؛ فتكون في اللفظ هكذا: ﴿إِلْيَاسِينَ﴾ ومفصولة؛ أي بفصل اللام عن الياء، هكذا: ﴿آلْ يَاسِينَ﴾.

قال الإمام ابن مجاهد (٣٢٤هـ) في كتاب السبعة: قرأ نافع وابن عامر، بهمزة مفتوحة ممدودة، ولام مكسورة ﴿آلْ يَاسِينَ﴾. وقرأ الباقون[١] مكسورة الألف ساكنة اللام ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾[٢].

قال ابن فورك (٤٠٦هـ) في تفسيره: مَنْ قرأ: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلْ يَاسِينَ﴾ فإنّه فسّر على آل محمد[٣].

قال السيوطي: ﴿آلْ يَاسِينَ﴾: هو محمد وآله[٤].

قلت: ﴿آل ياسين﴾ على الفصل بين لام: آل، وياء: ياسين، هم آل محمد عليهم السلام، كما روي عن الحبر ابن عبّاس رضي الله عنه، ومن قال بأنّه النبيّ إلياس وأنّها تلفظ على الوصل: إلياسين؛ فقد جادل في دين: ﴿اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[٥].

فثمّة قرائن قطعيّة أنّ المقصود هم آل محمّد عليهم السلام؛ فهاكها:

---

(١) القرّاء السبعة، هم:

عبد الله بن عامر اليحصبي (١١٨هـ). وعبد الله بن كثير الدمشقي (١٢٠هـ). وعاصم بن أبي النجود الكوفي (١٢٨هـ). وأبو عمرو بن العلاء المازني (١٥٥هـ). وحمزة بن حبيب الزيّات الكوفي (١٥٥هـ). ونافع بن عبد الرحمن المدني (١٦٧هـ). وعلي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ).

وقد أجمع أهل القبلة، سنّة وشيعة أنّ قراءات هؤلاء القرّاء المشهورة في الأعصار، مجزئة في الصلاة وفي غير الصلاة.

(٢) السبعة في القراءات (شوقي ضيف): ٥٤٩. دار المعارف، مصر.

(٣) تفسير ابن فورك (ت: بندويش): ٢: ٢٤٨. جامعة أمّ القرى، السعوديّة.

(٤) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن (ت: البغا): ٩٢. مؤسسة علوم القرآن، دمشق.

(٥) سورة لقمان: ٢٠.

قرائن رجحان قرائة ﴿آلْ يَاسِينَ﴾

الآية الشريفة تقول: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلْ يَاسِينَ﴾ وهو تعظيم صريح، وقد ورد في القرآن الكريم، والسنّة القطعيّة المتواترة، المفيدة للعلم والضرورة، أنّ الله تعالى عظّم أهل البيت عليهم السلام بالسلام والصلاة عليهم..

أولاً: قال تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[١].

وثانياً: قال البخاري صحيحه: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٢]. حدّثني سعيد بن يحيى بن سعيد، حدثنا أبي، حدثنا مسعر، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قيل: يا رسول الله، أمّا السلام عليك، فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟!.

قال النبيّ: «**قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد** »[٣].اهـ.

قلت: وهو نصٌّ صريح أنّ الله تعالى عظّم أهل البيت عليهم السلام بالصلاة عليهم؛ يدلّ عليه قطعاً، إجماع أهل السنّة عن بكرة أبيهم، أنّ الأخبار المتواترة في كيفيّة الصلاة على النبيّ وأهل بيته صلى الله عليه وآله، ما هي إلاّ تفسير للآية الشريفة أعلاه..

وما يمزّق الفؤاد، ما أخرجه البخاري قال: حدثنا قيس بن حفص، وموسى بن إسماعيل، قالا: حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا أبو فروة مسلم بن سالم الهمداني،

---

(١) سورة هود: ٧٣.

(٢) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن (ت: البغا): ٩٢. مؤسسة علوم القرآن، دمشق.

(٣) صحيح البخاري (ت: زهير النّاصر) ٦: ١٢٠، رقم: ٤٧٩٧. دار طوق النجاة.

قال: حدثني عبد الله بن عيسى، سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي **صلى الله عليه وسلم**؟!.

فقلت: بلى، فأهدها لي. فقال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله، كيف **الصلاة عليكم أهل البيت**؛ فإنّ الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟!.

قال النبيّ: « **قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...**»[1].

قلت: لاحظ الاستهتار والعناد؛ ففيه: سألنا رسول الله **صلّى الله عليه وسلّم**. مع علمهم أنّ النبيّ قال: «قولوا: **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**» الله المستعان.

وأياً كان، فحديث البخاري متواتر لفظاً أو معنى، تلقّاه أهل القبلة بالقبول، وهو نصّ في تعظيم الله تعالى أهل البيت ، من فوق سبع سموات أهل البيت ، بالسلام والصلاة والرحمة عليهم.

المجموع من الأصل القرآني: ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾، و: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. والسنّة المتواترة أعلاه في تعظيم آل البيت عليهم السلام، ناهيك عن قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ قرائن تفيد بمجموعها القطع ، في تعيّن المقصود من: ﴿آلْ يَاسِينَ﴾ وأنّهم آل محمّد عليهم السلام، فاحفظ المجموع.

الزبدة: فتعظيم الله تعالى أهل البيت عليهم السلام بالسلام في قوله تعالى: ﴿سَلاَمٌ عَلَى آلْ يَاسِينَ﴾ في سياق تعظيمه للأنبياء والمرسلين، يدل على العصمة وأنّهم من جنس الأنبياء، وإنْ لم يكونوا أنبياء.

---

(١) صحيح البخاري (ت: زهير النّاصر) ٤: ١٤٦، رقم: ٣٣٧٠. دار طوق النجاة.

بطلان قرائة: ﴿إل ياسين﴾ بمعنى إلياس عليه السلام

وممّا يدلّ على بطلان هذه القرائة بالمعنى الآنف، مجموع أمور، مردّها إلى العناد والاستهتار في ردّ فضائل آل محمّد عليهم السلام:

الأولّ: بطلان دعوى دخول الألف واللام على إلياس، ولو سلمناها، لصار المجموع: إل+ياس = إلياس.

وهو باطل قطعاً؛ إذ الألف واللام مفصولان عن ياسين في مصاحف الصحابة والتابعين إجماعاً، غير متصلين.

قال الآلوسي: قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب، وزيد بن عليّ ﴿آل ياسين﴾ بالإضافة، وكتب في المصحف العثماني منفصلاً؛ ففيه نوع تأييد لهذه القراءة [١].

وقال الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ) في التحبير: قرأ نافع وابن عامر ويعقوب: ﴿على آل ياسين﴾ منفصلاً مثل: آل محمد، **وكذا رسم في جميع المصاحف**، والباقون: بكسر الهمزة، وإسكان اللام، متصلاً [٢].

وقال ابن الجزري أيضاً في كتابه النشر: واختلفوا في: ﴿إل ياسين﴾ فقرأ نافع وابن عامر ويعقوب: ﴿آل ياسين﴾ بفتح الهمزة ومد، وقطع اللام من الياء وحدها، مثل آل يعقوب، وكذا رسمت في جميع المصاحف. وقرأ الباقون بكسر الهمزة، وإسكان اللام بعدها، ووصلها بالياء كلمة واحدة في الحالين [٣].

---

(١) تفسير الآلوسي (ت: عليّ عطيّة) ١٢: ١٣٥. دار الكتب العلميّة، بيروت.

(٢) النشر في القراءات العشر (ت: عليّ الضبّاع) ٢: ٣٦٠. المطبعة التجاريّة الكبرى، مصر.

(٣) النشر في القراءات العشر (ت: عليّ الضبّاع) ٢: ٣٦٠. المطبعة التجاريّة الكبرى، مصر.

الثاني: لم يرد في اللسان العربي والعبري والسيرياني واللاتيني وغيرها من اللغات، أنّ إلياسين هو اسم النبي إلياس، فمن أين جاؤوا به؟!.

نريد دليلاً على هذا ، ولن يجدوه حتى يلج الجمل سمّ الخياط .

الثالث: اسمه المقدّس عليه السلام بنصّ القرآن: ﴿إِلْيَاسَ﴾ والعدول عنه إلى: إلياسين، لا يسوغ شرعاً إلاّ بنصّ ثابت، ولا وجود له؛ إذن ما دليلهم؟!.

لا دليل سوى الرأي القبيح، والتحورب في ردّ الأمر الفصيح، ولقد قال النبيّ محمد صلى الله عليه وآله: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النّار**»[1].

قال الترمذي: هذا حديث حسن [2].

قلت: تلقت الأمّة هذا الحديث بالقبول، عمل به كلّ أهل المعقول والمنقول والفقه والتفسير، فهو من جنس مقطوعات الصدور، بل الضروريّات، فاحفظ.

(١) سنن الترمذي (ت: بشار عوّاد) ٥: ٤٩، رقم: ٢٩٥٠. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٢) سنن الترمذي (ت: بشار عوّاد) ٥: ٤٩، رقم: ٢٩٥٠. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

برهان امتناع تعظيم غير المصطفين

التعظيم، كما اتّضح، يدور مع من اصطفاهم الله تعالى لا غير؛ ولم يقع هذا بشهادة القرآن والسنّة النبويّة المتواترة في غير المعصوم، بل يمتنع ذاتاً في غيرهم.

فممتنعٌ ذاتاً أن يعظّم الله تعالى من ليس أهلاً للتعظيم من السافلين، كأن يصطفي المجرمين والجاحدين بل عامّة أهل السيئات المذنبين؛ فهذا كافتراض وجود المظروف – بما هو مظروف – من دون ظرف؛ فهذا معنى الممتنع ذاتاً.

وعلى سبيل التوضيح، فافتراض إمكانيّة تعظيم الوجود السافل الخسيس، بما هو وجودٌ سافل خسيس؛ ليكون عالياً من جنس الوجود الأشرف، نظير جعل الجبل الكبير – بما هو كبير– في البيضة بما هي بيضة صغيرة ، ولقد أجمع العلماء والحكماء أنّ هذا ممتنعٌ ذاتاً؛ ضرورة أنّ القدرة لا تتعلّق بما كان ممتنع ذاتاً.

ولا يرد إشكال الرحمة، وأنّ رحمة الله تعالى للمذنبين، ممتنعة ذاتاً أيضاً!!.

قلنا: ربما يكون الإشكال تاماً إذا افترضنا نزول رحمة الله تعالى على المذنبين، بما هم مذنبون مصرّون على الذنب، فهذا هو الممتنع ذاتاً على المحتمل، وأمّا إذا افترضنا نزول الرحمة عليهم بما هم تائبون نادمون مثلاً، فلا إشكال إطلاقاً.

وننبّه أنّ التعظيم المقصود بهذا الدليل، بشهادة كلّ القرآن، ما كان في أعلى درجاته، مساوقاً للعصمة؛ إذ أعلى درجاته النّص على من اصطفاه تبجيلاً، مصرحاً باسمه سبحانه توقيراً، فهذا هو المقصود بالتعظيم المصطلح، ولم يقع هذا في القرآن لغير معصوم، على ما بان واتّضح.

زبدة دليل التعظيم

اتّضح أنّ الله تعالى اصطفى، خصوص عباده الأخيار؛ مصرّحاً بأسمائهم المقدّسة، معظّماً لهم بالصلاة والسلام مباشرة، دون واسطة، وهذا لم يتحقّق لغير المعصوم عليه السلام..

وبعض الدليل على هذا، مجموع القرآن والسنّة المتواترة؛ إذ لم يرد فيها هذا الضرب من التعظيم إلاّ ودار على عصمة..

فأمّا الأنبياء، فضروريٌّ، واضح جدّاً لا يحتاج إلى استدلال.

وأمّا الأوصياء؛ فللملازمة؛ فقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾، بضميمة قوله تعالى في طالوت مثلاً: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ يتّضح جلياً أنّ التعظيم يتعدى الأنبياء لغيرهم من الأوصياء، وطالوت ليس نبياً فيما هو معلوم ضرورة، فلم تبق إلاّ العصمة.

والكلام هو الكلام في أهل البيت ومريم عليهم السلام، على ما اتّضح آنفاً، ويتّضح لاحقاً.

والإنصاف، فإنّ القول بعصمة أهل البيت وطالوت ومريم وذي القرنين والخضر عليهم السلام، محفوف بقرائن قطعيّة أخرى عدا ما ذكرنا.

فهو محفوف بالعلم اللدنّي، والمعجزة، وغير ذلك ممّا هو دليل العصمة؛ فأصحابنا الأماميّة رضوان الله عليهم، لا يقفون عند التعظيم بمعناه البسيط للقول بالعصمة، وإن كان له وجه؛ فتأمّل جيّداً.

الدليل الرابع
الخلافة السماويّة

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١]. وهذه كبرى..

كما قد قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[٢]. وهذه صغرى..

ومجموعها نصٌّ ظاهرٌ أنّ الأرض لا تخلو من خليفة معصوم لله تعالى؛ إذ لم يرد في كلّ القرآن والسنّة الثابتة لفظ الخليفة مع التعيين بالاسم إلاّ ودار على العصمة؛ كآية داود عليه السلام الآنفة..

والمهديّ المنتظر صلوات الله عليه، من مجموع الآيتين أعلاه، ينطبق عليه المعيار الآنف ؛ لمجموع الأمرين؛ كونه:

أولاً: خليفة الله تعالى، وسيأتي قريباً النصّ الثابت في ذلك.

ثانياً: التصريح بكونه من أهل البيت عليهم السلام، وسيأتي النصّ الثابت الذي تلقّته جماهير أهل القبلة بالقبول، بل المتواتر، بل المعلوم ضرورة.

ثالثاً: يملؤ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وسيأتي النصّ المتواتر في هذا.

وعجيبٌ عناد غير واحد من أهل السنّة في تفسير الآية أعلاه بما اشتهت أنفسهم، تاركين المتواترات وما تلقته الأمّة بالقبول؟!! الله المستعان.

---

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة ص: ٢٦.

النّص أنّ المهدي عليه السلام خليفة الله تعالى

أخرج ابن ماجة القزويني (٢٧٣هـ) في سننه قال: حدثنا محمد بن يحيى، وأحمد بن يوسف، قالا: حدثنا عبد الرزاق عن سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلاً لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ». ثمّ ذكر شيئاً لا أحفظه فقال: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ **خَلِيفَةُ اللهِ، الْمَهْدِيُّ**»[١].

وأخرجه الحاكم قال: أخبرنا أبو عبد الله الصفار، ثنا محمد بن إبراهيم بن أرومة، ثنا الحسين بن حفص، ثنا سفيان به مثله.

قال الحاكم: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي[٢].

وقال الإمام البزار (٢٩٢هـ) : إسناده إسناد صحيح[٣].

وقال الإمام البويصري (٨٤٠هـ) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات[٤].

قلت: خليفة الله تعالى، من له الإمامة السماويّة المطلقة على النّاس، نبياً كان أم وصياً، ولا يكون – مع التصريح بالاسم – على ما جاء في القرآن إلاّ معصوماً.

والأحاديث في المهدي عليه السلام، وأنّه إمام، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، كثيرةٌ جدّاً، مقطوعة الصدور، بل متواترة، لا يسعها ما نحن فيه، هاك بعضها للتذكرة..

---

(١) سنن ابن ماجة (ت: الأرنؤوط) ٥: ٢٠٩، رقم: ٤٠٨٤. دار الرسالة العالميّة.

(٢) مستدرك الحاكم وتلخيصه (ت: مصطفى عبد القادر عطا) ٤: ٥١٠، رقم: ٨٤٣٢. العلمية، بيروت.

(٣) مسند البزار ١٠: ١٠٠. رقم: ٤١٦٣. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

(٤) مصباح الزجاجة (ت: محمد الكشناوي) ٤: ٢٠٤، رقم: ٤٠٨٤. دار العربيّة، بيروت.

النّص أنّه من أهل البيت يملؤها عدلاً

أخرج الحاكم قال: حدثنا الشيخ أبو بكر بن إسحاق، وعلي بن حمشاذ العدل، وأبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، قالوا: ثنا بشر بن موسى الأسدي، ثنا هوذة بن خليفة، ثنا عوف بن أبي جميلة، وحدثني الحسين بن علي الدارمي، ثنا محمد بن إسحاق الإمام، ثنا محمد بن بشار، ثنا ابن أبي عدي، عن عوف، ثنا أبو الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا تقوم الساعة حتى تُملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثمّ يخرج من أهل بيتي، من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم [١].

وقد توبع بما أخرجه أبو داود في سننه قال: حدثنا سهل بن تمام بن بزيع، حدثنا عمران القطان، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«المهدي منّي، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين»**.

قال الإمام الألباني: إسناده حسن [٢].

وأخرجه أبو داود من طريق آخر قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا فطر، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل عن عليّ، عن النبي

---

(١) مستدرك الحاكم وتلخيصه (ت: مصطفى عبد القادر عطا) ٤: ٦٠٠، رقم: ٨٦٦٩. العلمية، بيروت.

(٢) سنن أبي داود (مذيل بأحكام الألباني) ٤: ١٠٧، رقم: ٤٢٨٥. المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت.

صلى الله عليه وسلم قال: «**لو لم يبق من الدهر إلاّ يوم، لبعث الله عز وجل رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً**»[1].

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

قلت: وكونه عليه السلام يملؤها قسطا وعدلاً، ينبي أن يكون من الضروريّات عند أهل السنّة، كما هو عندنا، وهو صريحٌ ظاهرٌ في العصمة؛ لاستحالة ذلك مع عدم العصمة.

قوله ﷺ: «**يملك سبع سنين**» معنى شرعي لا يلتئم إلاّ مع معصوم ، ليس عرفياً؛ فلقد مضى في طالوت معنى الملك ، وأنّه سيادة إلهيّة على الناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم على ما قضى الله تعالى وعلى ما جاء به محمّد .

وإذن فالملك دليل العصمة ، كما في طالوت وذي القرنين عليهما السلام ، فاحفظ ماهيات الشرع وحقائق الدين .

(١) سنن أبي داود (ت: شعيب الأرنؤوط) ٦: ٣٤٠، رقم: ٤٢٨٣. دار الرسالة العالميّة.

المهدي إمامٌ لعيسى عليهما السلام

قال ابن حجر في الفتح: وقال أبو الحسن الخسعي الآبري في مناقب الشافعي تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمّة، وأنّ عيسى يصلّي خلفه [١].

أخرج البخاري قال: حدثنا ابن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع، مولى أبي قتادة الأنصاري، أنّ أبا هريرة، قال: قال رسول الله: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم**»[٢].

أقول: اتفق الشيعة والسنة أنّ المهدي من آل بيت رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، ليس هو بنبي ولا رسول، لكنّه الخليفة والإمام والقائد والملك ، وعيسى هو المأموم والمقود، بل جنديّ من جنوده عليهما السلام.

أخرج أحمد (٢٤١هـ) قال: حدثنا محمد بن سابق، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، أنه قال: قال رسول الله: «يخرج الدجال في خفقة من الدين، وإدبار من العلم، فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض، اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً، فيقول للناس: أنا ربكم وهو أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر - ك ا ف ر، مهجاة - يقرؤه كل مؤمن كاتب، وغير كاتب، يرد كل ماء ومنهل إلاّ المدينة ومكة، حرمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابها، ومعه جبال من خبز، والناس في جهد إلاّ من تبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه، نهر يقول الجنة، ونهر يقول النار، فمن أدخل الذي

---

(١) فتح الباري ٦: ٤٩٤. دار المعرفة بيروت. ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) صحيح البخاري، دار طوق النجاة.

يسميه الجنة، فهو النار، ومن أدخل الذي يسميه النار، فهو الجنة، ويبعث الله معه شياطين تكلّم الناس، ومعه فتنة عظيمة، يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس، لا يسلط على غيرها من الناس، ويقول: أيّها الناس هل يفعل مثل هذا إلاّ الرب؟! فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام فيأتيهم، فيحاصرهم، فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً، ثم ينزل عيسى بن مريم فينادي من السحر، فيقول: يا أيها الناس، ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟!. فيقولون: هذا رجل جني، فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: **ليتقدم إمامكم فليصل بكم**، فإذا صلّى صلاة الصبح خرجوا إليه، فحين يرى الكذاب، ينماث كما ينماث الملح في الماء، فيمشي إليه، فيقتله حتى إنّ الشجرة والحجر ينادي: يا روح الله، هذا يهودي، فلا يترك ممّن كان يتبعه أحداً إلاّ قتله».

قال الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم [١].

وأخرج الإمام السنّي ابن حبّان (٣٥٤هـ) قال: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا عوف، قال: حدثنا أبو الصديق عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تقوم الساعة حتى تمتليء الأرض ظلماً وعدواناً، ثمّ يخرج رجل من أهل بيتي- أو عترتي - فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً**».

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين [٢].

---

(١) مسند أحمد (الأرنؤوط) ٢٣: ٢١٠، رقم: ١٤٩٥٤. الرسالة.

(٢) صحيح ابن حبّان (ت: شعيب الأرنؤوط) ١٥: ٢٣١، رقم: ٦٨٢٣. الرسالة، بيروت.

قلت: الحديث متواتر، تلقته الأمّة بالقبول، بل معلوم ضرورة، وهو ظاهر في العصمة؛ فلو لم يكن عليه السلام كذلك، لاستحال أن يملأها عدلاً؛ ففاقد الشيء لا يعطيه كما هو بديهي.

قلت: والأخبار كثيرة جدّاً في قضيّة المهدي ﷺ، لا ينوء بها مجلّد ضخم، ولنا فيها دراسة استدلاليّة مقارنة، موسّعة محقّقة..؛ فمما يؤسف له أنّ جلّ من كتب في قضيّة المهدي عليه السلام، جمع بين الغثّ والسمين، بين ما يمكن اعتماده ولا ما لا يمكن، ما يجب اعتقاده وما لا يجب؛ فظهرت مشوّهة جدّاً، تزيد جهل الجاهل جهلاً، وتيه التائه حيرة وتيهاً، نسأل الله تعالى العون على إنجازها.

حديث جامع في فضائل علي عليه السلام وأنّه الخليفة

قال أحمد (٢٤١هـ): حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بلج، حدثنا عمرو بن ميمون، قال: إنّي لجالس إلى ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا: يا أبا عباس، إمّا أن تقوم معنا، وإمّا أنْ يخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدءوا فتحدثوا، فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه، ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل له عشر، وقعوا في رجل قال له النبي: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحب الله ورسوله» قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: « أين عليّ »؟!. قالوا: هو في الرحى يطحن، قال: وما كان أحدكم ليطحن، قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، قال: فنفث في عينيه، ثمّ هز الراية ثلاثاً، فأعطاها إياه، فجاء بصفية بنت حيي.

قال: ثمّ بعث فلاناً بسورة التوبة (=أبو بكر)، فبعث علياً خلفه، فأخذها منه، قال: « لا يذهب بها إلاّ رجل منّي، وأنا منه» قال: وقال لبني عمّه: « أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة »؟!. قال: وعليّ معه جالس، فأبوا، فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة» قال: «أنت وليّي في الدنيا والآخرة»، قال: فتركه، ثم أقبل على رجل منهم، فقال: «أيكم يواليني في الدنيا والآخرة» فأبوا، قال: فقال عليّ: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة». فقال: «أنت وليّي في الدنيا والآخرة». قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة.

قال: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه فوضعه على علي، وفاطمة، وحسن، وحسين، فقال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾. وشرى عليّ نفسه، لبس ثوب النبي، ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله، فجاء أبو بكر، وعليّ نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنّه نبي الله، قال:

فقال: يا نبي الله. قال: فقال له عليّ: إنّ نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون، فأدركه. قال: فانطلق أبو بكر، فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله، وهو يتضور، قد لف رأسه في الثوب، لا يخرجه حتى أصبح، ثمّ كشف عن رأسه، فقالوا: إنّك للئيم، كان صاحبك نرميه فلا يتضور، وأنت تتضور، وقد استنكرنا ذلك.

قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي: أخرج معك؟!. قال: فقال له نبي الله: «لا» فبكى عليّ، فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّك لست بنبي، إنّه لا ينبغي أنْ أذهب إلاّ وأنت خليفتي»، قال: وقال له رسول الله: «أنت وليي في كلّ مؤمن بعدي». وقال: وسد أبواب المسجد غير باب علي، فقال: فيدخل المسجد جنباً، وهو طريقه ليس له طريق غيره، قال: وقال: «من كنت مولاه، فإنّ مولاه علي».

قال أحمد محمود شاكر: إسناده صحيح، أبو بلج، بفتح الباء وسكون اللام وآخره جيم: اسمه يحيى بن سليم ويقال: يحيى بن الأسود الفزاري، وهو ثقة، وثقه ابن معين وابن سعد والنسائي والدارقطني وغيرهم، وفي التهذيب أنّ البخاري قال: وفيه نظر. وما أدري أين قال هذا؟!. فإنّه ترجمه في الكبير ولم يذكر فيه جرحاً، ولم يترجمه في الصغير، ولا ذكره هو ولا النسائي في الضعفاء، وقد روى عنه شعبة، وهو لا يروي إلاّ عن ثقة[1].اهـ.

(١) مسند أحمد رقم: ٣٠٦٢، تحقيق: أحمد محمود شاكر. ونضيف أنّ قول البخاري: فيه نظر. من الجرح المبهم غير المفسّر، فلا يعارض التوثيق، كما جزم الألباني في سلسلته الصحيحة ١: ٣٧٩، رقم: ١٩٥.

وأخرجه النسائي قال: أخبرنا محمد بن المثنى قال: حدثنا يحيى بن حماد به أقصر منه[١].

وأخرجه ابن عبد البر (٤٦٣) في الاستيعاب مختصراً قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال. حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب، قال: حدثنا الحسن بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، قال: كان علي بن أبي طالب أول من آمن من الناس بعد خديجة رضي الله عنهما.

قال أبو عمر (=ابن عبد البرّ) رحمه الله: هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد؛ لصحته، وثقة نقلته[٢].

وقال الإمام ابن حجر في قضية سد الأبواب: أخرجهما أحمد والنسائي ورجالهما ثقات[٣].

وقال الألباني في موضع: حديث حسن. وفي آخر: صحيح[٤].

ومثله قال أبو إسحاق الحويني في الجلي[٥].

وقال الإمام الهيثمي: رواه أحمد، ورجالُه رجال الصحيح، غير أبي بلج، وهو ثقة فيه لين[٦].

---

(١) سنن النسائي الكبرى (إشراف الأرنؤوط) ٧: ٤١٧، رقم: ٨٣٥٥. الرسالة. ت: حسن شلبي.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ١٠٩٢. دار الجيل بيروت. ت: علي محمد البجاوي.

(٣) فتح الباري ٧: ١٤. دار المعرفة، بيروت. ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) ظلال الجنة في تخريج السنة لابن ابي عاصم (الالباني) ٢: ٣٣٧. السلسلة الصحيحة ٥: ٢٦٣، رقم: ٢٢٢٣.

(٥) الجلي بتخريج خصائص علي ٤٤: رقم ٢٣.

(٦) مجمع الزوائد ٩: ١٢٠.

وقال محقق فضائل أحمد وصي الله بن محمد عباس: اسناده صحيح [١].

كما قد أخرجه الحاكم قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، ببغداد من أصل كتابه، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا يحيى بن حماد، ثنا أبو عوانة، ثنا أبو بلج، ثنا عمرو بن ميمون، قال: إنّي لجالس عند ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا: يا ابن عباس، إما أن تقوم معنا، وإما أن تخلو بنا من بين هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدءوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا: قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أف وتف وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره وساق مثله.

قال الحاكم النيسابوري: صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وقال الذهبي: صحيح [٢].

وقال الألباني في موضع من الصحيحة: قال الحاكم صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا [٣].

وقال الإمام ابن أبي عاصم في كتاب السنّة: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا يحيى بن حماد، عن أبي عوانة، عن يحيى ابن سليم أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، قال قال رسول الله لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّك لست نبياً إنّه لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي في كلّ مؤمن من بعدي».

قال محقق الكتاب الاستاذ فيصل الجوابرة: إسناده حسن [٤].

---

(١) فضائل الصحابة ٢: ٧٥١، رقم: ١١٦٨. ت: وصي الله عباس.

(٢) المستدرك وتلخيصه (ت: مصطفى عبد القادر عطا) ٣: ١٤٣. ٤٦٥٢، العلمية، بيروت.

(٣) السلسلة الصحيحة ٥: ٢٦٣، رقم: ٢٢٢٣. مكتبة المعارف، الرياض.

(٤) السنة لابن ابي عاصم ١: ٧٩٩. رقم الحديث: ١٢٢٢، تحقيق: فيصل الجوابرة.

الدليل الخامس

عصمة الزهراء صلوات الله عليها

مقصودنا من هذا الدليل وقوع أصل العصمة في هذه الأمّة، بغض النظر عمّن يكون المعصوم، أهو إمام وصيّ كالأئمة من أهل البيت عليهم السلام، أم معصوم ليس بإمام كالزهراء صلوات الله عليه، وقد تقدّم توضيح الفرق مراراً ..

وأياً كان فلقد مضى توضيح أنّ العصمة تدور مدار الاصطفاء والتعظيم؛ فكلّ من عظّمه الله تعالى واصطفاه بالاسم الصريح، فهو معصوم، وقد ثبت في السنّة القطعيّة أنّ فاطمة صلوات الله عليها: «**سيّدة نساء أهل الجنّة**» أو «**سيّدة نساء العالمين**» ولا كلام في هذا..

أخرج البخاري قال: حددثنا أبو نعيم، حدثنا زكرياء، عن فراس، عن عامر الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مرحباً بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن، فسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم، فسألتها فقالت: أسرّ إلي: «إنّ جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي». فبكيت، فقال: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة**»[1].

قلت: الحديث بهذا اللفظ، أو بلفظ: «**سيّدة نساء العالمين**» أو بلفظ : «**سيّدة نساء المؤمنين**»، مقطوع الصدور، تلقته الأمّة بالقبول، بل هو ضروريّ من ضروريّات الإسلام، لم يرْتَب فيه أحد من أهل القبلة.

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٤: ٢٠٣، رقم: ٣٦٢٣. دار طوق النجاة.

وأمّا قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

فلقد وقع الإجماع القطعيّ، المورث للعلم الضروري عند الفريقين، سنّة وشيعة أنّ المقصود بقوله تعالى: ﴿وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ﴾ فاطمة فقط لا غير، يشهد له من النصوص الثابتة المشفوعة بالإجماع القطعيّ.

ما أخرجه مسلم في صحيحه قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، ومحمد بن عباد - وتقاربا في اللفظ- قالا: حدثنا حاتم وهو ابن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟!. فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله يقول له، خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوة بعدي»؟!. وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» قال فتطاولنا لها فقال: «ادعوا لي علياً» فأتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية من آل عمران: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**»[2]. اهـ.

---

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٧١، ٢٤٠٤. إحياء التراث، بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

أقول: أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح[1].

قلت: وهذا نصّ في الاصطفاء؛ فتخصيص قوله تعالى: ﴿وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ﴾ بفاطمة عليها السلام دون سواها، اصطفاء وأيّ اصطفاء؛ بيان ذلك:

أنّ عائشة، وأمّ سلمة، وحفصة، و...، من نساء النبي ﷺ عرفاً، لكن لم يدْعُ النبيّ ولا واحدة منهنّ للمباهلة؛ وتخريجه ما قلناه من أنّهنّ نساءه عرفاً لا شرعاً؛ وإلاّ يكون النبي ﷺ عاصياً لأنّه لمْ يدعُهُنّ، والقائل بذلك جاهل أو كافر.

وننبّه أنّ الاستدلال الآنف مبني على اليقينيّات والقطعيّات، بل الضروريّات؛ فلقد علم ضرورةً عند أهل القبلة جميعاً، أنّ النبيّ لم يأخذ للمباهلة من كلّ نساء الأرض إلاّ فاطمة سيّدة نساء العالمين..؛ تذكّر هذا الضروري دائماً.

والكلام هو الكلام في بقيّة أهل الكساء عليهم الصلاة والسلام، حذو القذّة بالقذّة.

(١) سنن الترمذي (ت: بشار عواد) ٦: ٨٣، رقم: ٣٧٢٤. مؤسسة الرسالة، بيروت.

الدليل السادس

آية التطهير

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وتقريب الاستدلال بهذه الآية على العصمة بمجموع أمور -بما هو مجموع- لا ببعضها دون آخر كما يشتهي المتنطعون ؛ كالآتي :

أولاً : أراد تكويناً ، ولا رادّ لقضائه وإرادته أن يطهّر أهل البيت من الرجس والخبث والآثام تطهيراً تاماً مطلقاً ؛ والقرينة على ذلك التقييد بالمصدر أو المفعول المطلق ما شئت فعبّر؛ أي : ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ .

ثانياً : **التعظيم بذكرهم** ؛ فلقد ذكر سبحانه وتعالى أهل البيت ، مصرّحاً بعنوانهم ولقبهم ، دون سواهم من بقيّة الأمّة فقط .

ثالثاً : **التعظيم بإنزال الرحمة اللدنيّة عليهم** ؛ قال تعالى : ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾.

ولا يرد ما أشكل به بعض أغبياء الحمقى قال : الآية في آل إبراهيم ، فما دخلها بآل محمّد!! وقد مضى البيان في دليل التعظيم ؛ فمحمد وآل محمد من آل إبراهيم عليهم السلام .

رابعاً : **التعظيم بالسلام** ؛ فلقد مضى الكلام في قوله تعالى : ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ وأنّ السنّة المتواترة في كيفيّة الصلاة ، عينتهم بآل محمد ﷺ .

خامساً : **التعظيم بالاصطفاء** .

وسيأتي النصّ القطعيّ على هذا في العنوان الآتي .

الزبدة : الآية –بملاحظة هذه الأمور أو بعضها– ظاهرة في العصمة .

---

(١) سورة آل عمران: ٦١.

النصّ على الاصطفاء

أخرج الإمام مسلم (٢٦١هـ) في صحيحه قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير - واللفظ لأبي بكر - قالا: حدثنا محمد بن بشر، عن زكرياء، عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: «**خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**»[1] .

قلت : إسناده صحيح ، قطعيّ الصدور ، تلقاه قاطبة أهل القبلة بالقبول.

وأخرج الترمذي قال : حددثنا قتيبة قال: حدثنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني، عن يحيى بن عبيد، عن عطاء بن أبي رباح، عن عمر بن أبي سلمة، ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء، وعليّ خلف ظهره فجلّله بكساء ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**». قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله، قال: «أنت على مكانك وأنت على خير» .

قال الألباني : صحيح[2].

قلت : الأخبار في هذا الاصطفاء متواترة ، لا يسعنا سردها الآن .

---

(١) صحيح مسلم (ت: عبد الباقي) ٤: ١٨٨٣، رقم : ٢٤٢٤ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢) سنن الترمذي مذيل بأحكام الألباني (ت: أحمد شاكر) ٥: ٣٥١، رقم: ٣٢٠٥.

الفصل الرابع

الأوصياء

في أخبار أهل البيت عليهم السلام :

رأينا أنّ أكثر الموالين الطاهرين، من اتباع مذهبنا المرحوم أنار الله تعالى برهانهم، وأنالهم سبحانه شفاعة أئمّتهم، لا إحاطة لهم بأخبار أهل البيت عليهم السلام الصحيحة، الواردة في الأوصياء السابقين على الإسلام..

بل بعضهم يسأل، هل ورد ذكرهم على لسان أهل البيت بأسانيد معتبرة وطرق صحيحة؟!!

على أنّ بعضهم قال – ونعم ما قال-: إنّ في كلام أهل البيت نور مرغوب، وهدى مطلوب، وسكينة ظاهرة، فإذا جدّ الجد، لا يعدل عنه إلى ما سواه، ولا يبهج ما عداه، وهو حقّ.

عدا هذا فثمّة أساسيّات في عصمة الأوصياء السابقين عليهم السلام، نعرض لأهمّها؛ كونها مطلوبة شرعاً..

ونشير إلى أنّنا أخرجنا هذا الفصل موجزاً جدّاً، مقتصرين فيه على الرواية الواحدة والروايتين لكلّ مطلب ومسألة؛ لتبصرة العوام، وتذكرة أهل الأفهام، لذلك أسسنا هذا الفصل..، أمّا التفصيل فممّا نرجئه لكتابنا القادم في تاريخ الأنبياء والأوصياء..

فهاك ما هو آت، كالآتي:

عدد الأنبياء والأوصياء!!

قال الصدوق رحمه الله (٣٨١هـ) في الاعتقادات: اعتقادنا في عددهم أنّهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، ومائة ألف وصي وأربعة وعشرون ألف وصي، لكلّ نبي منهم وصيّ، أوصى إليه بأمر الله تعالى.

ونعتقد فيهم أنّهم جاءوا بالحق من عند الحق، وأنّ قولهم قول الله تعالى، وأمرهم أمر الله تعالى، وطاعتهم طاعة الله تعالى، ومعصيتهم معصية الله تعالى، وأنّهم عليه السلام لم ينطقوا إلاّ عن الله تعالى وعن وحيه، وأنّ سادة الأنبياء خمسة؛ الذين عليهم دارت الرحى، وهم أصحاب الشرايع، وهم أولو العزم: نوح، إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

واعتقادنا أنّ الله تعالى خلق جميع ما خلق، له ولأهل بيته عليهم السلام، وأنّه لولاهم لما خلق الله السماء والأرض، ولا الجنة ولا النار، ولا آدم ولا حواء، ولا الملائكة، ولا شيئاً ممّا خلق، (صلوات الله عليهم أجمعين).

واعتقادنا أنّ حجج الله تعالى على خلقه بعد نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، الأئمّة الاثنا عشر: أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم محمد بن الحسن الحجة القائم صاحب الزمان خليفة الله في أرضه، (صلوات الله عليهم أجمعين) [1].

(١) الاعتقادات: ٩٢. دار المفيد، بيروت لبنان.

النّص على عددهم عليهم السلام

أخرج الكليني رضي الله عنه عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ أول وصيّ كان على وجه الأرض، هبة الله بن آدم، وما من نبيّ مضى- إلاّ وله وصيّ، وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبي وعشرين ألف نبي، منهم خمسة أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وإنّ علي بن أبي طالب كان هبة الله لمحمد، وورث علم الأوصياء، وعلم من كان قبله، أما إنّ محمداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين، على قائمة العرش مكتوب: حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء، وفي ذؤابة العرش: علي أمير المؤمنين؛ فهذه حجتنا على من أنكر حقنا، وجحد ميراثنا، وما منعنا من الكلام وأمامنا اليقين، فأيّ حجّة تكون أبلغ من هذا »[1].

وأخرج الصفّار (٢٩٠هـ) قال: حدثنا محمد بن الحسين، عن عبد الله بن جبلة، عن داود الرقي، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي الحجاز قال: أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ختم مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبي، وختمت أنا مائة الف وصيّ وأربعة وعشرين ألف وصيّ، وكُلّفت ما تكلّف الأوصياء قبلي والله المستعان»[2].

قلت: والطرق في هذا المعنى كثيرة، وهي منجبرة بعمل العلماء والإجماع؛ كالذي ذكره شيخ مشايخنا الصدوق وغيره (رضوان الله عليهم).

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٢٤. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٢) بصائر الدرجات: ١٤١. مطبعة الأحمدي، طهران.

الأوصياء على قسمين!!

قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**وما من نبيّ مضى إلاّ وله وصيّ**» يضمّ قسمين من الأوصياء، كالآتي:

القسم الأوّل: أوصياء الأنبياء المباشريين.

كأمير المؤمنين عليّ عليه السلام؛ فهو وصيّ النبيّ بعده مباشرة، وكذا آصف بن برخيا وصيّ سليمان، والفتى يوشع وصيّ موسى عليهم السلام.

القسم الثاني: الأوصياء غير المباشريين.

كأهل البيت عليهم السلام بعد المولى علي عليه السلام، أوّلهم الحسن المجتبى سيد شباب أهل الجنّة، وآخرهم إمامنا المنتظر بن الحسن العسكري، فقط لا غير.

ومن هذا القسم، أوصياء بني إسرائيل في الفترة ما بين يوسف وموسى، وأوصياء إسماعيل عليه السلام في الفترة ما بين عيسى ومحمد عليهم السلام، فاحفظ.

إذا اتّضح هذا، فعدد الأوصياء المذكورين في كلام الشيخ الصدوق الآنف، متعلّق بالمباشريين من القسم الأوّل؛ أي من جاء بعد النبي مباشرة؛ فلقد قال: لكلّ نبي منهم وصيّ. وهو صريح في المباشرة.

ولازم ذلك أنّ عدد الأوصياء، من مجموع القسمين، المباشريين وغيرهم، أكثر من مائة ألف وأربعة وعشرين ألف وصيّ، فاحفظ.

ممّا يدلّ على هذا التقسيم، ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]؟!.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المنذر ولكلّ زمان منّا هاد؛ يهديهم إلى ما جاء به نبي الله صلى الله عليه وآله، ثمّ الهداة من بعده عليّ، ثمّ الأوصياء واحد بعد واحد**»[2].

قلت: إسناده صحيح.

والأخبار في الأوصياء من أهل البيت عليهم السلام الاثني عشر، المباشرين وغير المباشرين، متواترة تفيد العلم، لا يسعها هذا المختصر.

وهم عليهم السلام كما قلنا: اثنا عشر وصيّاً فقط لا غير، أوّلهم: أمير المؤمنين عليّ، وآخرهم المهدي المنتظر صلوات الله عليهم، وهذا معلوم ضرورة.

---

(١) سورة الرعد: ٧.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٩١. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

نصٌ في ذكر الأوصياء المباشرين

أخرج الصفّار (٢٩٠هـ) قال: حدثنا ابراهيم بن هاشم، عن ابراهيم بن اسحاق، عن عبد الله بن حماد، عن عمرو بن يزيد بياع السابري قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس، اذ اتاه رجل طويل، كأنّه نخلة، فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ﷺ: يشبه الجنّ وكلامهم، فمن أنت يا عبدالله؟!. فقال: أنا الهام بن هيم بن لاقيس بن ابليس.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما بينك وبين إبليس إلاّ أبوين**»؟!. فقال نعم يا رسول الله. قال ﷺ: «**فكم أتى لك**»؟!. قال: أكلت عمر الدنيا إلاّ أقلّه..؛ أنا أيّام قتل قابيل هابيل غلام، افهم الكلام، وأنهى عن الاعتصام، وأطوف الآجام، وآمر بقطيعة الأرحام، وأفسد الطعام.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «**بئس سيرة الشيخ المتأمل، والغلام المقبل**». فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي تائب.

قال ﷺ: «**على يد من جرى توبتك من الأنبياء**»؟! قال: على يدي نوح، وكنت معه في سفينته، وعاتبته على دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني، وقال: لا جَرَمَ أنّي على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ثمّ كنت مع هود في مسجده مع الذين آمنوا معه، فعاتبته على دعائه على قومه، حتى بكى وأبكاني وقال: لا جَرَمَ أنّي على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ثمّ كنت مع إبراهيم حين كاده قومه فالقوه في النار، وجعلها الله عليه برداً وسلاماً، ثمّ كنت مع يوسف حين حسده أخوته، فالقوه في الجب، فبادرته إلى قعر الجب فوضعته وضعاً رفيقاً، ثمّ كنت معه في السجن أؤنسه فيه، حتى أخرجه الله منه، ثمّ كنت مع موسى

وعلّمني سفراً من التورية، وقال : إن أدركت عيسى فاقرئه منّي السلام، فلقيته واقرأته من موسى السلام، وعلّمني سفراً من الانجيل، وقال: إنْ ادركت محمداً، فاقرأه منّى السلام، فعيسى يا رسول الله يقرأ عليك السلام.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**وعلى عيسى روح الله وكلمته وجميع أنبياء الله ورسله مادامت السموات والأرض السلام، وعليك يا هام بما بلغت السلام، فارفع إلينا حوائجك**»؟!.

قال: حاجتي أن يبقيك الله لأمّتك، ويصلحهم لك، ويرزقهم الاستقامة لوصيك من بعدك؛ فإنَّ الأمم السالفة، إنّما هلكوا بعصيان الأوصياء، وحاجتي يا رسول الله أن تعلّمني سوراً من القرآن أصلّى بها.

فقال ﷺ لعليّ: «**يا عليّ علّم الهام وارفق به**»، فقال هام: يا رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من هذا الذي ضممتني إليه؛ فإنّا معاشر الجن قد أمِرنا أن لا نكلّم إلاّ نبياً أو وصيّ نبيّ**»؟!.

فقال له رسول الله: «**يا هام من وجدتم في الكتاب وصي آدم**»؟! قال: شيث بن آدم. قال ﷺ: «فمن وجدتم وصيّ نوح»؟!. قال: سام بن نوح. قال ﷺ: «فمن كان وصي هود» قال: يوحنا بن حنان بن عم هود. قال ﷺ: «فمن كان وصيّ إبراهيم»؟!. قال: إسحق بن ابراهيم. قال: «فمن كان وصيّ موسى»؟!. قال: يوشع بن نون. قال ﷺ: «فمن كان وصيّ عيسى»؟!. قال: شمعون بن حمون الصفا ابن عم مريم. قال: «فمن وجدتم في الكتاب وصيّ محمد صلى الله عليه وآله»؟!. قال: هو في التورية إليا. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هذا إليا، هو عليّ وصيي».

قال الهام: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، فله اسم غير هذا؟!. قال: «نعم، هو حيدرة، فلم تسئلني عن ذلك»؟!. قال: إنّا وجدنا في كتاب الأنبياء أنّه في الإنجيل هيدارا. قال عليه السلام: «هو حيدره»...[1].

قلت: إسناده حسن صحيح. وإبراهيم، هو ابن إسحاق بن أزور وهو ثقة. وعبد الله بن حمّاد، هو الأنصاري، وهو حسن، والبقيّة ثقات.

قلت : قول الهام : « **فإنّا معاشر الجن قد أمِرنا أن لا نكلّم إلاّ نبياً أو وصيّ نبيّ**» مخصوص بصنف منهم ، فالجنّ على أصناف ، لهم مراتب وجوديّة أعلى وأدنى ، ولا يسعنا البسط في هذا هيهنا .

لكن لتفهم المقصود نذكر لك مقاتلة المولى عليّ الجنّ ، في القصّة المعروفة ؛ فالجنّ –بما هم جنّ– خلق لطيف غير مرئي ؛ فكيف قاتلهم عليّ عليه السلام ؟!!

بل قد ورد في بعض الأخبار أنّه عليه السلام صرع ابليس في مكّة ، فكيف هذا؟!

قلنا : بما لديه صلوات الله عليه من ذات ملكوتيّة تدبيريّة لما دونها من المخلوقات على ما قضى الله تعالى .

فما يقصده الهام هو هذا ؛ إذ النبي والوصي فقط، من له القدرة على التعامل مع مثل هذا الصنف من الجن .

(١) بصائر الدرجات: ١١٩. مطبعة الأحمدي، طهران.

قول لابن ادريس في ذكر الأوصياء عليهم السلام

قال: ويستحب الصيام يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو يوم الغدير، نصّب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله علياً أمير المؤمنين عليه السلام إماماً للأنام، وفي هذا اليوم بعينه قتل عثمان بن عفان، وبايع الناس المهاجرون والأنصار علياً عليه السلام طائعين مختارين، ما خلا أربعة أنفس، منهم عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وفي هذا اليوم فلج موسى بن عمران عليه السلام على السحرة، وأخزى الله عز وجل فرعون وجنوده، وفيه نجى الله تعالى إبراهيم عليه السلام من النار، وفيه نصب موسى وصيه يوشع بن نون، ونطق بفضله على رؤوس الأشهاد، وفيه أظهر عيسى وصيه شمعون الصفا، وفيه أشهد سليمان بن داود سائر رعيته على استخلاف آصف بن برخيا وصيّه، وهو يوم عظيم، كثير البركات [1].

(١) السرائر ١: ٤١٨. النشر الإسلامي، قم.

كلام للمجلسي في عصمة الأوصياء عليهم السلام.

قال رحمه الله في مرآة العقول:

مرّ في باب أنّ الأئمة عليهم السلام بمن يشبهون، وكان فيه مكان يوشع صاحب موسى، أي في عدم النبوة؛ وكونهم مؤيدين بروح القدس ملهمين معصومين، فيدل على عدم نبوة يوشع وآصف...، والحق أنّه لم تثبت نبوتهما، بل ظاهر أكثر الأخبار، وصريح بعضها، عدم نبوتهما؛ إذ قد ورد في الأخبار الكثيرة الواردة في عدد الأنبياء وعدد الأوصياء، مقابلتهما، وظاهر المقابلة المغايرة.

وروي في كتاب البصائر بسند صحيح، عن بريد، عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام: «**كصاحب موسى وذي القرنين، كانا عالمين ولم يكونا نبيين**»[1].

قلت: إسناده صحيح دون كلام، وسيأتي تخريجه لاحقاً.

(١) مرآة العقول ٤: ٣٠٤. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

كلمة لأبي الصلاح الحلبي جامعة تامّة

قال (٤٤٧هـ) في كافيه : ويؤكّدُه أيضا حصول اليقين بظهور المعجزات على من ليس بنبي؛ فمن ذلك أم موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ففعلت ما أمرت به، وهذا يقتضي ظهور المعجز لها من وجهين:

أحدهما : الوحي، وهو معجز.

والثاني: أنّها عليها السلام لا يجوز أن تقدم على جعل ولدها في التابوت، وطرحه في اليم، إلاّ بعد اليقين بأنّ الآمر لها بذلك هو القديم سبحانه، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ بظهور معجز، تعلم به أنّ الخطاب المتضمن لذلك وحيٌ منه سبحانه، وأمّ موسى ليست بنبي.

ومن ذلك ظهوره لمريم عليها السلام في عدة مواضع: منها نزول الرزق عليها من السماء حسب ما أخبر به سبحانه بقوله: ﴿كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال: يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ ولا شبهة في أنّ نزول الرزق من السماء معجزة.

ومنها: كلام المسيح لها من تحتها في حال الولادة في قوله تعالى: ﴿**فناداها مَن تحتها ألاّ تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا**﴾ وكلام الطفل معجز، وتساقط الرطب من النخلة اليابسة حسب ما ورد في التفسير معجز، ومنها: نطق المسيح عليه السلام ببراءة ساحتها في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا**﴾ وهو معجز متكامل الشروط؛ لكونه خارقاً للعادة، عقيب دعواها براءة ساحتها من فعله سبحانه.

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك**﴾ فأتى به كذلك، وهذا معجز باهر لوصي سليمان عليه السلام.

ومن ذلك ما أجمع المسلمون عليه من ظهور المعجزات على تلاميذ المسيح عليه السلام وليسوا بأنبياء.

ولا انفصال من ذلك بقولهم: إنّ معجز آصف لسليمان، والتلاميذ للمسيح؛ لأنّ المعلوم تخصيص المعجز بمن ذكرناه تصديقاً لهم، وتشريفاً دالاً على علو منازلهم عنده سبحانه، ولا يجوز العدول به عنهم.

وبعد فمنعهم من ظهور المعجز على من ليس بنبي ، يقتضي المنع من ظهوره على من انتفت عنه النبوة، فإذا ثبت ظهوره على من ذكرنا وليسوا بأنبياء ، سقط معتمدهم.

على أنّهم إذا أجازوا ظهور المعجز على غير النبي صلى الله عليه وآله، ونسبته إلى نبيّ الوقت أو الملة، جاز لنا مثل ذلك في أئمتنا؛ لكونهم أوصياء رسول الله، وحفظة شرعه، كآصف من سليمان، والتلاميذ من عيسى، بل هم أعلى رتبة عند الله تعالى وأجلّ منزلة [1].

قلت: هذا في غاية الإتقان، فافهم واحفظ.

(١) الكافي في الفقه (ت: رضا استادي): ١٠١. مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، أصفهان.

الخضر عليه السلام

في أخبار أهل البيت عليهم السلام عليهم السلام

النصّ أنّ الخضر عليه السلام ليس نبياً

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: قلت له عليه السلام: ما منزلتكم ومن تشبهون ممّن مضى؟!!.

قال عليه السلام: «**صاحب موسى، وذو القرنين؛ كانا عالمين ولم يكونا نبيين**»[1].

قلت: إسناده حسن صحيح دون كلام، والمعنى من ضروريّات مذهبنا المرحوم. وقوله عليه السلام: « **كانا عالمين**» أي لدنياً .

قال المجلسي- في المرآة: يدل على كون المراد بصاحب موسى الخضر- عليه السلام، ما رواه الصفار بإسناده عن الثمالي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام أي شيء المحدث؟!.

فقال عليه السلام: «ينكت في أذنه، فيسمع طنيناً كطنين الطست، أو يقرع على قلبه، فيسمع وقعاً كوقع السلسلة على الطست».فقلت: نبي؟!.

قال عليه السلام: «**لا مثل الخضر، ومثل ذي القرنين**»[2].

قلت: ستأتي بقيّة النصوص قريباً أنّ أهل البيت عليهم السلام ليسوا أنبياء ولا رسل، وإنّما هم مثل الخضر- ، وذي القرنين ، ويوشع ، وطالوت ، وآصف بن برخيا ، وغيرهم من الأوصياء أرواح العالمين لهم الفداء، في كونهم محَدَّثين عالمين لدنيين معصومين، ولا ينافي هذا تفاوت درجاتهم عليهم السلام .

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٦٩. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٢) مرآة العقول ٣: ١٥٦.

نصوصٌ في قدسه السماوي ﷺ

روى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد البرقي، عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال:

«أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، ومعه الحسن بن علي عليه السلام، وهو متّكىء على يد سليمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجلٌ حسن الهيئة واللباس، فسلم على أمير المؤمنين، فرد عليه السلام فجلس.

ثمّ قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل، إنْ أخبرتني بهنَّ علمت أنَّ القومَ ركبوا من أمرك ما قضى عليهم، وأنّهم ليسوا بمأمونين في دنياهم وآخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنّك وهم شرع سواء.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «سلني عما بدالك».

قال: «أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟! وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟! وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال»؟!.

فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن فقال: «يا أبا محمد أجبه، قال: فأجابه الحسن عليه السلام.

فقال الرجل: «أشهد أن لا إله إلاّ الله، ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنّ محمداً رسول الله، ولم أزل أشهد بذلك، وأشهد أنّك وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله والقائم بحجته -وأشار إلى أمير المؤمنين- ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته - وأشار إلى الحسن عليه السلام - وأشهد أنّ الحسين بن عليّ وصي أخيه، والقائم بحجته بعده، وأشهد على عليّ بن الحسين أنّه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمد بن علي أنّه القائم بأمر علي بن الحسين، وأشهد على جعفر

بن محمد بأنّه القائم بأمر محمد، وأشهد على موسى أنّه القائم بأمر جعفر بن محمد، وأشهد على علي بن موسى أنه القائم بأمر موسى بن جعفر وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر عليّ بن موسى، وأشهد على علي بن محمد بأنّه القائم بأمر محمد بن علي، وأشهد على الحسن بن علي بأنّه القائم بأمر علي بن محمد، وأشهد على رجل من ولد الحسن لا يكنّى ولا يسمّى حتى يظهر أمره، فيملؤها عدلاً كما ملئت جورا، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثمّ قام فمضى.

فقال أمير المؤمنين: يا أبا محمد، اتبعه فانظر أين يقصد فخرج الحسن بن علي عليهما السلام فقال: «ما كان إلاّ أن وضع رجله خارجاً من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأعلمته.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا محمد أتعرفه؟!. قلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم». قال: «**هو الخضر عليه السلام**»[1].

قلت: إسناده صحيح عند فحول النقد.

وإنّما أوردناه؛ تنبيهاً على معجزة الاستتار عن أهل الدنيا، مع أنّه فيها، من أهلها، وهو قول إمامنا الحسن عليه السلام: «**ما كان إلاّ أن وضع رجله خارجاً من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله**»؟!!.

والاستتار - يعني فيما يعني -: عروج من عالم الدنيا إلى عالم الملكوت.

قلت: ولا يقتدر عليه إلاّ مطهّر معصوم، وفيه برهان جليل، وبيان طويل، لا يسعه مختصرنا؛ إذ يمتنع عروج غير المطهّر، بإجماع أهل البرهان واتفاق أهل البيان.

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٢٦. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

وقد رواه الصدوق من طريق آخر في كمال الدين؛ قال: حدثنا أبي، ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما قالا: حدثنا سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري، ومحمد بن يحيى العطار، وأحمد بن إدريس جميعا قالوا: حدثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي قال: حدثنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، عن أبي جعفر الثاني محمد بن علي عليهما السلام وساق مثله [1].

قلت: إسناده صحيح دون كلام.

(١) كمال الدين: ٣١٣. مؤسسة النشر الإسلام، قم المقدّسة.

الخضر يعظ موسى عليهما السلام

وروى الكليني أيضاً عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«قال الخضر لموسى عليه السلام: يا موسى إنّ أصلح يوميك الذي هو أمامك، فانظر أيَّ يوم هو وأعد له الجواب؛ فإنّك موقوف ومسئول، وخذ موعظتك من الدهر؛ فإنّ الدهر طويل قصير، فاعمل كأنّك ترى ثواب عملك؛ ليكون أطمع لك في الآخرة؛ فإنّ ما هو آت من الدنيا، كما هو قد ولى منها»[1].

قلت: إسناده صحيح على إرساله؛ فيونس من أصحاب الإجماع الذين أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم.

وهذه لعمر الله تعالى مرتبة قدسيّة عظيمة، بل فيها، بضميمة البحث القرآني المتقدّم، دلالة قويّة على أنّه أفضل من موسى صلوات الله عليهما، ولا أقل من المساواة، فتأمّل جيّداً.

فلقد مضى عنّا في الفصل الأوّل، النّص الصحيح من طرق الفريقين، سنة وشيعة، أنّ الخضر خصّ الله تعالى بأمر لا يطيقه موسى، كما أنّ موسى خصّه الله تعالى بأمر لا يطيقه الخضر فصلوات الله عليهما.

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٤٥٩. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

نصٌ آخر في علمه اللدنيّ عليه السلام

وروى الصدوق في الخصال قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: حدثنا محمد ابن الحسن الصفار، عن أحمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى، عن محمد بن أبي عمير، عن حماد بن عثمان الناب، عن عبيد الله بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ نجدة الحروري كتب إلى ابن عباس يسأله عن أربعة أشياء: هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغزو بالنساء؟! وهل كان يقسم لهنّ شيئاً وعن موضع الخمس؟! وعن اليتيم متى ينقطع يتمه؟! وعن قتل الذراري؟!.

فكتب إليه ابن عباس أمّا قولك في النساء، فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحذيهن (=يعطيهنّ قليلاً) ولا يقسم لهنّ شيئاً. وأمّا الخمس فإنّا نزعم أنّه لنا، وزعم قوم أنّه ليس لنا، فصبرنا. فأمّا اليتيم فانقطاع يتمه أُشُدَّه وهو: الاحتلام، إلاّ أنْ لا تؤنس منه رشداً، فيكون عندك سفيهاً أو ضعيفاً فيمسك عليه وليّه. وأمّا الذراري فلم يكن النبي صلى الله عليه وآله يقتلها، وكان الخضر عليه السلام يقتل كافرهم ويترك مؤمنهم؛ فانْ كنت تعلم منهم ما يعلم الخضر، فأنت أعلم »[1].

قلت: إسناده صحيح دون كلام. وهو ظاهر في علم الخضر اللدنّي وعصمته صلوات الله عليه.

بل هو نصٌ فصيح أنّ علمه لدنيٌّ، وافتراضه في غير المعصوم ممتنع في البرهان، غير واقع في البيان.

---

(١) الخصال (ت: علي أكبر غفاري): ٢٣٥. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

الخضر عليه السلام ومعجزة عين الحياة

روى الصدوق رحمه الله قال: حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن الحكم بن مسكين الثقفي، عن صالح بن عقبة، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال:

لما هلك أبوبكر واستخلف عمر رجع عمر إلى المسجد فقعد فدخل عليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنّي رجل من اليهود وأنا علاّمَتُهم، وقد أردت أن أسألك عن مسائل إن أجبتني فيها أسلمت قال: ما هي؟!.

قال: ثلاث وثلاث وواحدة، فإن شئت سألتك، وإن كان في القوم أحد أعلم منك فأرشدني إليه قال: عليك بذلك الشاب يعني علي بن أبي طالب عليه السلام فأتى علياً عليه السلام فسأله.

فقال له عليّ عليه السلام: لم قلت ثلاثاً وثلاثاً وواحدة، ألا قلت: سبعاً؟

قال اليهودي: إنّي إذاً لجاهل؛ إنْ لم تجبني في الثلاث اكتفيت.

قال عليه السلام: «فإن أجبتك تسلم»؟ قال: نعم. قال عليه السلام: «سل».

قال: أسألك عن أول حجر وضع على وجه الأرض، وأول عين نبعت، وأول شجرة نبتت؟!.

قال عليه السلام: «يا يهودي أنتم تقولون: أول حجر وضع على وجه الأرض الذي في بيت المقدس وكذبتم..؛ هو الحجر الذي نزل به آدم من الجنة».

قال اليهودي: صدقت؛ والله إنّه لبخط هارون وإملاء موسى.

قال عليه السلام: «وأنتم تقولون: إنّ أول عين نبعت على وجه الأرض العين التي ببيت المقدس وكذبتم..؛ هي عين الحياة التي غسل فيها يوشع بن نون السمكة، وهي العين التي شرب منها الخضر، وليس يشرب منها أحدٌ إلاّ حيي».

قال: صدقت؛ والله إنّه لبخط هارون وإملاء موسى.

قال عليه السلام: «وأنتم تقولون: أول شجرة نبتت على وجه الأرض الزيتون وكذبتم..؛ هي العجوة التي نزل بها آدم عليه السلام من الجنة معه، قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى. قال اليهودي: والثلاث الأخرى كم لهذه الأمّة من إمام هدى لا يضرهم من خذلهم؟!.

قال عليه السلام: «اثنا عشر إماماً، قال: صدقت؛ والله إنّه لبخط هارون وإملاء موسى. قال اليهودي: فأين يسكن نبيكم من الجنة؟!.

قال عليه السلام: «في أعلاها درجة، وأشرفها مكاناً، في جنة عدن».

قال اليهودي: صدقت؛ والله إنّه لبخط هارون وإملاء موسى، ثم قال اليهودي: فمن ينزل بعده في منزله؟!.

قال عليه السلام: «اثنا عشر إماماً». قال اليهودي: صدقت والله إنّه لبخط هارون وإملاء موسى، ثمّ قال اليهودي: السابعة فأسلم: كم يعيش وصيه بعده قال: ثلاثين سنة».

قال اليهودي: ثمّ مه؛ يموت أو يقتل؟!.

قال عليه السلام: «يقتل يضرب على قرنه فتخضب لحيته».

قال اليهودي: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى.

قال الصدوق ﷺ: وقد أخرجت هذا الحديث من طرق في كتاب الأوائل[١].

قلت: إسناده قويّ حسن، رجاله ثقات، سوى صالح بن عقبة؛ فمختلف فيه، وهو ممدوح، وأمّا التضعيف فالأصل فيه تضعيف الغضائري، ولم يثبت.

ولا بأس أن نذكّر بأمر، فبعض فحول العلماء ذهبوا إلى أنّ عين الحياة من عالم الملكوت الشريف؛ فهي من الجنّة قدّسها الله تعالى، وإنْ ربما تواجدت وتجلّت بإذن الله تعالى في عالم الملك الخسيس.

يترتّب عليه أنّ البشر ـ لا يدركونها ولا يرونها، وإن مرّوا منها ووقفوا عليها، وسيأتي البسط في كتابنا تداخل العوالم.

وعالم الملكوت بناءً على ذلك، لا يُبَاشر إلاّ بمعجزة، ولا يُدرك إلاّ بعلم لدنّي، فلا يقف عليه غير المعصوم، بل يمتنع في غيره عليه السلام؛ لذلك سردنا هذا الخبر في قدس الخضر، فافهم.

(١) الخصال (ت: علي أكبر غفاري): ٤٧٧. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

طالوت عليه السلام والتابوت
في أخبار أهل البيت عليهم السلام:

التابوت آية العصمة والإمامة

نسوق بعض النصوص عن أهل البيت عليهم السلام لعموم الفائدة؛ فكثير من النّاس يسأل عن هذه العلاقة؛ فثمّة علاقة تكوينيّة بين التابوت، والعلم، والسكينة، والنصر، والعصمة، والسيادة الإلهيّة، كما جزم القرآن آنفاً، وكما أخبر أهل البيت عليهم السلام ؛ هاك لترى..

روى الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نصر، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إذا مات الإمام بمَ يعرف الذي بعده؟!!.

فقال عليه السلام: «للإمام علامات منها: أن يكون أكبر ولد أبيه، ويكون فيه الفضل والوصية، ويقدم الركب فيقول إلى من أوصى فلان؟!. فيقال: إلى فلان، **والسلاح فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل؛ تكون الإمامة مع السلاح حيثما كان**»[1].

قال المجلسي في مرآة العقول: صحيح[2].

قلت: إسناده صحيح عند فحول النقد، وأمّا المضمون فضروري مقطوع الصدور؛ تلقّاه أصحابنا جميعاً بالقبول، بل متواتر.

وهو نصٌّ صريح في اقتران الإمامة والعصمة بالتابوت والسلاح، فالسلاح آية الإمامة السماويّة في هذه الأمّة، كما أنّ التابوت كذلك في بني إسرائيل.

ومعنى قوله عليه السلام: «ويقدم الرّكْب فيقول إلى من أوصى فلان؟!. فيقال: إلى فلان» أي معرفة النّاس الإجماليّة بمن هو أهل للإمامة؛ كونه يحمل بعض

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٨٤. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٢) مرآة العقول ٣: ٢٠٤. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

خصائصها التكوينيّة؛ كالعلم والهيبة والوقار والشجاعة وأنّه من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام و... .

يشهد له ما رواه الصفّار قال: حدثنا محمد بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن حماد بن عيسى، عن أبان، عن الحسن بن أبي سارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**السلاح فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل، إذا وضع التابوت على باب رجل من بني إسرائيل علم بنو إسرائيل إنّه قد أوتيَ الملك، فكذلك السلاح حيث ما دارت دارت الإمامة** »[1].

قلت: إسناده صحيح.

يشهد له أيضاً ما رواه الصفّار قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد بن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الإمام يعرف بثلاث خصال: إنّه أولى الناس بالذي كان قبله، وعنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنده الوصية، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ والسلاح فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل يدور الملك حيث دار السلاح كما كان يدور حيث دار التابوت»[2].

قلت: حديث صحيح، وهذا الإسناد صحيح على الأقوى، رجاله ثقات سوى أبي جميلة، فمتكلّم فيه، وهو ، أي الكلام فيه ، اجتهاد مرجوح؛ فقد روى عنه من لا يروي إلاّ عن ثقة.

---

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة باغي): ٢٠٢. مطبعة الأحمدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة باغي): ٢٠٠. مطبعة الأحمدي، طهران.

التابوت يدور مع العلم اللدنّي حيثما دار

يدلّ عليه ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن السكين، عن نوح بن دراج، عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إنّما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، حيثما دار التابوت دار الملك، فأينما دار السلاح فينا دار العلم**» (١).

قلت: إسناده صحيح.

وهو نصّ صريح أنّ التابوت ، آية العلم اللدنّي الذي لا يطيقه غير المعصوم، كما هو معلوم ضرورة.

يشهد له ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن صفوان عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «**إنّما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، حيثما دار التابوت أوتوا النبوة، وحيثما دار السلاح فينا فثَمَّ الأمر**».

قلت: فيكون السلاح مزائلاً للعلم؟!!.

قال الرضا عليه السلام: «لا» (٢).

قلت: إسناده صحيح دون أدنى كلام، تلقّاه أصحابنا بالقبول، بل هو في مضمونه ضروري كما لا يخفى.

فلاحظ التلازم التكويني – أو الذاتي – بين التابوت والعلم اللدنّي في بني إسرائيل، وكذا السلاح والعلم اللدنّي في آل محمد عليهم السلام جميعاً.

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٣٨. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٣٨. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

نصٌ أنّ التابوت معجزة إلهيّة

روى الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد والحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ... ﴾؟!.

قال عليه السلام: لم يكن من سبط النبوة، ولا من سبط المملكة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ وقال: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فجاءت به الملائكة تحمله. وقال الله جل ذكره: ﴿إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ إلاّ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم من اغترف، ومنهم من لم يشرب، فلما برزوا قال الذين اغترفوا: ﴿لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ﴾، وقال الذين لم يغترفوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

قلت: إسناده صحيح دون أدنى كلام. وهو ظاهر في كثير ممّا قلناه آنفاً.

وكون السلاح آية الإمامة والعصمة، فمن حيث انطوائه على المعجزة الإلهيّة، فيكفي أنّ الملائكة تحمله بمرأى من الناس، ناهيك عن كونه يضمّ العلم وبقيّة ميراث الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ناهيك عن النصر والسكينة، وكذا الصندوق عند أهل البيت صلوات الله عليهم ..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٨: ٣١٦. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

نصٌ آخر

أخرج الصدوق في العلل قال: حدثنا أحمد بن يحيى المكتب قال: حدثنا أحمد بن محمد الوراق أبو الطيب، قال: حدثنا علي بن هارون الحميري قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفليّ، قال: حدثني أبي، عن علي بن يقطين قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: أيجوز أن يكون نبي الله عز وجل بخيلاً؟!

فقال عليه السلام: «لا »

فقلت له: فقول سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾[1] ما وجهه وما معناه؟!.

فقال عليه السلام: «**الملك ملكان: ملك مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، وملك مأخوذ من قبل الله تعالى ذكره؛ كملك آل إبراهيم، وملك طالوت، وملك ذي القرنين**»[2].

قلت: المضمون، بضميمة ما مرّ من النصوص الصحيحة المتلقّاة بالقبول، يدلّ على عصمة طالوت؛ ضرورة أنّ الملك يدور مع الإمامة الإلهيّة، والعصمة الربّانيّة حيثما دارت.

وسيأتي تمام الكلام، وبقيّة الطرق الصحيحة في ذي القرنين صلوات الله عليه وعلى جميع الأوصياء.

---

(١) سورة ص: ٨٥.

(٢) علل الشرائع: ٧١. منشورات المكتبة الحيدريّة، النجف.

ذو القرنين

في أخبار أهل البيت عليهم السلام

ذو القرنين في أخبار أهل البيت عليهم السلام

ومن طرقنا ما رواه الصدوق (٣٨١هـ) في الخصال قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عمن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لم يبعث الانبياء ملوكاً في الأرض إلاّ أربعة بعد نوح: «**ذو القرنين واسمه عياش، وداود، وسليمان، ويوسف عليهم السلام ؛ فأمّا عياش فملك ما بين المشرق والمغرب، وأمّا داود فملك ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر، وكذلك كان ملك سليمان، وأمّا يوسف فملك مصر وبراريها ولم يجاوزها إلى غيرها**».

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات، ولا يضرّ الإرسال فالحسن من أصحاب الإجماع.

قال مصنف هذا الكتاب (= الشيخ الصدوق) رضي الله تعالى عنه: جاء هذا الخبر هكذا، الصحيح الذي أعتقده في ذي القرنين أنه لم يكن نبياً، وإنّما كان عبداً صالحاً، أحبَّ اللهَ فأَحَبَّهُ اللهُ، ونصح لله فنصحه اللهُ. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وفيكم مثله» وذو القرنين ملك مبعوث، وليس برسول ولا نبي، كما كان طالوت ملكاً قال الله عز وجل: ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾. وقد يجوز أن يذكر في جملة الأنبياء من ليس بنبي كما يجوز أن يذكر في جملة الملائكة من ليس بملك قال الله عز وجل ثناؤه: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾**[1] [1].

(١) سورة الكهف: ٥٠.

قلت: الاستثناء في ذي القرنين منقطع، فهو من قبيل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٢].

وهو لا ينافي أن يكون متصلاً فيمن عداه من الأنبياء عليهم السلام؛ وليس هو من استعمال اللفظ في أكثر من معنى؛ فأصله مع التقدير في قوله الآنف عليه السلام كالآتي: « لم يبعث الانبياء ملوكاً في الأرض إلاّ أربعة بعد نوح: ذو القرنين واسمه عياش، وإلاّ داود، وإلاّ سليمان، وإلاّ يوسف...» فلا إشكال.

يشهد له ما رواه الصدوق في الخصال قال: حدثنا علي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي قال: حدثنا أبي، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه محمد بن خالد بإسناده رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال:

«**ملك الأرض كلّها أربعة: مؤمنان وكافران، فأمّا المؤمنان فسليمان بن داود عليهما السلام وذو القرنين، والكافران نمرود وبختنصر، واسم ذي القرنين: عبد الله بن ضحاك بن معد**»[٣].

قلت: رجاله إلى قائله ثقات، وأصل الحديث معتبر فيما اتّضح؛ فتكفي قرينيّة الإجماع على أنّه لم يكن نبيّاً.

---

(١) الخصال (ت: علي أكبر غفاري): ٢٤٨. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

(٢) سورة البقرة: ٣٤.

(٣) الخصال (ت: علي أكبر غفاري): ٢٥٥. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

مدّة ملك ذي القرنين عليه السلام

وروى البرقي في المحاسن (٢٧٤هـ) عن محمد بن عيسى اليقطيني، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان، عن درست بن أبي منصور الواسطي، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال:

«**ما بعث الله نبياً قط إلاّ عاقلاً، وبعض النبيين أرجح من بعض، وما استخلف داود سليمان حتى اختبر عقله، واستخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشر سنة. وملك ذو القرنين وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ومكث في ملكه ثلاثين سنة**»[1].

قلت: إسناده ليس بذاك، وأصل مضمونه معتبر.

والواو في قوله عليه السلام: «**وملك ذو القرنين**» استئناف؛ فإنّ ذا القرنين وصيٌّ ليس نبياً كما بيّن الشيخ الصدوق رضي الله عنه آنفاً، وقد مضى النص الصحيح عن أهل البيت عليهم السلام النافي لنبوته، المثبت لوصايته وإمامته وعصمته صلوات الله عليه.

وكون ذي القرنين عليه السلام ملك عن أمر الله تعالى بهذا العمر الصغير، يفيد العصمة، وقد قال تعالى في السيّد الحصور يحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[2]. وما نحن فيه أولى.

---

(١) المحاسن (ت: جلال الدين الحسيني): ١٩٣. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٢) سورة مريم: ١٢.

نصوصٌ على عصمته عليه السلام

عدا ما تقدّم، روى الصفّار (٢٩٠هـ) في البصائر قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما منزلتهم..؛ أنبياءٌ هم؟!!

قال عليه السلام: «**لا، ولكنّهم علماء، كمنزلة ذي القرنين في علمه، وكمنزلة صاحب موسى، وكمنزلة صاحب سليمان**» [١].

قلت: إسناده صحيح دون كلام.

والحديث –بضميمة ما مضى ويأتي– صريح أنّ منزلة أهل البيت عليهم السلام كمنزلة هؤلاء صلوات الله عليهم في الإمامة السماويّة، والسيادة الإلهيّة، والعصمة الربّانيّة، وإن تفاوتت مراتبها بينهم.

يشهد له ما رواه الكليني عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام ما موضع العلماء؟!!

قال عليه السلام: «**مثل ذي القرنين، وصاحب سليمان، وصاحب موسى عليه السلام**» [٢].

---

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة باغي): ٣٨٦. مطبعة الأحمدي طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٦٨. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

قلت: إسناده حسن صحيح دون أدنى كلام، تلقّى أصحابنا جميعاً مضمونه بالقبول، والمقصود بالعلماء في الحديث، على ما أجمع أصحابنا رضي الله عنهم هم: أهل البيت عليهم السلام.

يشهد له ما رواه الكليني عن العدة ، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن الحارث بن المغيرة، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**إنّ علياً عليه السلام كان مُحَدَّثاً**». فقلت: فتقول: نبي؟!!!.

قال: فحرك بيده عليه السلام هكذا ثم قال: «**أو كصاحب سليمان، أَوْ كصاحب موسى، أوْ كذي القرنين، أَوَ ما بلغكم أنّه قال: «وفيكم مثله»**» [1].

قلت: إسناده صحيح. وهو نصٌّ ظاهرٌ في عصمّة الخضر صاحب موسى، وآصف صاحب سليمان، وذي القرنين؛ للمثليّة مع أهل البيت عليهم السلام جميعاً.

قلت: والحديث الذي بلغهم رواه الصدوق رحمه الله في العلل قال: حدثنا أبى رحمه الله قال: حدثني محمد بن يحيى العطار، عن الحسين بن الحسن ابن أبان، عن محمد بن أرومة قال: حدثنى القاسم بن عروة، عن بريد العجلي، عن الأصبغ بن نباتة قال: قام ابن الكواء إلى علي عليه السلام وهو على المنبر فقال:

يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين، أنبيا كان أم ملكا؟!. وأخبرني عن قرنه، أمن ذهب كان أم من فضة؟!.

فقال عليه السلام له: «**لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولم يكن قرناه من ذهب، ولا فضة، ولكنّه كان عبداً أحبَّ الله، فأحبَّه الله، ونصح لله فنصحه الله، وإنّما سُمِّيَ ذا القرنين؛**

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٦٩. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

لأنّه دعا قومه إلى الله عز وجل، فضربوه على قرنه، فغاب عنهم حيناً، ثمّ عاد إليهم فضُرِب على قرنه الآخر، وفيكم مثله »[1].

قلت: إسناده معتبر.

(١) علل الشرائع: ٤٠. منشورات المكتبة الحيدريّة، النجف.

النّص أنّه عليه السلام كان عالماً لدنّياً

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: قلت له عليه السلام: ما منزلتكم ومن تشبهون ممّن مضى؟!!.

قالا -أو أحدهما عليهما السلام- : «**صاحب موسى، وذو القرنين؛ كانا عالمين ولم يكونا نبيّين**» [1].

قلت: إسناده حسن صحيح دون كلام.

يشهد له ما رواه الكليني عن أحمد بن مهران رحمه الله، عن محمد بن علي، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن عمار الساباطي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما منزلة الأئمة؟!!.

قال عليه السلام: «**كمنزلة ذي القرنين، وكمنزلة يوشع، وكمنزلة آصف صاحب سليمان**».

قال فبما تحكمون؟!!.

قال عليه السلام: «**بحكم الله، وحكم آل داود، وحكم محمد صلى الله عليه وآله؛ ويتلقانا به روح القدس**» [2].

قلت: حديث صحيح، وهذا الإسناد قويّ معتبر.

---

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٦٩. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٣٩٨. دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

معنى المثليّة في قوله عليه السلام: «مثله»

أخرج الصفّار في هذا قال: حدثنا محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن الحرث، عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألستَ حدثتني أنَّ علياً عليه السلام كان محدثاً؟!!.

قال عليه السلام: «بلى».

قلت: من يحدثه..؛ فأقول إنّه نبي أو رسول؟!!.

قال عليه السلام: «لا، بل مثله مثل صاحب سليمان، ومثل صاحب موسى، ومثل ذي القرنين..؛ أما بلغك أنّ علياً سئل عن ذي القرنين فقالوا: كان نبياً؟!.

قال عليه السلام: «**لا، بل كان عبداً أحبَّ الله فأحبَّه، وناصح الله فنصحه؛ فهذا مثله**»[1].

قلت: إسناده صحيح.

فالمثليّة تعني أنّ أمير المؤمنين عليّ، وذي القرنين، وبقيّة الأوصياء، من جنس واحد، وهو جنس المحَدَّث المطهَّر المصطفى، العالم بالعلم اللدنيّ، الذي أحبّ الله، فأحبّه الله، وناصح الله، فنصحه الله.

وقد تقدّم قول إمامنا الصادق: «**لا، ولكنّهم علماء، كمنزلة ذي القرنين في علمه، وكمنزلة صاحب موسى، وكمنزلة صاحب سليمان**» أي بالعلم اللدنّي.

فالمثليّة هي: أنّهم عليهم السلام جميعاً مُحدَّثون، عالمون لدنّياً، وهو لا ينافي تفاوتهم في درجة العصمة، أنبياء وأوصياء، حسب درجاتهم عليهم السلام.

---

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة باغي): ٣٨٧. مطبعة الأحمدي طهران.

علي عليه السلام على سنّة ذي القرنين عليه السلام

أخرج الصدوق رضي الله عنه (٣٢٩هـ)، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنّ ذا القرنين لم يكن نبياً، ولكنّه كان عبداً صالحاً، أحبَّ الله، فأحبّه الله، وناصح لله فناصحه الله، أمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه، فغاب عنهم زماناً، ثمّ رجع إليهم، فضربوه على قرنه الآخر، وفيكم من هو على سنته»[1].

قلت: إسناده صحيح.

وهو فصيح صريح أنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام، على سنّة ذي القرنين في الدعوة إلى الله تعالى، وعلى منهاجه في الكفاح عن رسالاته، وأنّه جرّاء ذلك ضرب على قرنيه كذي القرنين صلوات الله عليهما.

فكون علي على سنّته، يعنى الجزم بعصمته عليهما السلام.

---

(١) الإمامة والتبصرة: ١٢١. نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة.

ذو القرنين تحدّثه الملائكة عليهم السلام

روى الصدوق (٣٨١هـ) في الأمالي قال: حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن عيسى بن محمد، عن علي بن مهزيار، عن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن حماد، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، قال:

«إنّ ذا القرنين لما انتهى إلى السد، جاوزه فدخل في الظلمات، فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع، فقال له الملك: يا ذا القرنين، أما كان خلفك مسلك»؟!

فقال له ذو القرنين: «من أنت»؟!.

قال: «أنا ملك من ملائكة الرحمن، موكل بهذا الجبل، فليس من جبل خلقه الله عز وجل إلاّ وله عرق إلى هذا الجبل، فإذا أراد الله عز وجل أن يزلزل مدينة أوحى إليّ فزلزلتها»[1].

قلت: إسناده ضعيف.

ولا يضّر؛ فإنّ العالم اللدنّي من المعصومين، يسانخ الملائكة من هذه الجهة، وإنْ باينه في البشريّة من جهة أخرى، ولا يسعنا البسط في هذا هيهنا، وكما ذكرنا فإنّ لنا رسالة في هذا، نسأل الله تعالى العون على إنجازها، إنّه سميع مجيب.

(١) الأمالي: ٥٥١. مؤسسة البعثة، قم.

أمّ موسى صلوات الله عليها

في أخبار أهل البيت عليهم السلام

رأي أصحابنا الإماميّة في وحي أمّ موسى

أصحابنا كأهل السنّة على ثلاثة أقوال، المحقّقون منهم أنّه ملك ، جبرائيل أو غيره عليهم السلام :

قال الطبرسي قدس سره في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى**﴾ أي ألهمناها، وقذفنا في قلبها، وليس بوحي نبوة، عن قتادة وغيره. وقيل: أتاها جبرئيل بذلك، عن مقاتل. وقيل: كان هذا الوحي رؤيا منام، عبر عنها من تثق به من علماء بني إسرائيل، عن الجبائي[1].

قلت: والله إنّه ليشتدّ العجب من تردد الشيخ الطبرسي طيّب الله مرقده الشريف؛ إذ ما الداعي له، مع وجود النصّ الصريح الفصيح عن أهل البيت عليهم السلام في كونها محدّثة، تسمع الملائكة، يُوحى إليها؛ كالأوصياء من أهل بيت محمّد عليهم الصلاة والسلام، ويبدو أنّ الشيخ لم يطّلع على النّص الصحيح في هذا ..

هاك النّص الصحيح لترى:

---

(١) مجمع البيان ٧: ٢٤٠.

النّص أنّ وحي أمّ موسى ملك

فليس هو رؤيا أو إلهاماً، يدلّ عليه:

ما أخرجه شيخ مشايخنا الصفّار رضي الله عنه (٢٩٠هـ) قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حماد بن عثمان، عن الحارث بن المغيرة النصري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما علم عالمكم جملة، يقذف في قلبه، وينكت في أذنه؟!!.

قال: فقال عليه السلام: «**وحيٌ كوحي أمّ موسى**» [١].

وأخرجه الشيخ المفيد ﷺ في الاختصاص جازماً عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري به مثله [٢].

قلت: إسناده صحيح في أعلى درجات الصحّة، فرواته أجلّة الطائفة، وعلماء الفرقة، وفقهاء الملّة، فحولٌ أفذاذ رضوان الله تعالى عليهم.

وهو، بمعونة ما تواتر عن أهل البيت، أنّهم محَدّثون، صريح أنّ الوحي، وحي كلام ونداء ، ومشافهة وسماع، ليس إلهاماً أو رؤيا.

يشهد له ما رواه القمّي (٣٢٩هـ) في تفسيره قال: حدثني أبي عن الحس بن محبوب، عن العلا بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ موسى لما حملت به أمّه، لم يظهر حملها إلاّ عند وضعه، وكان فرعون قد وكّل بنساء بني إسرائيل نساءً من القبط يحفظهن؛ وذلك أنّه كان لما بلغه عن بني إسرائيل

---

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة باغي): ٣٣٧. مطبعة الأحمدي، طهران.

(٢) الاختصاص.

أنّهم يقولون: إنّه يولد فينا رجل يقال له: موسى بن عمران، يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده، فقال فرعون عند ذلك: لأقتلنَّ ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون، وفرق بين الرجال والنساء وحبس الرجال في المحابس، فلما وضعت أم موسى بموسى عليه السلام نظرت إليه وحزنت عليه واغتمت وبكت، وقالت: يذبح الساعة، فعطف الله بقلب الموكلة بها عليه فقالت لأم موسى: ما لك قد اصفر لونك؟!. فقالت: أخاف أن يذبح ولدي. فقالت: لا تخافي، وكان موسى لا يراه أحد إلاّ أحبه، وهو قول الله: ﴿**وألقيت عليك محبّةً منّي**﴾ فأحبَّته القبطية الموكلة به، وأنزل الله على موسى التابوت **ونوديت أمه** ﴿**ضعيه في التابوت فاقذفيه في اليم**﴾، وهو البحر.... [1].

قلت: إسناده صحيح في أعلى درجات الصحّة.

وهو صريح في أنّ وحي أم موسى كلام ونداء وسماع، وليس رؤيا أو إلهاماً.

(١) تفسير القمّي ٢: ١٣٥.

معنى منع المفيد قدس سره الوحي على غير الأنبياء.

قال الشيخ المفيد قدس سره (٤١٣ هـ) في أوائل المقالات: القول في الإيحاء إلى الأئمة، وظهور الاعلام عليهم، والمعجزات.

أقول: إنّ العقل لا يمنع من نزول الوحي إليهم، وإن كانوا أئمة غير أنبياء، فقد أوحى الله عز وجل إلى أم موسى: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، فَعَرَفت صحّة ذلك بالوحي، وعملت عليه، ولم تكن نبياً ولا رسولاً ولا إماماً، ولكنّها كانت من عباد الله الصالحين [1].

قلت: منع المفيد من نزول الوحي على الأئمّة من أهل البيت بعد النبيّ عليهم السلام ، ومقصوده الشريف وحي النبوّة؛ أي وحي الشريعة الناسخ لما قبله؛ ضرورة أنّ حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه ﷺ كذلك، وهو لا ينافي نزول الملائكة على الأئمّة ومطلق الأوصياء عليهم السلام بمعنى التسديد والتأييد، وقد بيّنا هذا فيما سبق كثيراً.

يدلّ عليه قوله قدس سره: وإنّما منعتُ من نزول الوحي عليهم، والإيحاء بالأشياء إليهم؛ للإجماع على المنع من ذلك، والاتفاق على أنّه من يزعم أنّ أحداً بعد نبينا يوحى إليه، فقد أخطأ وكفر؛ ولحصول العلم بذلك من دين النبي، كما أنّ العقل لم يمنع من بعثة نبي بعد نبينا، ونسخ شرعه كما نسخ ما قبله من شرائع الأنبياء، وإنّما

(١) أوائل المقالات: ٦٨. دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت.

منع ذلك الإجماع والعلم بأنّه خلاف دين النبي، من جهة اليقين وما يقارب الاضطرار. والإماميّة جميعاً على ما ذكرت ليس بينها فيه على ما وصفت خلاف [١].

قلت: وهو صريح في أنّ الوحيّ المقصود بالمنع عنده ﷺ، هو وحي النبوّة الناسخ لما قبله من النبوات؛ أي وحي الشريعة الناسخة لشريعة محمّد ﷺ، فهذا كفرٌ لا كلام في ذلك، لا مطلق الوحي حتى لو كان تسديداً لما أمر به النبيّ، وتأييداً لما نطق به القرآن، فهذا لا مانع منه، بل الأخبار فيه متواترة، لا يسعنا سردها مرّ بعضها.

(١) أوائل المقالات: ٦٨. دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت.

تصريح المفيد أنّ الأوصياء تكلّمهم الملائكة.

قال: القول في سماع الأئمة عليهم السلام، كلام الملائكة الكرام، وإنْ كانوا لا يرون منهم الأشخاص.

أقول (=المفيد): بجواز هذا من جهة العقل، وإنّه ليس بممتنع في الصدّيقين من الشيعة، المعصومين من الضلال، وقد جاءت بصحته وكونه للأئمة عليهم السلام، ومن أسميت من شيعتهم الصالحين الأبرار الأخيار، واضحة الحجة والبرهان، وهو مذهب فقهاء الإمامية وأصحاب الآثار منهم [١].

زبدة رأي المفيد قدس سره

طواه في كتابه التصحيح قال: وعندنا أنّ الله تعالى يُسمِع الحجج بعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كلاماً، يلقيه إليهم؛ أي: الأوصياء عليهم السلام، في علم ما يكون، لكنّه لا يطلق عليه اسم الوحي؛ لما قدمناه من إجماع المسلمين على أنّه لا وحي إلى أحد بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

---

(١) أوائل المقالات: ٦٨. دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت.

(٢) تصحيح اعتقادات الإماميّة (ت: حسين دركاهي): ١٢٢. دار المفيد للطباعة، بيروت.

مناقشة المفيد قدس سره : الوحيُ على قسمين

قلت: قوله تام قدس سره من جهة المعنى إجماعاً وضرورةً؛ لكنّه مردودٌ من جهة الاطلاق والاصطلاح؛ ضرورة أنّ القرآن أطلقه على من ليس بنبيّ؛ قال سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾.

فقوله قدس سره: لا يطلق عليه اسم الوحي، في غاية العجب.

إذا اتّضح هذا فالوحي –على ما أوضحنا سابقاً ونوضّح هيهنا تأكيداً– على قسمين، والموجب للقول بالقسمين، بل وجوب اعتقادهما، نصّ القرآن الكريم عليهما، كالآتي:

القسم الأوّل: وحي الأنبياء صلى الله عليه وآله.

ودليله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾[1].

وهذا الوحي، هو وحي النبوّة. وإن شئت قلت للتوضيح: وحي تأسيس شريعة جديدة؛ كقول عيسى عليه السلام في شريعته الجديدة: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[2].

وقد علمَ ضرورةً، ناهيك عن الإجماع المحقق بين أهل القبلة، أنّ هذا الوحي، سواء أكان جبرائيل أم إسرافيل أم غيرهما عليهما السلام، لا ينزل، بعنوان أنّه وحي؛ أي مؤسساً لشريعة جديدة، إلاّ على الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) سورة النساء: ١٦٣.

(٢) سورة آل عمران: ٥٠.

القسم الثاني: وحي المعصومين والأوصياء.

ودليله في القرآن الكريم قول الله تعالى مخاطباً أم موسى عليها السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ...﴾[١]. وقوله سبحانه موسى عليه السلام: ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى**﴾[٢].

قلت: والوحي هيهنا، مخاطبة ملك ومشافهته، وهو الظاهر من الآية على ما جزم به غير واحد من كبار أهل السنّة، والتأويل بالإلهام كإلهام النحل، تكلّف باطل، وتأويل زائغٌ مائل..

يدلّ عليه ما مرّ من صحيح الحارث بن المغيرة النصري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما علم عالمكم جملة، يقذف في قلبه، وينكت في أذنه؟!!. قال: فقال عليه السلام: «**وحيٌ كوحي أمّ موسى**»[٣].

وهو صريح في إطلاق لفظ الوحي على غير الأنبياء، كما أنّه، بضميمة النصوص المتواترة أنّهم عليهم السلام محدَّثون، يسمعون صوت من يحدّثهم من الملائكة، صريحٌ في المخاطبة والمشافهة.

وقد نبّهنا مراراً أنّ الغرض من هذا الوحي، ليس تأسيس شريعة، وإنّما التأييد، والتسديد، والعلم العتيد.

---

(١) سورة طه: ٣٨.

(٢) سورة طه: ٣٨.

(٣) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة باغي): ٣٣٧. مطبعة الأحمدي، طهران.

سارة عليها السلام

في أخبار أهل البيت عليهم السلام

روى الكليني قال: أخبرنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضال، عن داود بن فرقد، عن أبي يزيد الحمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله عز وجل بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط: جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل، وكروبيل، فمرّوا بإبراهيم عليه السلام، وهم معتمّون، فسلّموا عليه، فلم يعرفهم، ورأى هيئة حسنة، فقال: لا يخدم هؤلاء إلاّ أنا بنفسي، وكان صاحب ضيافة، فشوى لهم عجلاً سميناً، حتى أنضجه، ثمّ قرّبَه إليهم، فلما وضعه بين أيديهم، رأى أيديهم لا تصل إليه، نكرهم وأوجس منهم خيفة، فلما رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه، فعرفه إبراهيم فقال: أنت هو؟!.

قال جبرائيل: نعم. ومرّت سارة امرأته، **فبشّرَها بإسحاق**، ومن وراء إسحاق يعقوب فقالت ما قال الله عز وجل، **فأجابوها بما في الكتاب**....

قلت: إسناده صحيح، وقول بعض العلماء بأنّه مجهول بأبي يزيد الحمار، استرواح وقلّة فحص؛ فالرجل هو عينه ابن فرقد، المكنّى بأبي يزيد العطّار، المحرّفة إلى الخمار أو الحمار ولهذا قرائن، لا يسعنا سردها الآن.

المبشّر في قوله ﷺ: « فبشرّها بإسحاق» هو جبرائيل؛ والقرينة الداخليّة، قوله عليه السلام «فأجابوها بما في الكتاب»، وهو ينصرف إلى مجموع الملائكة الأربعة عليهم السلام .

وما في الكتاب هو قول مجموعهم عليهم السلام : ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ .

تنبيه !!

لعلّك تقول : قال الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ !!

فمعنى أنّ الله تعالى أراه الملكوت ، أي : كشف له سبحانه عالم الجنّة والنار ، والملائكة والأسرار ، في هذه الدار وفي دار القرار ، كما كشفها لنبيّنا في المعراج وغير المعراج ، وهذا –في جملته– ممّا أجمعت عليه طوائف المسلمين ، سنّة وشيعة عن بكرة أبيهم ، كما ربما لا يخفى .

وإذن فما تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ .

فكيف ينكر إبراهيم الملائكة ولا يعرفهم ، بل يقدّم لهم طعاماً بشريّاً ينزّه مثلهم عليهم السلام عنه؟!!

قلنا ببساطة : فهل اطلع الله تعالى أبانا إبراهيم عليه السلام على كلّ أسرار غيب الله سبحانه وتعالى؟!!

من قال : نعم كفر ؛ ونعم القول ، قول نبيّنا : ﴿ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾.

قلت: هذا ما تسنى لنا، ممّا رأينا ضرورة في سرده وبيانه من أخبار أهل البيت عليهم السلام ، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

فهرست المحتويات

مقدمة..... ٣

الفصل الأوّل : خصائص العصمة ... ٧

نصّ الإمام الجرجاني (٨١٦هـ) ١٠

نصّ الإمام الغزالي (٥٠٥هـ)..... ١١

كلمة جامعة لابن تيمية (٧٢٨هـ) ١٢

اقرار ابن تيمية بمعجزات غير الأنبياء ١٤

المفهوم الأوّل : الوحي ١٥

دعوى أنّ الوحيّ خاصّ بالنبوّة فقط ١٦

الوحي على قسمين ١٨

لجبرائيل عليه السلام ثلاثة أنحاء من الوجود ٢٠

الوحي الخاص والوحي العام ٢١

المفهوم الثاني : العلم اللدنّي ٢٢

تفسير : ﴿بما أراك الله﴾ ٢٥

دعوى بعض الصوفيّة في العلم اللدنيّ ٢٧

العلم اللدنّي هو روح القدس ٢٨

تفسير آية عويصة ٢٩

روح القدس مقوّمٌ لذات المعصوم ٣١

المفهوم الثالث : الولاية التكوينيّة = التدبيريّة ٣٢

المفهوم الرابع : المعجزة ٣٥

بطلان دعوى اختصاص المعجزة بالأنبياء ٣٧
الزبدة : المعجزة على قسمين ٣٩

المفهوم الخامس : السكينة ٤٠

العلم اللدنّي مقوّم للسكينة ٤١
النصّ على ذاتيات السكينة ٤٢
نزول السكينة على غير المعصوم محال ٤٣
الصحابة والسكينة ٤٦
النبوّة بين الحقيقة والاعتبار ٤٧
المعصوم على ثلاثة أصناف ٥٠

الفصل الثاني : عصمة الأوصياء السابقين ٥١

المورد الأول : الخضر عليه السلام ٥٥

الفصل الأوّل..... ٩

خصائص العصمة..... ٩

الخضر عليه السلام ليس نبيّاً عند الأكثر ٥٩

إشكاليّة أنّ الخضر نبيّ!!.....٦١

الأول: علم الخضر اللدنّي. ٦٢
الثالث: الوحي..... ٦٤
الرابع: موسى يتعلّم عند الخضر عليهما السلام. ٦٥
الخامس: ولاية الخضر على موسى عليهما السلام..... ٦٥
السادس: الخضر أصبر من موسى عليهما السلام..... ٦٥

السابع: الخضر عليه السلام حيٌّ إلى اليوم..... ٦٦
الإجماع على معجزة الاخضرار..... ٦٨
هل الخضر أعلم من موسى؟!! ٧٠
تصاريح أهل السنّة أنّ الخضر يعلم الغيب..... ٧٢
زبدة الاستدلال القرآني: عصمّة الخضر عليه السلام..... ٧٤
الأوّل: المُلْك السماوي الوحيوي..... ٧٨
الثاني: الاصطفاء الوحيوي الخاص ٧٨
الثالث: التعظيم..... ٧٩
الرابع: البعث الإلهي. ٧٩
الخامس: المعجزة..... ٨٠
السادس: ولايته السماويّة على النّاس..... ٨١
السابع: العلم اللدنّي ٨٢
معنى الملك السماوي؟!!..... ٨٣
شرطا الملك السماوي ٨٣
عدّة طالوت هي عدّة النبيين والمعصومين..... ٨٤
زبدة الاستدلال القرآني: عصمة طالوت عليه السلام..... ٨٨
أولاً: الله كلَّم ذا القرنين دون حجاب. ٩٤
ثانياً: تعظيمه والتصريح باسمه. ٩٥
ثالثاً: الاصطفاء. ٩٥
رابعاً: معاجزه عليه السلام..... ٩٦
خامساً: علمه وولايته عليه السلام. ٩٦
نصوصٌ في قدسه واصطفائه عليه السلام..... ٩٩
كان عبداً صالحاً..... ٩٩
النبي محمد صلى الله عليه وآله يعظمّه..... ٩٩

معاجزه عليه السلام ١٠٠
عليّ عليه السلام مثل ذي القرنين عليه السلام ١٠١
ذو القرنين وسليمان عليهما السلام ١٠٣
زبدة البحث القرآني في ذي القرنين عليه السلام ١٠٤
النّص على كونه عليه السلام عالماً بالاسم الأعظم ١٠٩
توهّم: عند بلعم بن باعوراء الاسم الأعظم ١١٠
زبدة الاستدلال القرآني!! ١١١
معنى الحكمة؟!!!! ١١٦
آية الأسباط دليل كبروي على العصمة ١٢١
إشكال: الأسباط هم الأنبياء فقط ١٢٥
الأوّل: الكلام مع جبرائيل والملائكة ١٣٠
الثاني: إرسال الله تعالى جبرائيل إليها ١٣١
الثالث: الاصطفاء والتطهير ١٣١
الرابع: المعجزة ١٣٢
الخامس: مريم آية الله في العالمين ١٣٤
تكليم الملائكة مولاتنا فاطمة عليها السلام ١٣٥
وقفة مع قرائة: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ ١٣٧
أقوال العلماء على أنّه مَلَك وليس إلهاماً ١٤٤
الزبدة: ١٤٧
الأوّل: مُحَدَّثة؛ تحدّثها الملائكة ١٥١
الثاني : المعجزة ١٥٢
الثالث: التعظيم ١٥٢
وقفة مع جنود الخليفة أبي بكر!! ١٦٠

النّص أنّ أبا بكر وعمر فراران منهزمان ١٦١
النّص على تأييد عليّ بجبرائيل وميكائيل عليهما السلام ١٦٥
ولاية التدبير وعصمة عليّ عليه السلام ١٧١
الزبدة: ١٧٢
المعجزة التي تلازم العصمة؟!!! ١٧٣
معجزة ردّ الشمس لعليّ عليه السلام ١٧٤
الطريق الأوّل: جابر بن عبد الله الأنصاري ١٧٤
الطريق الثاني: أسماء ١٧٤
الطريق الثالث: أبو هريرة ١٧٨
الطريق الرابع: أبو ذر ١٧٩
الاستدلال بردّ الشمس على العصمة ١٨٢
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ١٨٥
القول الأوّل: الهاد، رجلٌ آخر غير النبيّ صلى الله عليه وآله ١٨٥
القول الثاني: الهاد نفس النبيّ صلى الله عليه وآله ١٨٥
القول الثالث: الهاد هو الله تعالى ١٨٦
الهاد من بني هاشم، وهو عليّ عليه السلام ١٨٧
الطريق الأوّل: عبد خيرٍ عن عليّ عليه السلام ١٨٧
الطريق الثاني: عبّاد عن عليّ عليه السلام ١٨٨
الطريق الثالث: سعيد بن حبير عن ابن عبّاس ١٨٩
الطريق الرابع: أبو برزة الأسلمي ١٩٠
زبدة الدليل وخلاصته!! ١٩١
عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ عليه السلام ١٩٢
الحقّ مع ذا = عليّ عليه السلام ١٩٣
العصمة الإجماليّة والعصمة التفصيليّة ١٩٤

التعظيم بالتحيّة والسلام!! ١٩٨
الاستدلال بالتعظيم على العصمة ٢٠٠
تعظيم أهل البيت عليهم السلام بالسلام والصلاة ٢٠٣
قرائن رجحان قرائة ﴿آلْ يَاسِينَ﴾ ٢٠٥
بطلان قرائة: ﴿إل ياسين﴾ بمعنى إلياس عليه السلام ٢٠٧
برهان امتناع تعظيم غير المصطفين ٢٠٩
زبدة دليل التعظيم ٢١٠
النّص أنّ المهدي عليه السلام خليفة الله تعالى ٢١٤
النّص أنّه من أهل البيت يملؤها عدلاً ٢١٥
المهدي إمامٌ لعيسى عليهما السلام ٢١٧
حديث جامع في فضائل علي عليه السلام وأنّه الخليفة ٢٢٠
عدد الأنبياء والأوصياء!! ٢٣٨
النّص على عددهم عليهم السلام ٢٣٩
الأوصياء على قسمين!! ٢٤٠
نصٌّ في ذكر الأوصياء المباشرين ٢٤٢
قول لابن ادريس في ذكر الأوصياء عليهم السلام ٢٤٥
كلام للمجلسي في عصمة الأوصياء عليهم السلام ٢٤٦
كلمة لأبي الصلاح الحلبي جامعة تامّة ٢٤٧
النصّ أنّ الخضر عليه السلام ليس نبياً ٢٥١
نصوصٌ في قدسه السماوي عليه السلام ٢٥٢
الخضر يعظ موسى عليهما السلام ٢٥٥
نصٌّ آخر في علمه اللدنيّ عليه السلام ٢٥٦
الخضر عليه السلام ومعجزة عين الحياة ٢٥٧

التابوت آية العصمة والإمامة ٢٦٣
التابوت يدور مع العلم اللدنّي حيثما دار ٢٦٥
نصٌ أنّ التابوت معجزة إلهيّة ٢٦٦
نصٌ آخر ٢٦٧
ذو القرنين في أخبار أهل البيت عليهم السلام ٢٧١
مدّة ملك ذي القرنين عليه السلام ٢٧٣
نصوصٌ على عصمته عليه السلام ٢٧٤
معنى المثليّة في قوله عليه السلام: «مثله» ٢٧٨
ذو القرنين تحدّثه الملائكة عليهم السلام ٢٨٠
النّص أنّ وحي أمّ موسى ملك ٢٨٤
معنى منع المفيد قدس سره الوحي على غير الأنبياء ٢٨٦
مناقشة المفيد قدس سره: الوحيُ على قسمين ٢٨٩
القسم الأوّل: وحي الأنبياء صلى الله عليه وآله ٢٨٩
القسم الثاني: وحي المعصومين والأوصياء ٢٩٠
فهرست المحتويات ٢٩٥